لباب التأويل فى معانى التنزيل ، للخازن علي بن محمد - ٧٤١ هـ . بخط أحمد ابن محمد الرصاع ، ١٢٨٥ هـ .

٢١٠ ق ٣٢-٤ ٣٣ س ٢٤,٥×١٧,٥سم

نسخة جيده ، خطها مغربى مقروء ،طبع الاعلام ٥: ١٥٦ الازهرية ١: ٢٨٦

١ - التفسير ، القرآن الكريم وعلومه

أ - المؤلف ب - الناسخ جـ - تاريخ النسخ .

316

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

هذا الجزء الرابع من كتاب التأويل في معالم التنزيل

تفسير سورة يس مكية وهي ثلاثة وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده هارون أبو محمد شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا على موتاكم يس أخرجه أبو داود **بسم الله الرحمن الرحيم**

قوله عز وجل **يس** قال ابن عباس هو قسم وعنه أن معناه يا إنسان بلغة طيء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن **والقرآن الحكيم** أي ذي الحكمة لأنه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه **إنك لمن المرسلين** أقسم بالقرآن أن محمدا من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا **على صراط مستقيم** معناه وإنه على صراط مستقيم وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على طريق مستقيم **تنزيل العزيز الرحيم** أي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه **لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم** يعني لم تنذر آباؤهم لأن قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب **فهم غافلون** أي عما يراد بهم من الإيمان والرشد **لقد حق القول** أي وجب العذاب **على أكثرهم فهم لا يؤمنون** فيه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون فيما سبق لهم من العلم ثم ذكر قوله عز وجل **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا** نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه أثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه أخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا وقيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الإيمان

بموانع فجعل الأغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال وقيل إنها موانع حسية منعتنا كما يمنع الغل وقيل إنها وصف على الحقيقة وهو ما سينزله الله بهم في النار «فهي» يعني الأيدي «إلى الأذقان» جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لأن الغل يجمع اليد إلى العنق «فهم مقمحون» أي رافعوا رؤوسهم مع غض البصر وقيل إذا أن الأغلال رفعت رؤوسهم فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال «وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا» معناه منعناهم عن الإيمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسوار وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله «فأغشيناهم» أي فأعميناهم «فهم لا يبصرون» يعني سبيل الهدى «وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» يعني من يريد الله إضلاله لم ينفعه الإنذار «إنما تنذر من اتبع الذكر» يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع القرآن وعمل بما فيه «وخشي الرحمن بالغيب» أي خافه في السر والعلن «فبشره بمغفرة» أي لذنوبه «وأجر كريم» يعني الجنة قوله تعالى «إنا نحن نحيي الموتى» أي للبعث «ونكتب ما قدموا» أي من الأعمال من خير وشر «وآثارهم» ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم إلى المسجد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية وقال حديث حسن غريب عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الأرض الخالي الذي لا يستره شيء عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا أنا كنا تحولنا قوله بني سلمة أي يا بني سلمة وقوله دياركم الزموا دياركم وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام قوله تعالى «وكل شيء أحصيناه» أي حفظناه وعددناه وأثبتناه «في إمام مبين» يعني اللوح المحفوظ قوله عز وجل «واضرب لهم مثلا» أي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة «أصحاب القرية» يعني أنطاكية «إذ جاءها المرسلون» يعني رسل عيسى عليه السلام قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا

يرعى غنما

وهم

الإنذار

إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... أخرجه الترمذي

يرعى غنما له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى ندعوك من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله فقال الشيخ إن لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه أنطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما إليه فدعا بهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك فقال لهما قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى ها هنا قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا كان لك الشرف ولإلهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم إن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم فيصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين إن قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن ها هنا ميتا مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته لم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاءوا بالميت وقد تغير وأنتن فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال إني ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة

على

حتى جاء

بقتل الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار بيده الى صاحبيه فتعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما قال وهب اسمهما يحيى ويونس وقال كعب صادق ومصدوق فعززنا بثالث اي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الارسال اليه لان عيسى انما بعثهم بامر الله عز وجل فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمان من شيء اي لم يرسل رسولا ان انتم الا تكذبون اي فيما تزعمون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين اي بالآيات الدالة على صحتنا قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم لئن لم تنتهوا اي تسكتوا عنا لنرجمنكم اي لنقتلنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم اي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني اصابكم الشؤم من قبلكم قال ابن عباس حظكم من الخير والشر ائن ذكرتم معناه انطيرتم لان وعظتم وخوفتم بل انتم قوم مسرفون اي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصف لعياله ونصف يتصدق به فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل قصدهم ثم جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال اتسألون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا وانت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باالهتهم وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه الشكر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم اليق قيل معناه واي شيء لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم أأتخذ من دونه آلهة اي لا اتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمان بضر اي بسوء ومكروه لا تغن عني اي لا تدفع عني شفاعتهم شيئا اي لا شفاعة لها فتغني ولا ينقذون اي من ذلك المكروه وقيل من العذاب اني اذا لفي ضلال مبين اي خطإ ظاهر اني آمنت بربكم فاسمعون اي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل لقومه فلما قال ذلك وثب القوم وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقبره

لانها كانت قبل النفخ فيها فلما دخل الجنة قيل ادخل الجنة فلما دخلها ورأى نعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تمنى ان يعلم قومه ان الله عز وجل غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله عليهم فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني الملائكة وما كنا منزلين اي ما كنا نفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان ايسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة فصاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون اي ميتون يا حسرة على العباد يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم لما عاينوا العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة اذا لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله يا حسرة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون قوله تعالى الم يروا اي الم يخبروا خطاب لاهل مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون اي من الامم الخالية والقرون اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون بهم وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة وآية لهم يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى الارض الميتة احييناها اي بالمطر واخرجنا منها اي من الارض حبا يعني الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا فيها اي في الارض جنات اي بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره اي من الثمر الحاصل بها وما عملته ايديهم اي من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقيل علمت بغيرها وقيل ما للنفي والمعنى لم تعمله ايديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة افلا يشكرون اي نعمة الله سبحان الذي خلق الازواج كلها يعني الاصناف كلها مما تنبت الارض اي من الثمار والحبوب ومن انفسهم اي من الذكور والاناث ومما لا يعلمون اي مما خلق الله من الاشياء في البر والبحر مما لم ... قوله عز وجل وآية لهم يعني تدلهم على قدرتنا الليل نسلخ منه اي ننزع منه ونكشط عنه النهار فاذا هم مظلمون اي في الظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها اي الى مستقرها ... وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي الى آخرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع الى ادنى منازلها وهو انها تسير حتى تنتهي الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل

مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وعن
ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية ابدا الى يوم القيا
مة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم
عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي
صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس اتدري اين تذهب الشمس قال قلت الله ورسو
له اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن ويؤذن لها ويوشك ان
تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع
من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجه
في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النواوي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر
الحديث قال الواحدي وعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت
العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واحد لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتها
ء سيرها عند انقضاء الدنيا واما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم
ذلك اي الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل الفطن عن استخرا
جه وتتحير الافهام في استنباطه تقدير العزيز اي الغالب بقدرته على كل مقدور العليم
اي المحيط بكل شيء قوله تعالى والقمر قدرناه منازل اي قدرنا له منازل وهي ثمانية
وعشرون منزلا كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثما
نية والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان في اخر منازله دق وتقو
س فذلك قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وهو العود الذي عليه الشماريخ
العذق والموضع من النخلة والقديم الذي اتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس
واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى اخر منازله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى
ولا الليل سابق النهار اي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء احدهما قبل وقته
وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الاخر فلا تطلع الشمس في الليل ولا يطلع القمر بالنهار وله
ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع
مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل وكل في فلك يسبحون
اي الشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل وآية لهم انا حملنا ذريتهم
يعني اولادهم في الفلك المشحون اي المملوء وخلقنا لهم من مثله اي مثل الفلك
ما يركبون من الابل وهي سفاين البر وقيل اراد بالفلك المشحون سفينة نوح ومعنى الا
ية ان الله حمل اباءهم الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية لهم
ومنه قول العباس بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق وانما ذكر ذريا
تهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وابلغ في التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكو
ن قوله تعالى من مثله اي من مثل ذلك الفلك ما يركبون اي من السفن والزوارق في الانهار

الكبار والصغار

في الكبار والصغار وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون
اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابي الا رحمة منا ومتاعا الى حين
يعني الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء اجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين
ايديكم وما خلفكم قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم
يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم يعني وقائع الله بمن كان قبلكم
من الامم وما خلفكم يعني الاخرة لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء الرحمة وجوا
ب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى وما تاتيهم
من اية من ايات ربهم اي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين
قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي مما اعطاكم الله نزلت في كفار
قريش وذلك ان المومنين قالوا للكفار من مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من اموا
لكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعامهم قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه اي رزقه وقيل كان العاصي بن وائل السهمي اذا سا
له المسكين قال اذهب الى ربك فهو اولى بك ويقول قد منعه الله اطعمه انا ومعنى
الاية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم
من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء ويقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا
الذي يزعمون باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير
لا بخلا واعطى الغني لا استحقاقا وامر الغني بالانفاق لا لحاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني
بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله تعالى وحكمته في
خلقه والمومن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ان انتم الا
في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين معناه ما انتم الا في خطأ بين باتباعكم
محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله للكفار لما ردوا جواب المومنين ويقولون
متى هذا الوعد يعني يوم القيامة والبعث ان كنتم صادقين قال الله تعالى ما ينظرون اي ينتظرون
الا صيحة واحدة قال ابن عباس يريد النفخة الاولى تاخذهم وهم يخصمون اي في
امر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي تصرفاتهم فتاتيهم
الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه
ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط
حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري
وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا واول من
يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها
الناقة القريبة العهد بالنتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يصلحه ويطينه
وكذلك يلوط حوض ابله واصله من اللصوق وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق واصغى

عنقه بجسمه وقوله تعلى فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون على الايصاء اي بعضا
من الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون يعني لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان
الساعة لا تمهلهم لشيء. ونفخ في الصور هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث و
بين النفختين اربعون سنة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بين النفختين اربعون قيل اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا
قال ابيت قالوا اربعين سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل
وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم
القيامة فاذا هم من الاجداث اي القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون منها احياء.
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعلى يرفع عنهم
العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا اهوال يوم القيامة
دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها
كالنوم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اقروا
حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من
مرقدنا فيقول المومن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة
يعني النفخة الاخيرة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي للحساب فاليوم لا تظلم نفس
شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون فقوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
قال ابن عباس في افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله عز وجل
وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب فاكهون
قال ابن عباس فرحون ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه هم وازواجهم في ظلال يعني
اكنان القصور على الارائك يعني السرر في الحجال متكئون اي ذووا اتكاء تحت تلك
الظلال لهم فيها فاكهة اي في الجنة ولهم ما يدعون يعني ما يتمنون ويشتهونه
لغة ان كل ما يدعو اهل الجنة يأتيهم سلام قولا من رب رحيم يعني يسلم الله
عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب عز وجل
قد اشرف عليهم من فوقهم وقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام
قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون
اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة
من ربهم وقيل تدخل الملائكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم
وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي
اعتزلوا وانفردوا وتميزوا من المومنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل في النار
بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول
يمتاز بعضهم من بعض قوله عز وجل الم اعهد اليكم يا بني ادم يعني الم امركم واو
صيكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان يعني لا تطيعوه فيما يوسوس لكم ويزين معصية

انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وان اعبدوني اي اطيعوني ووحدوني هذا صراط
مستقيم اي لا صراط اقوم منه قوله تعلى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا
كثيرا افلم تكونوا تعقلون يعني ما اتى من هلاك الامم الماضية بطاعة
ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون يعني بها في الدنيا
اصلوها اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون قوله عز وجل اليوم نختم على افو
اههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون معنى الاية
ان الكفار يجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويحلفون والله ربنا ما كنا مشركين
فيختم الله على افواههم وتنطق جوارحهم فيعلمون ان اعضاءهم التي كانت عونا
لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان
فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت
ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه اقرار
بما عمل عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب
قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا
لا قال والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما قال فيلقى
العبد ربه فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك
ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم انساك
كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك
الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا
فيقول اليوم انساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك
واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقي
فيقول اي رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت
ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا اذا ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك
ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه
بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه. قوله
اي فل يعني يا فلان قوله واسودك اي جعلتك سيدا قوله واذرك اي واتركك قوله ترأس
اي تتقدم على القوم بالرياسة قوله وتربع اي تأخذ المرباع وهو ما يأخذ الرئيس
لنفسه من الغنائم وهو ربعها ومن قوله ليعذر من نفسه اي يثبت الحجة
وذلك ليعذر من نفسه اي تثبت الحجة عليه بشهادة اعضائه عليه عن انس بن
مالك رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون
مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم
قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا
وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله قال ثم

فمنطوق باعماله

فانه ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا اي هلاكا فعنكن
كنت اناضل قوله لا اجيز الا شاهدا مني اي علي وقوله بعدا لكن وسحقا اي هلاكا
قوله فعنكن كنت اناضل اي اجادل واخاصم قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم
اي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق لو نشاء لاعمينا اعينهم
الظاهرة كما اعمينا قلوبهم فاستبقوا الصراط اي فبادروا الى الطريق فانى يبصرون
اي كيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس معناه لو نشاء لفقأنا اعين ضلا
لتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم
فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم يعني
ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم حجارة لا ارواح
فيها فما استطاعوا مضيا اي لا يقدرون ان يبرحوا ولا يرجعون الى ما كانوا عليه
وقيل لا يقدرون على الذهاب والرجوع ومن نعمره ننكسه في الخلق اي نرده الى ارذل
العمر كشبه الصبي اول الخلق وقيل تضعف جوارحه بعد قوتها وتنقصها بعد زيا
دتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسمه وخلو من عقل وعلم في حال
صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان يبلغ اشده واستكمل قوته وعقله
وماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرده الى الوضع
الاول وهذه هي ننكسه في الخلق افلا يعقلون فيعتبروا ويعلموا ان الذي قدر على احوال الا
نسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له
قيل ان كفار مكة قالوا محمد شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه
الشعر وما ينبغي له اي ما يتسهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو اراد نظم شعر لم يتات له كما
جعلناه اميا لا يكتب لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت
شعر وان تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو
بكر يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا اشهد انك رسول الله
هذا احد بيت مرسل وروي عن عائشة رضي الله عنها وقيل لها هل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بال
اخبار من لم تزود اخرجه الترمذي وفي رواية لغيره عن عائشة سئلت هل كان النبي صلى
الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل
الا ببيت اخي بني قيس طرفة ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار
من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول
الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله
قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فعثر فدميت اصبعه فقال هل انت
الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاكرم الانصار والمهاجرة

وروي ان النبي

بعد

وقد اعمينا اعينهم والمعنى لو نشاء لا ضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون

اثبت

وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فلنا ما هو
الا من كلام الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من
غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق عليه كثير من الفصحاء ان الناس في خطبهم
ورسائلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا وفي خارج كلامهم البحور ومع ذلك فان ال
خليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القران من جنس الشعر قال
ان هو الا ذكر يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس
على اساليب العرب ولا هو خارج عنها وقران مبين اي انه كتاب سماوي يقرا في المحار
يب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والاجر وفيه المحكم والاحكام و
بيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وما قيل
الشعراء الكذب بين لينذر اي يا محمد وقرئ بالياء اي القران من كان حيا يعني مؤمنا
حي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ويحق القول اي وتجب حجة العذاب
على الكافرين قوله عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا اي تولينا
خلقه باي بيان اعنا له من غير اعانة احد في انشائه كقول القائل عملت هذا
بيدي اي انا ابتدعته ولم يشاركني فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وفي
خلق ذلك من الاسرار العظيمة التي لا يقدر عليها الا هو انعاما انما خص الانعام بالذكر
وان كانت الاشياء كلها من خلق الله وايجاده لان النعم اكثر اموال العرب والنفع
بها اعم فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم يتصرفون
فيها تصرف المالك وقيل معناه فهم ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم اصبحت لا
احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبط راس البعير والمعنى لم نخلقها
وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم
وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي الابل ومنها يأكلون اي الغنم و
لهم فيها منافع ومشارب اي من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها و
نسلها ومشارب اي من البانها افلا يشكرون رب هذه النعم واتخذوا من دون الله الهة
يعني الاصنام لعلهم ينصرون اي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط لا يستطيعون نصرهم
قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون
اي الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا
تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه
في الدنيا كانهم جند محضرون في النار فلا يحزنك قولهم يعني قول كفار مكة في تكذيبك انا نعلم
ما يسرون اي في ضمائرهم من التكذيب وما يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون
بالسنتهم من الاذى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من نطفة قذرة خسيسة
فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم
مع مهانة اصله لا ينتصب لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكار البعث وكيف
لا يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة وفي الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي

والمعجزات

لتبدايع

بعير

الغنم

صلى الله عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده فقال اترى يحيي الله هذا
بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الآية وضرب
لنا مثلا ونسي خلقه اي بدء امره قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية والمعنى وضرب
لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته وتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسي اول خلقه
وانه مخلوق من نطفة قل يحييها الذي انشأها اول مرة اي خلقها اول مرة وابتدأ خلقها
وهو بكل خلق عليم اي من الابتداء والاعادة عليم اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء
من خلق ابتداء واعادة الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا قال ابن عباس هما شجرتان
يقال لاحدهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن اراد النار
قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ
والعفار اي استكثروا ذلك لان هاتين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل
شجر نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر
ما هو اعظم من خلق الانسان فقال عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم بلى اي هو قادر على ذلك وهو الخلاق العليم اي يخلق خلقا بعد خلق
العليم اي بجميع ما خلق انما امره اذا اراد شيئا اي احداث شيء وتكوينه ان يقول له كن
اي ان يكونه من غير توقف فيكون اي فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء اي وهو مالك كل شيء والمتصرف فيه واليه ترجعون اي تردون بعد الموت
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الصافات

مكية وهي مائة واثنتان وثمانون اية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف
وستة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن عباس
هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند
ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ ابي داود وقيل هم الملائكة تصف
اجنحتها في الهواء واقفة حتى يامرها الله بما يريد وقيل المراد بالصافات الطير تصف
اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر
القرآن تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا يعني الملائكة يتلون ذكر الله وقيل هم
قراء القرآن وهذا كله قسم اقسم الله بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب
الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى ان الهكم لواحد وذلك ان كفار مكة
قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها
وكمال مراتبها والرد على عبادة الاصنام في قوله ثم وصف نفسه فقال تعالى رب السموات والارض
وما بينهما يعني انه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك وقوله ورب المشارق قيل
اراد والمغارب فاكتفى بذكر احدهما قال السدي ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب
فان الشمس تطلع في كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في موضع اخر رب المشرقين

ورب المغربين

ورب المغربين وقال رب المشارق والمغارب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت
اراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين والمغربين
مشرقي الصيف والشتاء فبالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء واراد بالمشارق
والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع تشرق عليه الشمس فهو مشرق وكل
موضع تغرب عليه الشمس فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى انا زينا
السماء الدنيا يعني التي تلي الارض وهي ادنى السموات الى الارض بزينة الكواكب قال ابن عباس
بضوء الكواكب اي الضوء والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب
في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المختلفة
بهيئتها والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرهما وقيل ان الانسان اذا نظر في
الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلالية على سطح ازرق فهو
غاية الزينة وحفظا من كل شيطان مارد اي وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات
يرمون بالشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى يعني الى الملائكة والكتبة لانهم يسكنون السماء
وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم
من الانس ويوهمونهم انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب
وهو قوله ويقذفون اي يرمون بها من كل جانب من آفاق السماء دحورا اي يبعدون
عن مجالس الملائكة ولهم عذاب واصب اي دائم يخرجون ويبعدون الا من خطف الخطفة
اي اختلس الكلمة من كلام الملائكة فاتبعه اي لحقه شهاب ثاقب اي كوكب مضيء
قوي لا يخطئه بل يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه
لانه يثقبهم فان قلت كيف يجوز ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب
تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق
السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب
على ظنه حصول السلامة وقوله عز وجل فاستفتهم يعني سل اهل مكة اهم اشد
خلقا ام من خلقنا يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اي هذه الاشياء
اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعني من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا
من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر
مما خلقوا فقال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني لاصق من طين حر لاصق لزج
يعلق باليد وقيل من طين منتن بل عجبت قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله وليس هو كالتعجب
من الادميين لان التعجب من الناس محمول على انكار الشيء وتعظيمه والتعجب من الله
محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة
فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان
والرضى كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث اخر عجب
ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله من الكم الال اشد القنوط
وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من
شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما [illegible]

كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك
وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين انزل وضلال بني
آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون
القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت
ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا وعظوا لا يتعظون وإذا رأوا آية قال ابن عباس يعني
انشقاق القمر يستسخرون اي يستهزئون وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخر وقالوا
ان هذا الا سحر مبين اي بين ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون أوآباؤنا الاو
لون قل نعم وانتم داخرون اي صاغرون فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة وهي نفخة
البعث فاذا هم ينظرون يعني احياء وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يعني يوم الحساب
والجزاء هذا يوم الفصل اي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء الذي كنتم به تكذبون
احشروا اي اجمعوا الذين ظلموا اي اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم وازواجهم
اي اشباههم وامثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنى
مع اهل الزنى وقيل ازواجهم اي قرناؤهم من الشياطين يعني كل كافر مع شيطانه في سلسلة
وقيل ازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله اي في الدنيا يعني الاصنام وا
لطواغيت وقيل ابليس وجنوده فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس اسرعوا الى
يعني النار وقفوهم اي احبسوهم انهم مسؤولون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط
للحساب قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروي عنه عن لا اله الا الله
وروي عن ابي برزة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة
حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفي رواية وعن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي
وله عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شيء الا كان
موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤو
لون ما لكم لا تناصرون اي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم
بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى بل
هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم
اذلاء منقادون لا حيلة لهم واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع يتساءلون
يعني يتخاصمون قالوا يعني الاتباع للرؤساء انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من قبل
الدين فتضلوننا عنه وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين
الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم كنتم تحلفون فنثق بايمانكم وقيل
عن اليمين اي عن القوة والقدرة والقول الاول اصح وما كان لنا عليكم من سلطان اي من
قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا بل كنتم قوما طاغين اي ضالين فحق علينا اي
وجب علينا جميعا قول ربنا يعني الضال والمضل جميعا في النار فاغويناكم
اي فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه انا كنا غاوين اي ضالين
قال الله تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الرؤساء والاتباع

انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين الله
تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى انهم كانوا
اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون
منها ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم قال الله ردا عليهم بل جاء بالحق وصدق المرسلين يعني انه اتى بما اتى به المرسلون
قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون
الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك والتكذيب الا اي لكن هو استثناء منقطع
عباد الله المخلصين اي الموحدين اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا
وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ورائحة ولذ
ة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى فواكه جمع فاكهة وهي
الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق
اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسامهم
خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم اخبر انه حاصل مع الاكرام
والتعظيم فقال وهم مكرمون اي بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال في جنات
النعيم على سرر متقابلين يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم
فقال يطاف عليهم بكأس من معين كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا
لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر وكأس
شربت على لذة ومعنى معين اي من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون بيضاء
اي خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة اي لذيذة للشاربين لا فيها غول
اي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها وقيل لا وجع بطن
ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد
منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والخمار
والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون اي لا تغلبهم
على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف ازواجهم فقال وعندهم
قاصرات الطرف اي حابسات الاعين غاضات الاجفان قصرن اعينهن على ازوا
جهن فلا ينظرن الى غيرهم عين اي حسان الاعين عظامها كأنهن بيض مكنون
اي مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار
فيكون لونها ابيض في صفرة ويقال هذا احسن الوان النساء وهو ان تكون المرأة بيضاء
مشربة صفرة والعرب تشبه النساء ببيض النعام وتسميهن بيضات الخدور
قوله عز وجل فاقبل بعضهم على بعض يعني اهل الجنة في الجنة يتساءلون اي يسأل
بعضهم بعضا عن حالهم في الدنيا قال قائل منهم اي من اهل الجنة اني كان لي قرين
في الدنيا ينكر البعث وقيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا اخوين
وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما

وهما اللذين قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول أئنك
لمن المصدقين اي بالبعث أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون اي مجزيون ومحا
سبون وهذا استفهام وانكار قال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون اي الى النار وقيل
يقول المومن لاخوانه من اهل الجنة فهل انتم مطلعون لتنظروا كيف منزلته اخي في النار فيقو
لون اهل الجنة انتم اعرف به منا فاطلع اي المومن قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر
منها اهلها الى النار فرءاه في سواء الجحيم اي فرءا قرينه في وسط النار سمي وسط
الشيء سواء لاستواء الجوانب منه قال تالله ان كدت لتردين اي والله لقد كدت ان
تهلكني وقيل تغويني ومن اغوى انسانا فقد ارداه واهلكه ولولا نعمة ربي اي رحمة
ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين اي معك في النار افما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى اي في الدنيا وما نحن بمعذبين قيل يقول هذا اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت
فيقول الملائكة لهم لا فيقولون ان هذا لهو الفوز العظيم وانما يقولون هذا على جهة
التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على
طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام
ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل يقوله المومن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره
ثم قال الله تعالى لمثل هذا اي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله اولئك لهم رزق معلوم
فليعمل العاملون هذا ترغيب في ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته قوله تعالى اذلك
اي الذي ذكر لاهل الجنة من النعيم خير نزلا اي رزقا ام شجرة الزقوم اي
التي هي نزل اهل النار والزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل
النار على تناولها فهم يتزقمونه على اشد كراهته وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة
من اخبث الشجر انا جعلناها فتنة للظالمين اي للكافرين وذلك انهم قالوا كيف
تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا
بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة اهل اليمن فادخلهم
ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال ابو جهل تزقموا
فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي في قعر
النار واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها اي ثمرها سمي طلعا لطلوعه كانه
رءوس الشياطين قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم
عند الناس فان قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه
قلت انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكانه قيل ان اقبح الاشياء
في الوهم والخيال رءوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا
ارادت منظرا قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس اتقتلني والمشرفي
مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل
ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رءوس الشياطين فشبهها بها وقيل
اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا فانهم لآكلون
منها

فانهم لآكلون منها اي من ثمرها فمالئون منها البطون وذلك انهم يكرهون على اكلها
حتى تمتلئ بطونهم ثم ان لهم عليها لشوبا اي خلطا ومزاجا من حميم اي من ماء شديد
شديد الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم فشاب الحميم الزقوم
في بطونهم فصار شوبا له ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وذلك انهم يردون الى الحميم لشرب
شرب الحميم انهم الفوا اي وجدوا اباءهم ضالين فهم على ءاثارهم يهرعون اي
يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الخالية
ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي وارسلنا فيهم رسلا منذرين فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين اي الكافرين وكان عاقبتهم العذاب الا عباد الله المخلصين اي الموحدين فانهم نجوا
من العذاب والمعنى انظر كيف اهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل
ولقد نادانا نوح اي دعا ربه على قومه وقيل دعا ان ينجيه من الغرق فلنعم المجيبون اي نحن
دعانا فاجبناه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغم الذي لحق
قومه وهو الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح قال ابن عباس
لما خرج من السفينة مات كل من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم عن
سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين
قال سام وحام ويافث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية اخرى
سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفارس والروم
وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك وتركنا
عليه في الآخرين اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيا
مة سلام على نوح في العالمين اي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه الخير اي جعلنا
عليه الى يوم القيامة انا كذلك نجزي المحسنين اي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن
في العالمين انه من عبادنا المومنين ثم اغرقنا الآخرين يعني الكفار قوله عز وجل وان من
شيعته اي من شيعة نوح لابراهيم يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته
اذ جاء ربه بقلب سليم اي خالص من الشك والشرك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد
يحب للناس ما يحب لنفسه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون استفهام توبيخ أئفكا
ءالهة دون الله تريدون اي اتاتكون افكا وهو اسوء الكذب وتعبدون ءالهة سوى الله
فما ظنكم برب العالمين يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم فنظر
نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم
من حيث كانوا يتعاطون ويتعاطون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم
في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا
يدخلون على اصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم
الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم
الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس اي مطعون وكانوا يفرون
من الطاعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه ساسقم وهو من معاريض الكلام وقد

الكلام وفيه تفسير الجواب عنه في سورة الانبياء. وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما
كان ببعض الطريق القى بنفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتولوا عنه مدبرين اي
الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى فراغ اي مال الى آلهتهم
ميلة في خفية فقال اي للاصنام استهزاء بهم الا تاكلون يعني الطعام الذي بين
ايديكم ما لكم لا تنطقون فراغ اي مال عليهم ضربا باليمين اي ضربهم بيده اليمنى
لانها اقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل اراد باليمين القسم
وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم يزفون اي يسرعون
وذلك انهم اخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه لياخذوه فقال لهم ابراهيم
على وجه الحجاج اتعبدون ما تنحتون بايديكم من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي
وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه بايديكم من الاصنام وفي الآية دليل على ان افعال
العباد مخلوقة لله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم قيل انهم بنوا له حائطا
من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملأوه من الحطب واوقدوا
عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله فارادوا به كيدا اي شرا وهو ان يحرقوه
فجعلناهم الاسفلين اي المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم وقال يعني ابراهيم
اني ذاهب الى ربي سيهدين اي مهاجر الى ربي واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار
سيهدين الى حيث امرني بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه
الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي هب لي ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم
في كبره اي حليم في كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم
فلما بلغ معه السعي قال ابن عباس يعني المشي معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ
سعيه سعي ابراهيم والمعنى انه بلغ ان يتصرف معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله و
هو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك
قيل انه لم يرفي منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة
دمه ورؤيا الانبياء حق فلهذا اراد ان يفعله واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي
امر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحاق واليه ذهب جماعة من الصحابة
عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة
ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي واختلفت الرواية عن ابن عباس فروى عنه
انه اسحاق وروى عنه انه اسماعيل ومن ذهب الى انه اسحاق قال كانت هذه القصة بالشام وروى
عن سعيد بن جبير قال ان ابراهيم رأى ذبح اسحاق في المنام وهو في الشام فسار به مسيرة شهر
في غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر
في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسماعيل واليه ذهب عبد الله
بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي
والكلبي ورواية عطاء بن ابي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسماعيل وكلا
القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحاق بقوله تعالى فبشرناه بغلام

حليم فلما بلغ معه السعي امر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر
بولد سوى اسحاق كما قال تعالى فبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
عقب البشارة بعد قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان اول الآية واخرها يدل
على ان اسحاق هو الذبيح ومما ذكر ايضا من كتاب يعقوب الى ولده يوسف
لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله
واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسماعيل لان الله ذكر البشارة باسحاق
بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من
الصالحين دل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال في سورة هود
فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فكيف يامره بذبح اسحاق
وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسماعيل بالصبر دون
اسحاق في قوله واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو
صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق
الوعد لانه وعد اباه من نفسه على الصبر على الذبح فوفى له بذلك
وقال القرظي سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان اسلم
وحسن اسلامه اي ابني ابراهيم امره الله بذبحه فقال اسماعيل ثم قال
يا امير المومنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم يا معشر
العرب ان يكون اباكم هو الذي امره الله بذبحه ويزعمون انه اسحاق
وابوهم ومن الدليل ايضا ان قرني الكبش كانا متعلقين بباب الكعبة
في ايدي بني اسماعيل الى ان احترق البيت في زمان ابن الزبير قال الشعبي
رايت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي
بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب
الكعبة يعني يبس وقال الاصمعي سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح
كان اسحاق او اسماعيل فقال يا اصمعي اين عقلك متى كان اسحاق
انما كان بمكة اسماعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه ذكر الاشارة
الى القصة الذبيح قال العلماء بالسير والاخبار لما كثر نماء ابراهيم
ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشره بغلام قالوا هو اسحاق
الذبيح قال فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك هذا هو
السبب في امر الله بالذبح فقال لاسحاق انطلق نتقرب بك الى الله قربانا
فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال
الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى
قال يا ابت افعل
ما تؤمر وقال

وقال محمد بن إسحاق كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذا زار هاجر وإسماعيل حُمل
فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام
حتى بلغ معه إسماعيل السعي وأخذ بنفسه ورجا به ما كان فيه من عبادة
ربه وعظيم حرماته أُمر في المنام أن يذبحه وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن
قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى في نفسه أي فكّر
من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم
يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله
فسمي بذلك اليوم يوم عرفة وقيل إن ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما
عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه
فقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى أي من الرأي
على وجه المشاورة فإن قلت شاوره في أمر قد علم أنه حتم من الله وما الحكمة
في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع إلى رأيه وإنما شاوره ليعلم ما عنده فيما
نزل من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته وتثبيت
قدمه وبصره إلى أن جزع ويراجع نفسه ويرتبط وليلقى البلاء وهو
كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله فإن قلت
لم كان ذلك في المنام ولم يكن في اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت إن هذا
الأمر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطئة
له ثم تأكد حال النوم بأحوال اليقظة فإذا تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى
في الدلالة ورؤيا الأنبياء قال يا أبت افعل ما تؤمر الغلام لأبيه افعل ما
أمرت به قال ابن إسحاق وغيره لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ
الحبل والسكين وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب فلما خلا إبراهيم بابنه
في الشعب أخبره بما أمر الله تعالى قال افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله
من الصابرين إنما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وأنه لا حول
عن معصية الله تعالى ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله تعالى فلما أسلما
يعني انقادا وخضعا لأمر الله وذلك أن إبراهيم عليه السلام أسلم ابنه وأسلم
الابن نفسه وتله للجبين أي صرعه على الأرض قال ابن عباس أضجعه على
جنبه على الأرض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطي كيلا
أضطرب واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه
أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع من السكين على حلقي ليكون أهون علي
فإن الموت شديد وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني وإن رأيت أن ترد

قميصي

قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال إبراهيم عليه
السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ففعل إبراهيم ما أمره به ابنه
ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم إنه وضع السكين
على حلقه فلم تحك شيئا ثم إنه شحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع
أن يقطع شيئا وقيل ضرب الله صفحة من النحاس والأول أبلغ في القدرة وهو منع
الحديد على اللحم قال وقال الابن عند ذلك يا أبت كبني لوجهي على جبيني
فإنك إذا نظرت لوجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله وأنا
لا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها ففعل إبراهيم عليه السلام ووضع السكين
فانقلبت ونودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا وروي عن كعب الأحبار وابن
إسحاق عن رجاله قال لما رأى إبراهيم ذبح ولده قال الشيطان لئن لم أفتتن عند هذا
آل إبراهيم لا أفتتن منهم أحدا أبدا فتمثل الشيطان في صورة رجل
وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك قالت
قالت ذهب ليحتطب من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به إلا
ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال إنه يزعم
أن الله أمره بذلك قالت إن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع
ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على إثر أبيه
فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب أبوك قال يحتطب لأهلنا من الشعب
قال لا والله ما يريد إلا أن يذبحك قال ولم قال إن ربه أمره بذلك قال فليفعل
ما أمره ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام أقبل على إبراهيم فقال
له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله إني لأرى
الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ولدك هذا فعرفه إبراهيم
عليه السلام فقال إليك عني يا عدو الله فوالله لأمضين لأمر ربي فرجع
إبليس بغيظه فلم يصب من إبراهيم وآله شيئا مما أراد وامتنعوا بعون
منه بعون الله عز وجل وروي عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام
لما أراد ذبح ابنه عرض عليه الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه
إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم مضى إبراهيم لأمر الله فقوله فلما أسلما وتله للجبين ونا
ديناه فنودي من الجبل أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أي حصل المقصود
من تلك الرؤيا حيث ظهر كمال الطاعة والانقياد لأمر الله وكذلك الولد
فإن قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح وإنما كان تصديقها
لو حصل منه الذبح قلت

قلت مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله
الذابح فقد حصل المطلوب وهو الله تعالى والانقياد لهما لذلك فلذلك قد
صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين يعني جزاه الله
لطف عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ان هذا لهو البلاء المبين
اي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده وفديناه بذبح عظيم قيل نظر ابراهيم
فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح اقرن فقال يا ابراهيم هذا فداء ابنك فاذبحه
دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم
واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان ذلك الكبش
راعيا في الجنة اربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم
وهو الذي قربه ابن ادم قيل وحق له ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل
وقيل سمي عظيما لانه من عند الله وقيل في الثواب وقيل العظمة سمنه
وقال الحسن ما فدي اسماعيل الا بكبش من الاروى اهبط عليه من ثبير وتركنا
عليه في الاخرين اي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده سلام على ابراهيم
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وبشرناه
باسحاق نبيئا من الصالحين اي بوجود اسحاق وهذا على قول من يقول ان
الذبيح هو اسماعيل ومعناه انه بشر باسحاق بعد هذه القصة وصبره
ومن قال هو اسحاق قال معنى الاية وبشرناه بنبوة اسحاق وبذا روي
عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ وباركنا عليه
يعني على ابراهيم في اولاده وعلى اسحاق اي يكون اكثر الانبياء من نسله
ومن ذريتهما محسن اي مومن وظالم لنفسه اي كافر مبين اي ظاهر
الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن قوله
عز وجل ولقد مننا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة ونجيناهما
وقومهما يعني بني اسرائيل من الكرب العظيم يعني الذي كانوا فيه من
استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاهم من الغرق ونصرناهم يعني موسى
وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين يعني القبط واتيناهما الكتاب
يعني التوراة المستبين يعني المستنير وهديناهما الصراط المستقيم
اي دللناهما على طريق الحق وتركنا عليهما في الاخرين اي الثناء الحسن
سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من
عبادنا المومنين قوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين روي عن ابن
مسعود انه قال ان الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال اكثر المفسرين
هو

يعني بامره بالاطل

هو نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال ابن اسحاق
هو الياس ابن بشير ابن فنحاص ابن العيزار ابن هارون ابن عمران ذكر
الاشارة الى القصة قال محمد بن اسحاق وعلماء السير والاخبار لما قبض
الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل
وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله فبعث
الله عز وجل عليهم الياس نبيئا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى في بني
اسرائيل بتجديد ما نسوه من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها
على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمه بعلبك ونواحيها وهم الذين
بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه اجب وكان قد اضل قومه
وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا
وله اربعة وجوه وكان اسمه بعلا وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا
له اربعمائة خادم وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل
ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم
وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون
له ولا يومنون الا ما كان من امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس
يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها
على ملكه اذا غاب رجل مومن له جنة يتعيش منها فاخذها وقتله
فبعث الله الياس الى الملك وقومه وامرهم ان يخبرهم ان الله غضب لوليه
حين قتلوه ظلما والى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنة
على ورثة المقتول ان يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين
فيها ولا يتمتعان بها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك واوحى الله في
امره وامر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد
غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب
الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج هاربا عنه ورجع الملك
الى عبادة بعل والياس يشتد هو في الجبال فكان يأوي الى الشعب والكهوف
فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا ياكل من نبات الارض وثمار الشجر
وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره عنهم فلما طال الامر
على الياس وسكن الكهوف والجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا
فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن
والجزع الذي انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي

سلني اعطيك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي
فإني قد مللت بني إسرائيل وملوني فأوحى الله إليه يا إلياس ما هذا اليوم
الذي أعري منك الأرض وأهلها وإنما صلاحها وقوامها بك وبأشباهك
وإن كنتم قليلا ولكن سلني فأعطيك قال إلياس إن لم تمتني فأعطني ثأري
من بني إسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد أن أعطيك قال تملكني
خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر
عليهم قطرة إلا بشفاعتي فإنهم لا يذلهم إلا ذلك قال الله عز وجل يا إلياس
أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فست سنين وإن كانوا الظالمين قال فخمس سنين
قال فست سنين قال أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي
من ذلك ولكن أعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال
إلياس فبأي شيء أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك
من الريف والأرض التي لم تقحط قال إلياس قد رضيت فأمسك الله عنهم المطر
حتى هلكت عنهم الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا
وإلياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع الرزق حيث كان وقد عرف
قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بني إسرائيل ثلاث سنين القحط فمر
إلياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل
قال فأتيني بهما ودعا فيهما بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا
وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر
بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك إلياس
وطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم إنه أوى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل
ولها ابن يقال له اليسع ابن أخطب وكان به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا
لابنها فعوفي من الضر الذي كان عرض به واتبع اليسع إلياس وآمن به وصدقه
ولزمه وذهب معه حيث ما ذهب وكان إلياس قد كبر وأسن واليسع
غلام شاب ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس أنك قد أهلكت كثيرا من الخلق
ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس القطر فيزعمون
أن إلياس قال دعني أكون أنا الذي أدعو إليهم وآتيهم
بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعوا عما هم فيه وينزعوا من عبادة
غيرك فقيل له نعم فجاء إلياس إلى بني إسرائيل فقال إنكم قد هلكتم جوعا
وجهدا وهلكت الدواب والبهائم والطير والهوام بخطاياكم وأنتم
على باطل فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فأخرجوا أصنامكم فإن استجابت لكم فذلك كما

تقولون

تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج
عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم ودعوها
فلم يفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا لإلياس إنا قد هلكنا فادع
الله لنا فدعا إلياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس
على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله
عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله عنهم الضر
نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه
فلما رأى ذلك إلياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون
انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه
ولا تهبه فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به
أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي إلياس فوثب
عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا إلياس ما تأمرني فقذف
بكسائه من الجو الأعلى فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني
إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله إلياس من بين أظهرهم
وقطع الله عنه لذة المطعم والمشرب والملبس وكساه الريش فصار
إنسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله على أجب الملك وقومه عدوا لهم
فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل أجب وامرأته أزبيل
في الجنينة التي أخذها حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله
اليسع وبعثه رسولا إلى بني إسرائيل وأوحى الله إليه وأيده فآمنت
به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله فيهم قائم إلى أن فارقهم
اليسع وروى عن يحيى ابن عبد الله العزيز عن أبي داود قال إلياس
والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام
وقيل إن إلياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله
تعالى وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا
يعني أتعبدون بعلا صنم كان لهم كانوا يعبدونه وكذلك سميت
مدينتهم بعلبك قيل إن البعل الرب بلغة اليمن وتذرون أي وتتركون
عبادة أحسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم ورب آبائكم الأولين
فكذبوه فإنهم لمحضرون أي في النار إلا عباد الله المخلصين أي
من قومه الذين آمنوا به فإنهم نجوا من العذاب وتركنا عليه
في الآخرين سلام على إل ياسين قرئ إل ياسين بالقطع قيل

إرادة الجمع. وقيل آل القرآن لأن ياسين اسم من أسماء القرآن وفيه بعد. وقرئ
آل ياسين بالوصل معناه إلياس وأتباعه من المؤمنين إنا كذلك نجزي
المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين قوله تعالى وإن لوطا لمن المرسلين
إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين أي الباقين في العذاب
ثم دمرنا أي أهلكنا الآخرين وإنكم أي يا أهل مكة لتمرون عليهم
أي على آثارهم ومنازلهم مصبحين أي في وقت الصباح وبالليل أي وبالليل في أسفاركم
أفلا تعقلون أي فتعتبرون بهم قوله عز وجل وإن يونس لمن المرسلين
أي من جملة رسل الله إذ أبق أي هرب إلى الفلك المشحون أي المملوء
قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم
فخرج كالمستخفي منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة
فقال الملاحون ها هنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على
يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء
وقيل إنه لما وصل إلى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاءت
مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته وأراد أن يركب بعدها فحال الموج
بينه وبين المركب وذهب المركب فأخذ الابن الأصغر ذئب فبقي فريدا فجاء
مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر
ركدت فقال الملاحون إن فيكم عاصيا وإلا لم يحصل وقوف السفينة
من غير ريح ولا سبب فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلأن يغرق
واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله
فساهم أي فقارع فكان من المدحضين يعني المقروعين المغلوبين
وقد تقدمت القصة في سورة يونس والأنبياء فالتقمه الحوت أي ابتلعه
وهو مليم أي أتى بما يلام عليه فلولا أنه كان من المسبحين أي الذا
كرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر في بطن الحوت ولكنه قدم
عملا صالحا وقيل شكر الله له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا
الله في الرخاء يذكركم في الشدة فإن يونس كان عبدا صالحا فلولا
أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون وقيل إنه
كان يسبح في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون أي لصار بطن
الحوت قبرا له إلى يوم القيامة قوله تعالى فنبذناه أي طرحناه
إنما أضاف المعنى إلى نفسه وإن كان الحوت هو المنابذ لأن أفعال

العباد

العباد مخلوقة لله تعالى بالعراء أي بالأرض الخالية من الشجر والنبات وقيل
بالساحل وهو سقيم أي عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلي لحمه
ورق عظمه ولم يبق له قوة قيل إنه لبث في بطن الحوت ثلاثة أيام
وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه الحوت ضحى
ولفظه عشية وأنبتنا عليه شجرة من يقطين يعني القرع قيل كل
نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه
فهو يقطين قيل أنبته الله له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة
ليحصل له الظل وفي شجر القرع فائدة وهو أن الذباب لا يجتمع عندها
فكان يونس يستظل بتلك الشجرة وكانت وعلة تختلف إليه
فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي
فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن
حزنا شديدا وجعل يبكي فأرسل الله إليه جبريل فقال أتحزن على شجرة
ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا قوله تعالى وأرسلناه
إلى مائة ألف قيل أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه
ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه إلى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت
أمر أن يرجع إليهم ثانيا وقيل كان إرساله إليهم بعد خروجه من بطن الحوت
وقيل يجوز أن يكون أرسله إلى قوم آخرين غير القوم الأولين أو يزيدون
قال ابن عباس معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو يزيدون
في تقدير الرائي إذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك
على تقدير المخلوقين والأصح هو قول ابن عباس الأول وأما الزيادة
فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا يعضده ما روي عن أبي بن كعب قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة
ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا فآمنوا فمتعنا
هم إلى حين أي إلى انقضاء آجالهم قوله عز وجل فاستفتهم
أي فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ ألربك البنات ولهم
البنون وذلك أن جهينة وبني سلمة ابن عبد الدار
والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنون وذلك بأن [illegible] العرب كانوا
يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف ينسبونه
للخالق أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون أي فيما زعموا

فلعله بالأصل في تفسير على البنين

أصطفى البنات أي في زعمكم
ما لكم كيف تحكمون أي بالبنات لله ولكم البنين أفلا تذكرون أي أفلا
تتعظون أم لكم سلطان مبين أي برهان بين على أن لله ولدا فأتوا
بكتابكم الذي لكم فيه حجة إن كنتم صادقين أي في قولكم وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار
قال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس قالوا هم
بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم فقالوا سروات الجن
وقيل معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله وقيل هؤلاء
الزنادقة الذين يقولون الخير من الله والشر من الشيطان ولقد علمت
الجنة إنهم أي هؤلاء القائلين لمحضرون أي في النار سبحان الله عما يصفون
نزه نفسه سبحانه عما يقولون إلا عباد الله المخلصين هذا استثناء
من المحضرين ومعناه أنهم لا يحضرون فإنكم يعني يا أهل مكة وما تعبدون
أي من الأصنام ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين أي بمضلين أحدا
إلا من هو صال الجحيم أي إلا من سبق له في علم الله الشقاوة أنه سيدخل
النار قوله عز وجل إخبارا عن حال الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم
يعني أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة
إلا له مقام معلوم يعبد ربه فيه قال ابن عباس ما في السموات موضع
إلا وعليه ملك يصلي ويسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع
أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي وهو طرف
من حديث قيل الأطيط أصوات الإبل وقيل أصوات الأقتاب وحنينها ومعنى
الحديث ما في السموات من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل
مؤذن بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط وقيل معنى إلا له مقام معلوم
في القربة والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء
والمحبة والرضا وإنا لنحن الصافون يعني الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله
كصفوف الناس في الصلاة في الأرض وإنا لنحن المسبحون أي المصلون
لله وقيل المنزهون لله عن كل سوء يخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
أنهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين
كما زعمت الكفار قوله عز وجل وإن كانوا ليقولون يعني كفار مكة
قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم لو أن عندنا ذكرا من الأولين يعني

كتابا

كتابا مثل كتاب الأولين لكنا عباد الله المخلصين أي لأخلصنا العبادة لله
فكفروا به فلما أتاهم الكتاب كفروا به فسوف يعلمون فيه تهديد
لهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين يعني تقدم
وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم إنهم لهم المنصورون بالحجة البالغة
وإن جندنا أي حزبنا المؤمنين لهم الغالبون أي لهم النصرة في العاقبة
فتول عنهم أي أعرض حتى حين قال ابن عباس يعني الموت وقيل إلى يوم
بدر وقيل حين أمرتك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل
إلى أن يأتيهم العذاب وأبصرهم أي إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون
أي ما أنكروا ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل أفبعذابنا
يستعجلون فإذا نزل يعني العذاب بساحتهم أي بحضرتهم وقيل بفنائهم وتعتبر
فساء صباح المنذرين أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب
ع عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله
الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها
ثلاث مرات ثم ذكر ما تقدم تأكيدا لوعد العذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى
حين وقيل المراد من الآية الأولى أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة
وعلى هذا القول يزول التكرار وأبصر أي العذاب إذا نزل بهم فسوف يبصرون
ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان ربك رب العزة أي الغلبة والقدرة
وفيه إشارة إلى كمال القدرة وأنه القادر على جميع الحوادث عما يصفون
عن اتخاذ الشركاء والأولاد وسلام على المرسلين أي الذين بلغوا
عن الله التوحيد والشرائع لأن أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا في نفسه
مكملا لغيره وهم الأنبياء عليهم السلام فلا جرم يجب على كل أحد
الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم والحمد لله رب العالمين أي على هلاك الأ
عداء ونصرة الأنبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا
به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن أبي طالب قال من أحب أن يكتال بالمكيال
الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه
يقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة
ص وتسمى سورة داود عليه السلام مكية وهي ست
وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنان وثلاثون كلمة
وثلاثة آلاف وسبع وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ص

فـ

قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد
والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن ذي الذكر قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو
قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله تعالى بالقرآن
أن محمدا لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر
ما الأمر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى **بل الذين كفروا**
وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره
بل الذين كفروا **في عزة وشقاق** والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه إن هذا لرزقنا
وقيل إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لأنه تخلل بين القسم
وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر
ومجاز الآية أن الله تعالى أقسم بص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل
مكة في عزة حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم **كم أهلكنا قبلهم من قرن** يعني الأمم الخالية
فنادوا أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة **ولات حين مناص**
أي ليس حين فرار وتأخير قال ابن عباس كان كفار مكة إذا قاتلوا [illegible]
في الحرب قال بعضهم لبعض مناص فأنزل الله تعالى ولات حين مناص أي ليس حين
هذا الفرار **وعجبوا** يعني كفار مكة **أن جاءهم منذر منهم** يعني رسولا
من أنفسهم ينذرهم **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب** قوله عز وجل
أجعل الآلهة إلها واحدا وذلك أن عمر بن الخطاب لما أسلم فشق ذلك
على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملإ من قريش وهم
الصناديد من الأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد
ابن المغيرة امشوا إلى أبي طالب ائتوا إليه وقولوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد
علمت ما فعل هؤلاء السفهاء بيننا وبين ابن أخيك فأرسل إليه
أبو طالب فدعى به فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن أخي
فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله عليه وسلم ماذا يسألوني
قالوا دعنا وآلهتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعطوني كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة
أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله فنفروا عن ذلك
وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا فكيف يسع الخلق إله واحد **إن هذا لشيء**
عجاب أي عجيب **وانطلق الملأ منهم** أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب

ان

أن امشوا أي يقول بعضهم لبعض امشوا **واصبروا على آلهتكم** أي اثبتوا
على عبادة آلهتكم **إن هذا لشيء يراد** أي لأمر يراد بنا وذلك أن عمر بن الخطاب
لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم لشيء يراد وقيل يراد بأهل الأرض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم
ما سمعنا بهذا أي بالذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد **في الملة الآخرة**
قال ابن عباس يعنون النصرانية لأنها آخر الملل وأنهم لا يوحدون بل يقولون
ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه **إن هذا إلا اختلاق**
أي كذب وافتعال **أأنزل عليه الذكر** أي القرآن **من بيننا** أي يقول أهل مكة ليس هو
بأكبرنا وأشرفنا قال الله تعالى **بل هم في شك من ذكري** أي وما أنزلت **بل لما**
يذوقوا عذاب أي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول **أم عندهم خزائن رحمة ربك**
يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاءوا **العزيز** أي في ملكه **الوهاب** الذي وهب
النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم **أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما**
أي ليس لهم ذلك **فليرتقوا في الأسباب** يعني إن ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا
في الأسباب التي توصلهم إلى السماء وليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون وقيل
أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز
جند ما هنالك أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك **مهزوم**
أي مغلوب **من الأحزاب** يعني أن قريشا من جملة الأحزاب الذين تجمعوا وتحزبوا
على الأنبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك إشارة
إلى مصارعهم ببدر قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم **كذبت قبلهم**
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد قال ابن عباس ذو البناء المحكم
وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت الأوتاد يريدون
بذلك أنه دائم شديد قال الأسود بن يعفر بيت ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة
في ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل ذو القوة وأصل هذا أن بيوتهم تثبت
بالأوتاد والبطش وفي رواية عن ابن عباس ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني
أنهم يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت
الأجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم
وقيل الأوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان إذا غضب
على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه إلى وتد
ويتركه حتى يموت أو يرسل الله عليه العقارب والحيات وقيل كان له أوتاد

واوسان وملاعب يلعب بيزيه وثمود وقوم لوط واصحاب ليكة
اولئك الاحزاب اي الاحزاب الذين تحزبوا على الانبياء. واعلم ان مشركي قريش
حزب من اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب يعني ان اولئك
الكواكب والامم الخالية لما كذبوا انبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف
هؤلاء الضعفاء المساكين اذا انزل بهم العذاب وفي الاية زجر وتخويف للمساكين
وما ينظر هؤلاء اي ينتظر يعني كفار مكة الا صيحة واحدة ما لها من فواق اي رجوع
والمعنى تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا اي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من
العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني
كتابنا والقط الصحيفة التي احصت كل شيء. قيل لما نزلت في الحاقة واما
من اوتي كتابه بشماله قال استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم
الحساب قيل قطنا اي حسابنا يقول للكتاب الحساب قط وقيل القط الكتاب
بالجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
يعني على ما يقول الكفار من تكذيبك واذكر عبدنا داوود ذا الايد
قال ابن عباس ذا القوة في العبادة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الصيام الى الله صيام داوود واحب
الصلاة الى الله صلاة داوود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف
ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة في الملك انه اواب
اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله
وقيل مسبح بلغة الحبش انا سخرنا الجبال معه يسبحن اي بتسبيحه [illegible]
بالعشي والاشراق اي غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس
ويتناهى ضوؤها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت امر بهذه الاية لا ادري
ما هي حتى حدثتني ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى ثم قال يا ام هاني هي صلاة الضحى
قالت ام هاني ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فو
جدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من
هذه قلت انا ام هاني بنت ابي طالب فقال مرحبا بام هاني فلما فرغ من
غسله قام يصلي ثماني ركعات ملتحفا في ثوب قالت ام هاني وذلك ضحى
ولهذا عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى قال ما حدثنا احد بانه راى النبي صلى الله عليه وسلم

يصلي

(7

يصلي الضحى غير ام هاني فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها
يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه
يتم الركوع والسجود قوله عز وجل والطير اي وسخرنا له الطير محشورة
اي مجموعة اليه تسبح معه كل له اواب اي رجاع الى طاعته مطيع له
بالتسبيح معه وشددنا ملكه اي قويناه بالحرس والجنود قال ابن
عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة
وثلاثون الف رجل وروي عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل ادعى على
رجل من عظمائهم عند داوود بقرا فقال ان هذا غصبني بقرا فسأله داوود
فجحد فقال للاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داوود قوما حتى انظر
في امركما فاوحى الله الى داوود في منامه ان يقتل الذي استعدي عليه
فقال هذه رؤيا ولست اعجل عليه حتى اتثبت فاوحى الله اليه مرة اخرى فلم
يفعل فاوحى اليه الثالثة ان يقتله او تاتيه العقوبة فارسل اليه
داوود فقال ان الله اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داوود
نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل
حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكن كنت اغتلت والد
هذا فقتلته فلذلك اخذت فامر به داوود فقتل بنوا
اسرائيل منه ذلك واشتد به ملكه فذلك قوله وشددنا ملكه
واتيناه الحكمة يعني النبوة والاصابة في الامر وفصل الخطاب قال
ابن عباس من بيان الكلام وقال ابن مسعود هو الحكم والتمييز بالقضاء
وقال علي ابن ابي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على من انكر
لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال ابي ابن كعب فصل الخطاب
الشهود والايمان [illegible] الشروع والايمان وقيل فصل الخطاب قول الانسان
بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام اخر واول من
قاله داوود عليه السلام قوله عز وجل وهل اتاك اي وقد اتاك يا محمد
نبا الخصم اي خبر الخصم فاستمع له [illegible] عليك وقيل كان الاستفهام
معناه الدلالة على انه اخبار التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم
يقع على الجمع والواحد اذ تسوروا المحراب اي صعدوا وعلوا المحراب اي البيت
الذي كان يخلو فيه داوود ويشتغل [illegible] فيه بالطاعة والعبادة والمعنى
انهما اتوا المحراب من سوره وهو اعلاه وفي الابانة قصة امتحان داوود عليه السلام
واختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب ذلك وسنذكر ما قاله المفسرون

ثم اتبعه بفصل فيه نزاهة داوود عما لا يليق بمنصبه لأن منصب النبوة أشرف
المناصب وأعلاها قدرا فلا ينسب إليها إلا ما يليق بها فأما ما قاله المفسرون
أن داوود عليه السلام تمنى يوما من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب
وذلك أنه كان قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه
لعبادة ربه ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم
وإسحاق ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي
فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها أحد فصبروا عليها ابتلي
إبراهيم بالنمروذ وذبح ولده وابتلي إسحاق بالذبح وابتلي يعقوب بالحزن
على يوسف وذهاب بصره ولو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى
الله إليه أنك مبتلى في شهر كذا ويوم كذا واحترس فلما كان في اليوم الذي وعده
الله به دخل داوود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما
هو كذلك إذ جاء الشيطان قد تصور في صورة حمامة من ذهب فيها كل لون حسن
وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده
ليأخذها ويريها لبني إسرائيل لينظروا إلى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها
طارت غير بعيد أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت عنه وطارت
حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داوود أين تقع
فبعث من يصيدها له فأبصر إلى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل
وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرأى أجمل النساء خلقا فتعجب
داوود من حسنها وحانت منه التفاتة فأبصرت ظله فنفضت شعرها
فغطى بدنها فزاده ذلك عجبا فسأل عنها فقيل تشايع امرأة أوريا
ابن حنانا وزوجها في ثغرة بالبلقاء مع أيوب ابن صوريا ابن أخت داوود
فكتب داوود إلى ابن أخته أن يبعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت
لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده ويستشهد فبعثه ففتح له فكتب
إلى داوود بذلك فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا
فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داوود فهي
أم سليمان عليه السلام أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته فهذا كان ذنبه
وقال ابن مسعود كان ذنب داوود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته
وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله لم يرض لداوود ذلك لأنه رغبة في الدنيا
وأنه زيادة في النساء وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها وقيل
في سبب امتحان داوود أنه تعالى قد جزأ الدهر أجزاء يوم لنسائه ويوم لعبادة ربه

ويوم

ويوم يحكم بين بني إسرائيل ويوم يذاكرهم فيه ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه
فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا
فأضمر داوود في نفسه أنه إن ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه
الأبواب وأمر أن لا يدخل إليه أحد وأكب على قراءة التوراة والزبور فبينما هو يقرأ
إذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث
الله إليه الملكين وقيل إن داوود ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له
حفظة من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال أخبروني بأي
شيء أنتم موكلون قالوا نكتب صالح عملك ونرفعك ونصرف عنك السوء
فقال في نفسه ليت شعري كيف خلوتي ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون
فأوحى الله إلى الملكين يعني ليعلم أنه لا غنى به عن الله فلما فقدهم جد واجتهد
في العبادة إلى أن حزانه قد غلبته نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه
فأرسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل قال داوود لبني إسرائيل
لأعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي فبعث الله إليه ملكين في صورة رجلين
وذلك في يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه
المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسين وهو يصلي ويقال كان جبريل وميكائيل
فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داوود
ففزع منهم أي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه فقال لهما
ما أدخلكما علي قالوا لا تخف خصمان أي نحن خصمان بغى بعضنا
على بعض أي تعدى وخرج عن الحد فجئناك لتقضي بيننا فإن قلت إذا جعلتهما
ملكين فكيف يتصور البغي منهما والملائكة لا يبغي بعضهم على بعض قلت
هذا من معاريض الكلام على تحقيق البغي من أحدهما والمعنى أرأيت خصمين
بغى أحدهما على الآخر فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي لا تجر في حكمك
واهدنا إلى سواء الصراط أي أرشدنا إلى طريق الحق والصواب فقال
أحدهما إن هذا أخي أي على ديني وطريقتي لا من جهة النسب له تسع
وتسعون نعجة يعني امرأة ولي نعجة واحدة أي امرأة واحدة والعرب
تكني بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض والتنبيه والتفهيم لأنه
لم يكن هناك نعاج ولا بغي فقال أكفلنيها قال ابن عباس أعطينيها وقيل
معناه انزل عنها وضمها إلي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لأتزوجها وعزني
في الخطاب يعني وغلبني في القول لأنه أفصح مني في الكلام وإنه كان أكثر مني
لقوة ملكه والمعنى أن الغلبة كانت له علي لضعفي في يده وإن كان الحق معي

معي وهذا كله تمثيل لأمر داوود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داوود
حيث كان لداوود تسع وتسعون امرأة ولأوريا واحدة فضمها داوود
إلى نسائه قال داوود لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه
أي بضمها إلى نعاجه فإن قلت كيف قال داوود لقد ظلمك بسؤال نعجتك
ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك
وقيل إنما قال ذلك بعد أن اعترف صاحبه بما يقول وإن كثيرا من الخلطاء
أي الشركاء ليبغي بعضهم على بعض ليظلم بعضهم بعضا إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فإنهم لا يظلمون أحدا وقليل ما هم أي هم قليل وما صلة والمعنى
إلا الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داوود بينهما نظر أحدهما إلى
صاحبه وضحك وصعد إلى السماء فعلم داوود أن الله ابتلاه وذلك قوله تعالى
وظن داوود أي تيقن وعلم أنما فتناه أي ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس
إن داوود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا في صورتهما وعر
جا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داوود أنه إنما عني به داوود
وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن داوود عليه السلام حين نظر إلى المرأة فأهم قطع على بني إسرائيل
فأوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت
وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت
لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان
قصته عليه فطن داوود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع
من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبهته وهو يقول في سجوده رب
زل داوود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داوود ولم
تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد
أربعين ليلة فقال يا داوود إن الرب قادر على أن يغفر لك الهم الذي هممت به
وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فقال داوود فكيف بفلان إذا جاء يوم
القيامة فقال رب دمي الذي عند داوود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك
وإن شئت لأفعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داوود ما شاء الله ثم
نزل جبريل فقال سألت الله يا داوود عن الذي أرسلتني فيه فقال قل لداوود
إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داوود فيقول
هو لك يا رب فيقول فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا وهذه
أقاويل السلف من أهل التفسير في قصة امتحان داوود فصل في تنزيه

داوود عليه السلام عما لا يليق به ومما لا ينسب إليه اعلم أن من خصه الله بنبوته
وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله
واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف
به عنه فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء روى
عن سعيد ابن المسيب والحارث ابن الأعور عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه
قال من حدث بحديث داوود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو
حد الفرية على الأنبياء وقال القاضي عياض لا يجب أن يلتفت إلى ما سطره
الأخباريون من أهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا ونقله بعض المفسرين ولم ينص
الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه في قصة
داوود ما أخبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه
من أمر داوود قال الإمام فخر الدين حاصل القصة يرجع إلى السعي في قتل رجل
مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل
أن يظن بداوود هذا وقال غيره إن الله تعالى أثنى على داوود قبل هذه القصة
وبعدها وذلك يدل على استحالة القول من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين
مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا
أنت في مدح شخص كيف يجوز ذمه في أثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل
هذا في كلامه القديم فإن قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو
قوله تعالى وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وقوله
فغفرنا له ذلك قلت في هذه الألفاظ شيء مما يدل على ذلك لأن مقام
النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف وأسناها
فإذا نزلوا من ذلك إلى الطباع البشرية عاتبهم الله على ذلك وغفر لهم كما قيل
حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت فعلى هذا القول والاحتمال
فما معنى الامتحان في الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم
في هذه القصة إلى أن داوود عليه السلام ما زاد أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك
واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله
بالدنيا وقيل إن داوود تمنى أن تكون امرأة أوريا له وأن أوريا قتل أو هلك في
الحرب فلما بلغ داوود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده
ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت
فهي عظيمة عند الله وقيل إن أوريا قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه
عليها فلما غاب في غزاته خطبها داوود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك

فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع
وتسعون امرأة وقد دل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب بل هذا
على ان الكلام كان بينهما في الخطبة وقد تقدم تزويج اوريا لها فعوتب
داوود بسببين احدهما خطبته على خطبة اخيه والثاني اظهار الحرص
على تزويجها مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داوود الذي استغفر منه ليس
هو بسبب اوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحد
هما قبل سماع كلام الاخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال
نعجتك فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان الحكم مخالف
للصواب اشتغل داوود بالاستغفار التوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة
داوود عليه السلام عما نسب اليه والله اعلم قوله تعالى فاستغفر
ربه اي سأل ربه الغفران وخر راكعا واناب اي ساجدا عبر بالركوع عن السجود
لان كل واحد منهما فيه انحناء قيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا
فصل اختلف العلماء في سجدة ص هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي
الى انها ليست من عزائم السجود التلاوة وقال لانها توبة نبي فلا توجب
سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هي من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه
الاية على ان الركوع يقع على السجود في سجود التلاوة وعن احمد في سجدة
ص روايتان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها عن ابن
عباس قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رايت النبي صلى الله
عليه وسلم يسجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد في ص فقرا ومن
ذريته داوود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم
ممن امر ان يقتدي بهم فسجدها نبيكم داوود فسجدها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
سجد في ص وقال سجدها داوود توبة فنسجدها شكرا عن ابي سعيد
الخدري قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما
بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم اخر قراها
فلما بلغ السجدة تشوف الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما هي توبة نبي ولكن رايتكم تشوفتم فنزل فسجد وسجدوا اخرجه
ابو داوود وقوله تشوف الناس اي تهيئوا واستعدوا للسجود
عن ابن عباس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتني الليلة وانا نائم كاني اصلي خلف شجرة فسجدت

السجدة

السجدة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا
واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داوود قال
ابن عباس رضي الله عنه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا سجدة ثم سجد
فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذي قال المفسرون سجد
داوود اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت الصلاة المكتوبة ثم يعود ساجدا
تمام اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول راسه وهو
ينادي ربه عز وجل ويساله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك
الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور الهي انت خلقتني وكان
في سابق علمك ما انا اليه صائر سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك
يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي
باي قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزول اقدام الخاطئين سبحان خالق النور
الهي اني لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور
الهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وانت شاهدهم حيث كانوا
سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري سبحان خالق النور
الهي اعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني سبحان خالق النور
الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا
تخزني يوم الدين سبحان خالق النور مكث داوود اربعين يوما لا يرفع راسه
حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى راسه فنودي يا داوود اجائع
انت فتطعم اظمآن انت فتسقى اعار انت فتكسى امظلوم انت فتنصر
فاجيب في غير ما طلب ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فنحب نحبة هاج
ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله التوبة والمغفرة قال وهب
ان داوود اتاه نداء اني قد غفرت لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدا
قال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق
داوود وقد لبس المسوح حتى جلس على قبره ثم نادى يا اوريا فقال من هذا
الذي قطع علي لذتي وايقظني قال انا داوود قال ما جاء بك يا نبي الله قال
اسالك ان تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك قال عرضتك
للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل فاوحى الله اليه يا داوود الم تعلم اني حكم عدل
لا اقضي بالتعنت الا انه اعلمته انك تزوجت امراته قال فرجع فناداه
فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال انا داوود قال يا داوود اليس قد عفوت
عنك قال نعم ولكني انما فعلت ذلك بك لمكان امراتك وقد تزوجتها قال فسكت

ولم يجبه ودعاه مرة أخرى فلم يجبه ودعاه فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب
على رأسه ثم نادى الويل لداوود ثم الويل الطويل لداوود سبحان خالق النور الويل
لداوود إذا نصبت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداوود ثم الويل
لداوود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار سبحان
خالق النور فأتاه نداء من السماء يا داوود قد غفرت ذنبك ورحمت بكاءك
وأقلت عثرتك قال كيف يا رب وصاحبي لم يعف عني قال يا داوود أعطيه من
الثواب يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له ارض عبدي
فيقول يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا عوض من عبدي داوود
فأستوهبك منه فيهبك لي قال يا رب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك
قوله تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب أي رجع **فغفرنا له ذلك** أي الذنب **وإن**
له عندنا أي يوم القيامة بعد المغفرة **لزلفى** أي لزلفى ومكانة **وحسن مآب**
أي وحسن مرجع ومنقلب قال وهب ابن منبه إن داوود لما تاب الله عليه بكى على
خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو
ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين
بني إسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والسواحل ويوم
يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فتجتمع إليه الرهبان فينوح معهم
على نفسه ويساعدونه على ذلك فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى الفيافي
فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطيور والوحوش حتى
يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته ويبكي
فتبكي الجبال معه والحجارة والطير حتى يسيل من بكائهم الأودية ثم يجيء الساحل
فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فإذا أمسى
رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داوود
على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له
فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف
راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع
داوود صوته بالبكاء والنوح على نفسه وترفع الرهبان معه أصواتهم
فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه فيجيء ابنه سليمان فيحمله
ويأخذ داوود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب
اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داوود ببكاء أهل الدنيا لعدله وعن الأوزاعي مرفوعا
أن النبي صلى الله عليه وسلم [قال] إن مثل عيني داوود كالقربتين ينطفان ماء ولقد

خددتا

خددتا الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض قال وهب لما تاب الله على داوود
قال يا رب قد غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فلا أستغفر للخاطئين إلى يوم
القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع طعاما ولا شرابا إلا
بكى إذا رآها وما كان خطيبا في الناس إلا ويبسط راحته فيستقبل بها الناس
ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ إذا دعا أن يستغفر للخاطئين قبل نفسه وعن الحسن
كان داوود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين يقول تعالوا إلى داوود الخاطئ
ولا يشرب شرابا إلا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة
فلا يزال يبكي حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل
ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داوود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم
نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت
وكان داوود إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله فلا يشدها إلا الأسر وإذا ذكر رحمة
ربه تراجعت وقيل إن الوحوش والطير كانت تستمع إلى قراءته وقيل إنها
قالت يا داوود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل **يا داوود إنا**
جعلناك خليفة في الأرض أي لتدبر أمر الناس بأمرنا الحكم فيهم **فاحكم بين الناس**
بالحق أي بالعدل **ولا تتبع الهوى** أي لا تمل مع ما تشتهي إذا خالف أمر الله تعالى
فيضلك عن سبيل الله أي عن دين الله وطريقته **إن الذين يضلون عن سبيل الله**
لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب أي بما تركوا الإيمان بيوم الحساب
وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضاء قوله تعالى **وما**
خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب
وقيل معناه ما خلقناهما عبثا لا لشيء **ذلك ظن الذين كفروا** يعني أهل مكة
الذين ظنوا أنهما خلقا لغير شيء وأنه لا بعث ولا حساب **فويل للذين كفروا**
من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض
قيل إن كفار قريش قالوا للمؤمنين إنا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون
فنزلت هذه الآية **أم نجعل المتقين** يعني الذين اتقوا الشرك [أصحاب محمد]
صلى الله عليه وسلم **كالفجار** يعني الكفار والمعنى أنجعل الفريقين سواء في الآخرة
كتاب أنزلناه إليك مبارك [يعني القرآن] أي كثير البركة وخيره ونفعه **ليدبروا**
آياته أي ليتدبروا ويتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل
تدبر آياته اتباعه في أوامره ونواهيه **وليتذكر أولوا الألباب** أي وليتعظ
أي ذوو العقول والبصائر قوله عز وجل **ووهبنا لداوود سليمان نعم**
العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل إن سليمان

غزى أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل
إنها كانت خيلا من البحر لها أجنحة وصلى سليمان الصلاة الأولى التي هي
الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس
فتنبه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك
هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف
حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وإن كان حراما علينا وبقي
مائة فرس فالذي في أيدي الناس من الخيل يقال إنها من نسل تلك المائة فلما عقرها
أبدلها الله خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء وقوله تعالى
إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القائمة على ثلاث
وإقامة الرابعة على طرف الحافر من رجل واحد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث
من سره أن يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار أي قياما والجياد
والجياد السراع في الجري واحد جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق
فقال إني أحببت حب الخير أي آثرت حب الخير وأراد الخيل سميت به
لأنه معقود في نواصيها الخير وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي
عرضنا عليه **عن ذكر ربي** يعني صلاة العصر **حتى توارت بالحجاب** أي استترت الشمس
بالحجاب أي ما حجبها عن الأبصار يقال إن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة
سنة تغرب الشمس من ورائه **ردوها** أي ردوا الخيل علي **فطفق مسحا**
بالسوق جمع ساق **والأعناق** أي جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف قيل
هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا لأن نبي الله سليمان
لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر
وهو عقر الخيل وقال ابن إسحاق لم يعتبه الله على عقر الخيل إذا
كان ذلك أسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل إنه ذبحها ونحر
لحومها وقيل معناه أنه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها
وأعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي أنه قال يقول أمر الله الملائكة الموكلون
بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الإمام
فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن يقال إن رباط
الخيل كان مندوبا إليه في دينه كما أنه كذلك في ديننا ثم إن سليمان
عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها وذكر
أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس وإنما أحبها لأمر الله وتقوية
دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم إنه عليه السلام أمر بإعدائها وجريها

حتى

حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل عليه وهو قوله ردوها
فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور
الأول تعظيما لها لكونها من الأعوان في دفع العدو والثاني أنه أراد أن يظهر
ضبط السياسة والمملكة يبلغ أنه يباشر الأمور بنفسه الثالث
أنه كان يعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان
يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل
على المرض فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق عليه لفظ القرآن
ولا يلزم منا بشيء من تلك المنكرات والمحذورات والعجب من الناس
كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فإن قيل الجمهور قد فسروا
الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامات
المقام الأول أن ندعي أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه
التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب
عاقل فيه المقام الثاني أن يقال هب أن لفظ الآية يدل عليه
إلا أنه كلام ذكره الناس وإن الدلائل الكثيرة قد قامت على
عصمة الأنبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات قوله
عز وجل **ولقد فتنا سليمان** أي اختبرناه وابتليناه بسلب
ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب ابن منبه قال
سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها
ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس عليه سبيل لمكانه
في البحر وكان قد أوتي سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه
شيء في بر ولا بحر إنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة
تحمله الريح على الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن فقتل
ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنت ذلك الملك يقال
لها جرادة ولم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه
ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها
حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها لا يذهب حزنها
ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا
الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ قالت إن أبي أذكره وأذكر
ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان لقد أبدلك
الله ملكا أعظم من ملكه وسلطانا أعظم من سلطانه وهداك إلى

الى الاسلام وهو خير من ذلك فقالت ان ذلك كذلك ولكن اذا ذكرته
اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا لي صورته
في داري التي انا فيها اراه بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان
يسليني عن بعض ما انا فيه اصلا وما اجد في نفسي فامر سليمان الشياطين
فقال مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا ما فمثلوه
لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين
صنعوه فالبسته مثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمان
من دارها تغدو اليه في ولايدها فتسجد له ويسجدن له كما كانت
تصنع في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء
من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك اصف ابن برخيا وكان صديقا
وكان لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شيء من بيوته
دخل حاضرا سليمان او غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني
ودق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت ان
اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله واثني
عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم
فقال افعل فجمع سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى
من انبياء الله تعالى واثنى على كل نبي بما فيه وما فضله الله
به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك في صغرك ثم انصرف
فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان
داره دعاه فقال يا اصف ذكرت من مضى من انبياء الله تعالى فاثنيت
عليهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في
صغري وسكت عما سوى ذلك في اخر عمري فقال
اصف ان غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحا فقال سليمان
في داري فقال في دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما
قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر
ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولايدها ثم امر بثياب الطهارة
فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار
ولا يغسلها الا الابكار ولا تمسها يد امرأة قد رات الدم فلبسها
ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له وتمعك فيه
بثيابه ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد

وتمعك

هنا محو

وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر
من كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام
ولد يقال لها الامينة وكان اذا دخل الخلاء او اصاب امرأة من نسائه وضع خاتمه
عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه
عندها يوما ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة
سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمي يا امينة فناولته اياه فجعله في يده
ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والانس والجن
وخرج سليمان ابن داوود فاتى الامينة وقد تغير حاله وهيئته عند كل من
رآه فقال يا امينة خاتمي فقالت من انت قال سليمان فقالت كذبت قد جاء
سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته
قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان
ابن داوود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول
يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب
البحر الى السوق ويعطونه سمكتين فاذا امسى باع احدى السمكتين بارغفة
ويشوي الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما كان
يعبد الصنم في داره ثم ان اصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله الشيطان
في تلك المدة فقال يا معشر بني اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داوود ما رايت
قالوا نعم قال امهلوني حتى ادخل على نسائه فاسالهن هل انكرن في خاصة
امره ما انكرنا في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن
هل انكرتن من ابن داوود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع امرأة منا في دمها
ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله
ليسلط الشيطان على نساء نبيه عليه السلام قال وهب ثم ان اصف خرج على
بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشر مما في العامة فلما مضى اربعين صباحا طار
الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاخذها بعض
الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتين فباع
سليمان احدهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها
فاخذه وجعله في يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه
لما كان في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين
ان ياتوا بصخر المارد فطلبوه حتى اخذوه فاتي به فنقر له جوفا في صخرة وسد
بالاخرى واوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر وقيل سبب فتنة سليمان ان جرادة كانت

٢٣

كانت احدى نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين
فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو
ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده اليه فسقط وكان
فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه اصف فقال لسليمان انك مفتون بذلك
والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني اقوم بعدك فتثبت في يده فقام
اصف في ملك سليمان يسير فيه اربعة عشر يوما الى ان رد الله على سليمان
ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده
وثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال
احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة
ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث
الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح
ما نقله الاخباريون من تشبهه به وتسليطه على ملكه وتصرفه في امته
بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء
عن مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما اخرجه في الصحيحين
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان
لاطوفن تلك الليلة على سبعين امرأة كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن
جميعا فلم يحمل منهن الا تلك امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله
الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعين
وفي رواية تطوف بمائة امرأة قال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل
شيئا قال العلماء والشق الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض
عليه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من
الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث
ليتم امر الله فيه ومراده وقيل ان المراد بالجسد الذي القي على كرسيه
انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش
له ولد لم ينفك عنا البلاء فسبيلنا ان نقتله ولده او نخبله فعلم
بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من
الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على
كرسيه فعاتبه الله على ذلك خوفه من الشياطين ولم يتوكل
عليه في ذلك فتنبه لخطائه فاستغفر ربه في ذلك

قوله عز وجل

قوله عز وجل والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما
وقيل اناب الى الاستغفار وهو قوله قال رب اغفر لي اي سأل ربه المغفرة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي اي لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا ان تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبتنيه
فيما مضى من عمري انك انت الوهاب فان قلت قول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي يشبه
من الحسد والحرص على الدنيا فالجواب لم يقل ذلك حرصا على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن
كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا احسن ما قيل من ان الشيطان
استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما على نبوته ومعجزة دالة على رسالته ود
لالة على قبول توبته حيث اجاب الله دعاءه ورد ملكه وزاده فيه وقيل كان سليمان
ملكا ولكنه احب ان يخص بخاصية فهو كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص فيه ان فيه ايضا تخصيصه كما روي في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه
فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة
اخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا قوله تعالى فسخرنا
له الريح تجري بامره رخاء اي لينة اي ليست بعاصفة حيث اصاب اي حيث اراد والشياطين
اي وسخرنا له الشياطين كل بناء اي يبنون له ما يشاء وغواص يعني يستخرجون
له اللؤلؤ من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وءاخرين اي وسخرنا له اخرين وهم
مردة الشياطين مقرنين في الاصفاد اي مشدودين في القيود سخرها له حتى قرنهم في الاصفاد
هذا عطاؤنا اي وقلنا له هذا عطاؤنا فامنن اي احسن الى من شئت او امسك اي
عمن شئت بغير حساب اي لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن
ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه
تبعة وقيل هذا في امر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت
منهم فخل عنه او امسك اي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق ولا تبعة عليك
فيما تتعاطاه وان له عندنا لزلفى وحسن مئاب لما ذكر الله ما انعم به عليه في الدنيا اتبعه
بما انعم عليه في الاخرة قوله عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان
بنصب اي بمشقة وعذاب اي ضر في المال والجسد وقد تقدم قصة ايوب اركض برجلك يعني
انه لما انقضت مدة بلائه قيل له اركض اي اضرب برجلك يعني الارض ففعل فنبعت عين
ماء هذا مغتسل بارد فامره الله تعالى ان يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره
ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء اخرى فشرب
منه فذهب كل داء كان بباطنه فقيل لك قوله تعالى ومغتسل وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم
معهم رحمة منا اي نعمة منا ... لهم معه من سبيل التفضل والرحمة لا على سبيل اللزوم وذكرى لاولي
الالباب يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم ازلنا عنه البلاء وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة
لذوي العقول والبصائر وخذ بيدك ضغثا اي ملء كفك من حشيش او عيدان او غير ذلك فاضرب
به ولا تحنث وكان قد حلف ان يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها فافتاه بضربها
وهون الله الامر وامره بان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة
فيفعل ذلك ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه

وبه قال ابن عباس وعطاء بن ابي رباح والشعبي انه خاص لايوب قال مجاهد ولغيره العلماء
فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها واحدة فقال مالك والليث بن
سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه بها واحدة فاصاب كل جلدة بعض
بدنه بر واحتجوا بعموم هذه الآية انا وجدناه صابرا اي على البلاء الذي ابتليناه به نعم العبد
انه اواب واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اي اذكر صبرهم فابراهيم القي في النار فصبر
واسحاق اضجع للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره
فصبر اولي الايدي قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله تعالى والابصار اي في المعرفة بالله
وقيل الايدي اكثر الاعمال والبصر الادراكات فعبر عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر
وللانسان قوتان عالمية وعاملية فاشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعة الله تعالى
واشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدي والابصار
انا اخلصناهم اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخالصة ذكرى الدار قيل
معناه اخلصناهم بذكر الآخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم
حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى
الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل اخلصناهم بافضل
ما في الآخرة وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يعني من الذين اختارهم الله واصطفاهم
صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل اي اذكرهم
بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم وكل من الاخيار قوله عز وجل هذا ذكر اي
الذي يتلى ذكرهم فيه شرف وقيل جميل يذكرون به وان للمتقين لحسن مآب اي حسن
مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى جنات
عدن مفتحة لهم الابواب قيل تفتح ابوابها لهم بغير فتح لها بل بالامر بقال لها انفتحي
انغلقي متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف
اتراب اي مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل
متحابات متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا تتحاسدن هذا ما توعدون ليوم
الحساب اي قل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعدون به المتقون ان هذا لرزقنا
ما له من نفاد اي دائم ما له من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما اخذ منه شيء عاد مثله
في مكانه قوله تعالى هذا اي الذي ذكرناه وان للطاغين يعني الكافرين لشر مآب يعني لشر
مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها اي يدخلونها فبئس
المهاد اي الفراش هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا حميم وهو الماء
الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو
ما يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وآخر من شكله اي مثل الحميم والغساق ازواج
اي الوان من العذاب هذا فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم
دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة الاتباع مقتحم معكم النار اي داخلوها
كما انتم دخلتموها قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحمونها بانفسهم خوفا من تلك المقامع
فقالت القادة لا مرحبا بهم اي بالاتباع انهم صالوا النار اي داخلوها كما صليناها نحن قالوا
اي قال الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم اي لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا واهلا وسهلا
اي اتيت رحبا وسعة انتم قدمتموه

انتم قدمتموه لنا يعني يقول الاتباع للقادة انتم بداتم بالكفر قبلنا وسننتموه
لنا وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر
فبئس القرار اي فبئس دار القرار جهنم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا
هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار اي ضعف عليه العذاب في النار
قال ابن مسعود حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش وصناديدهم واشرافهم
وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا اي في النار كنا نعدهم اي في الدنيا من الاشرار يعنون بذلك
فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم
كانوا على خلاف دينهم اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار يعني ان الكفار اذا
دخلوا النار نظروا فلم يروا الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذ
ناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوها
وقيل معناه اهم في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن
لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك لحق اي الذي
ذكرت لحق ثم بين ذلك فقال تعالى تخاصم اهل النار اي في النار وانما سماه تعالى
تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا
بكم من باب الخصومة قوله عز وجل قل انما انا منذر اي مخوف وما من اله
الا الله الواحد يعني الذي لا شريك له في ملكه القهار اي الغالب وفيه اشعار
بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى رب السموات
والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان
والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم قل هو نبأ
عظيم يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة انتم عنه معرضون يعني
لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وانما جئتكم به لم اعلمه الا بوحي من الله
تعالى ما كان لي من علم بالملإ الاعلى يعني الملائكة اذ يختصمون يعني في شان آدم حين
قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان
قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله لا تليق ولا تمكن قلت لا شك انه جرى هناك
سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو كاف لجواز المجاز فلهذا
السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ان يوحى الي اي انما علمت هذه المخاصمة
بوحي من الله تعالى الي الا انما انا نذير مبين يعني الا انما انا نبي انذركم وابين لكم
ما تاتونه وتجتنبونه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ربي في احسن
صورة قال احسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم قلت لا فوضع
يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما
في الارض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات
المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ
الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم

كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فعلمنا ليك وتضعه بين كتفي ... المرتين ... فيهما فعلمنا ما بين المشرق والمغرب احرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

فصل في الكلام على معنى هذا الحديث

وللعلماء في هذا الحديث وامثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المذهب الثاني وهو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا الحديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى بن ابي كثير عن زيد عن جده ممطور وهو ابو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل غير ذلك ورواه ايوب عن ابي قلابة عن ابن عباس وقال محمد بن نصر المروزي ورواه قتادة عن ابي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس قال البخاري روى عبد الرحمن بن عائش الحضرمي حديثا واحدا الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من اوجه كلها ضعاف وفي ثبوته نظر واحسن طرقه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان في المنام فاما تأويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز ان يكون البارئ تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصور مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز اتصافه بكلها لما فيه من الاستحالة ان يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فعلى هذا له تأويلان احدهما يحتمل وجهين احدهما واني في احسن صورة كانه زاده كمالا وجمالا وحسنا عند رؤيته وقلبه في ذلك المعنى رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعيدا عن حالة ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته لتلقي الوحي وتلقيه الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رءاه في احسن صفاته من الاقبال عليه والاقبال الاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه مجمل في افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فيكون حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة لفظا يرجع الى الصفات العالية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءها ويكون معنى الحديث على هذا تعريفا ما ازداد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤيته ربه عز وجل من اجل عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون

معناه على هذا التعبير ...

الاخبار باكرام الله اياه وانعامه عليه بان شرح ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله اياه فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون لانه لا يجوز على الله تعالى الاتصاف بالمماسة او مباشرة او نقص وهذا هو اللائق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وانه كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل لان رؤية البارئ عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله اعلم قوله عز وجل اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين يعني آدم فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت فيه من روحي اضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف فهي بمنزلة الانسان تسري في الجسم كسريان الضوء في الفضاء وكسريان النار في الفحم فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر اي تعظم وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي توليت خلقه استكبرت اي تعظمت بنفسك عن السجود له ام كنت من العالين اي من القوم الذين يتكبرون عن السجود لكبرهم فنكبرت نك منع فاجاب ابليس بقوله قال انا خير منه يعني لو كنت مثله لما سجدت له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين وافضل منه واخطأ ابليس في القياس لان النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين اصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجر المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجر المثمر خير من الرماد وافضل وقيل هب ان النار خير من الطين فالطين خير منها وافضل بغوامر وفي لك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون افضل من ذلك النسيب بدرجات قال فاخرج منها اي من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بخلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته فانك رجيم اي مطرود وان عليك لعنتي الى يوم الدين فان قلت اذا كان الرجيم بمعنى المطرود وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة او السماء وتحمل اللعنة على الطرد من الرحمة فيكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء يوم القيامة قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة انواع من العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني النفخة الاولى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين

قال فالحق والحق اقول اي انا اقول الحق وقيل الاول قسم اي فالحق وهو الله اقسم بنفسه لاملأن جهنم منك اي بنفسك وبذريتك وممن تبعك منهم اجمعين يعني كفرة بني آدم قل ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين اي من الذين يتقولون القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له وعن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين اخرجه البخاري. ان هو يعني القرآن الا ذكر اي موعظة للعالمين اي للخلق اجمعين ولتعلمن يعني انتم يا اهل مكة نبأه اي خبر صدقه بعد حين قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت قال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة تنزيل

وتسمى الزمر نزلت بمكة الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث وقيل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم عوض قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى قوله لا تشعرون وهي اثنان وسبعون وقيل خمس وسبعون آية والف ومائة واثنان وسبعون كلمة واربعة آلاف وتسعمائة وثمانية احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تنزيل الكتاب اي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي لم ننزله باطلا لغير شيء فاعبد الله مخلصا له الدين اي الطاعة الا لله الدين الخالص اي شهادة ان لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله تعالى وقيل الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان رأس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من دونه اولياء يعني الاصنام ما نعبدهم اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يعني قربى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اي من امر الدين ان الله لا يهدي اي لا يرشد لدينه من هو كاذب اي قال ان الآلهة تشفع له كفار اي باتخاذه الآلهة دونه لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاختار مما يخلق ما يشاء يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال سبحانه اي تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بجلاله وقدسه هو الله الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد القهار اي الغالب الكامل القدرة قوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يعني يغشي هذا هذا وقيل يدخل احدهما على الآخر وقيل ينقص من احدهما ويزيد في الآخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعات وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يعني الى يوم القيامة الا هو العزيز الغفار معناه ان خالق هذه الاشياء العظيمة وان دلت على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان

خلقكم من نفس واحدة

خلقكم من نفس واحدة يعني آدم ثم جعل منها زوجها يعني حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يعني الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال وجه وقيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذي يعيش به الانعام وقيل اصل هذه الاصناف خلقت في الجنة ثم نزلت الى الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر الله تعالى اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر المشتركة بين الناس والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وانما قال في بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ذلكم الله ربكم اي خالق هذه الاشياء ربكم له الملك لا اله الا هو اي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله فانى تصرفون اي عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او يدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا ان جميع العالمين لو كفروا واصروا عليه فان الله غني عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر يعني ان الله تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده بالكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته لان الرضى عبارة عن مدح الشيء والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه فعلم بان الفرق بين الارادة والرضى وان تشكروا اي تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس حمل غيرها ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب قوله تعالى واذا مس الانسان ضر اي شدة وبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مستغيثا به ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة منه نسي اي ترك ما كان يدعو اليه من قبل والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا يعني الاصنام ليضل عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا في الدنيا الى انقضاء اجلك انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في ابي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر امن هو قانت قيل فيه حذف مجازه كمن هو كافر فانت وقيل مجازه الذي جعل لله اندادا خير ام من هو قانت وقيل معنى الالف تمتع بكفرك

تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ويا من هو قانت إنك من أصحاب الجنة قال ابن عباس
نزلت في أبي بكر وعمر وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان
وقيل الآية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن
وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه آناء الليل أي ساعات الليل أوله ووسطه
وآخره ساجدا وقائما يعني في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل
منه وذلك لأن الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولأن ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر
إلى الأشياء وإذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالأحوال الخارجية رجع إلى المطلوب الأصلي
وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لأن الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون
قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه
قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه لطيفة وهي أنه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر
إلى نفسه وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه فأضافه إليه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولى أن
ينسب إلى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل
على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وإني أخاف
ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه
الله ما يرجو وأمنه مما يخاف أخرجه الترمذي قل هل يستوي الذين يعلمون
أي ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون أي ذلك وقيل الذين يعلمون
عمار والذين لا يعلمون أبو حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل افتتح الآية بالعمل وختمها بالعلم
لأن العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فإذا حصلا
للإنسان دل ذلك على كماله وفضله إنما يتذكر أولوا الألباب قوله تعالى قل يا عبادي الذين
آمنوا اتقوا ربكم أي بطاعته واجتناب معاصيه للذين أحسنوا في هذه الدنيا
حسنة يعني للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل يعني الصحة
والعافية في هذه الدنيا وأرض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه
حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب
منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا
دينهم لما نزل بهم من البلاء وصبروا وهاجروا إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب
قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فإنه يحثى لهم
حثيا ويروى أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم
الأجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قوله عز وجل قل يا محمد إني أمرت أن أعبد
الله مخلصا له الدين أي مخلصا له التوحيد أي لا أشرك به شيئا وأمرت لأن أكون أول
المسلمين أي من هذه الأمة وقيل أمره الله أولا بالإخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره
ثانيا بعمل الجوارح لأن شرائع الله لا تستفاد إلا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ
فكان أول الناس شروعا فيه وإنما خص الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر لينبه على أن غيره
أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي

وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي أتيتنا
به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى
الآية زجر الغير عن المعاصي لأنه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب
نبوته إذا كان خائفا حذرا من المعاصي فغيره أولى به قل الله أعبد مخلصا له ديني فإن قلت
ما معنى التكرار في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له
ديني قلت ليس هذا بتكرار لأن الأول الإخبار لأنه مأمور من جهة الله بالإتيان بالعبادة
والإخلاص والثاني أنه أخبر بأنه أمر أن لا يعبد أحدا غير الله وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا
له دينه لأن قوله أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله قل الله أعبد يفيد الحصر والمعنى
الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه ثم أتبعه بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس أمرا بل المراد
به الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله قل إن الخاسرين الذين خسروا أ
نفسهم وأهليهم يعني أزواجهم وخدامهم يوم القيامة قال ابن عباس وذلك
أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا وأهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان له المنزل والأ
هل ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان له المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر
نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الأهل بأن يفرق بينه
وبين أهله ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار أي أطباق وسرادقات
ومن تحتهم ظلل أي فرش ومهاد وقيل إحاطة النار بهم من جميع الجهات والجوا
نب فإن قلت الظلة ما علا الإنسان فكيف سمي ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه
الأول أنه من باب إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثاني أن الذي تحته من النار يكون
ظلة لآخر تحته في النار لأنها دركات الثالث أن الظلة التحتانية إذا كانت مشا
بهة للظلة الفوقانية في الإيذاء والحرارة سميت باسمها لأجل المماثلة والمشا
ذلك يخوف الله به عباده أي المؤمنين لأنهم إذا سمعوا حال الكفار خافوا فأخلصوا
التوحيد والطاعة لله وهو قوله تعالى يا عباد فاتقون أي خافون قوله تعالى والذين اجتنبوا
الطاغوت يعني الأوثان أن يعبدوها وأنابوا إلى الله أي رجعوا إلى عبادة الله تعالى بالكلية
وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره لهم البشرى في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فالثناء
عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر وأما في الآخرة فعند
الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة
ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والر
يحان فبشر عبادي الذين يستمعون القول يعني القرآن فيتبعون أحسنه أي أحسن
ما يؤمرون به وهو أن الله تعالى ذكر الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن
الأمرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم وقيل يستمعون
القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لأن كله حسن قال ابن عباس لما أسلم أبو
بكر الصديق جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص
وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية

الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسي اولئك الذ
ين هداهم الله اي الى عبادته وتوحيده واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة
العذاب قال ابن عباس من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم
وقيل قوله هؤلاء الى النار ولا ابالي افانت تنقذ من في النار اي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد
ابا لهب وولده لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية اي منازل في
الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف
الله الميعاد اي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف من
فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم
قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال
امنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر الباقي في الافق اي في ناحية المشرق او المغ
رب قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه اي ادخل ذلك الماء ينابيع في الارض
اي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الارض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ماء
في الارض فمن السماء نزل ثم يخرج به اي بالماء زرعا مختلفا الوانه اي اصفر واحمر واخضر
وابيض وقيل اصنافه مثل البر والشعير وسائر انواع الحبوب ثم يهيج اي ييبس فتراه
مصفرا اي بعد خضرته ونضرته مصفرا ثم يجعله حطاما اي فتاتا متكسرا
ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله عز وجل افمن شرح الله صدره اي وسعه للاسلا
م وقبول الحق كمن طبع الله على قلبه فلم يهتد فهو على نور من ربه اي على يقين وبيان
وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فقلنا يا رسول الله كيف
انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقلنا يا رسول الله فما علامة ذلك
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله القسوة جمود وصلابة تحصل في القلب فان قلت كيف يقسو القلب
من ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انه كلما تلي عليهم ذكر الله يكذ
بون به فقست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة كدرة الفطرة
بعيدة عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس
يلين الشمع ويعقد الملح وكذلك القران يلين قلب المومن عند سماعه ولا يزيد الكافرين
الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم
الا نزع منهم الرحمة اولئك في ضلال مبين قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق وفي ابي بن خلف
وقيل في علي وحمزة وفي ابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل قوله عز و
جل الله نزل احسن الحديث يعني القران وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من
جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى اما الاول فان القران من افصح الكلام واجزله وابلغه
وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع مخالف للكل في اسلو
به واما الوجه الثاني وهو كون القران من احسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن
التناقض والاختلاف

والاختلاف مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى
الوعد والوعيد والجنة والنار كتابا متشابها اي يشبه بعضه بعضا متشابها
مثاني اي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام تقشعر اي تضطرب
وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تاخذهم قشعريرة وهو تغير يحد
ث في جلد الانسان عند ذكر الوعد والوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب
اي قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي لذكر الله تعالى وقيل
اذا ذكرت ايات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين واذا ذكرت ايات الوعد والر
حمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند
الرجاء روي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر
جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها وفي رواية حرمه ا
لله على النار قال بعض العارفين الحائرون في جلال الله اذا نظروا الى الجمال طاشوا وان لاح
لهم اثر من علائم الجمال عاشوا قال قتادة هذا نعت اولياء الله الذين نعتهم الله به ان تقشعر جلو
دهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع
وهو من الشيطان روي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر الصديق
كيف كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم
الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم
القران خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي ان ابن عمر مر
برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القران او سمع ذكر الله
سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط قال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احد
هم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ
عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه
القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها
اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في جانب الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التي
محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر ايات الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره
على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل ان المكا
شفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس
بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمان اليه القلب ولان الجلد ذلك
اي القران الذي هو احسن الحديث هدى الله يهدي به من يشاء اي هو الذي يشرح الله
صدره لقبول الهداية ومن يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية فما له من هاد
اي يهديه قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته يوم القيامة قيل
يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فاول شيء تمسه النار وجهه
وقيل هو الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت
مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على
وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي كانت في يديه وعنقه ومعنى الاية افمن

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب وقيل للظالمين أي تقول لهم
الخزنة ذوقوا أي وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا من المعاصي كذب الذين من قبلهم
أي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني وهم غافلون
آمنون من العذاب فأذاقهم الله الخزي أي العذاب والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة
أكبر لو كانوا يعلمون قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
لعلهم يتذكرون أي يتعظون قرآنا عربيا أي بلسان عربي يفصح عن جميع الفصحاء والبلغاء من مع فصاحته
غير ذي عوج أي منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن أنس بن مالك وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من
التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق لعلهم يتقون أي الكفر والتكذيب فإن قلت ما
الحكمة في تقديم التذكر في الآية الأولى على التقوى في هذه الآية قلت بسبب تقديم التذكر أن
الإنسان إذا تذكر وعرفه ووقف على فحوى الشيء واختلف معناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون أي متنازعون مختلفون ضيقة أخلاقهم
والشكس السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالإنصاف ورجلا سلما لرجل أي خالصا له لا
شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك
قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي أنه عبده وهم يتجاذبونه
في مهن شتى فإذا عنت حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره لا يدري أيهم يرضي بخدمته
وعلى أيهم يعتمد في حاجته وفي رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل
الإخلاص وذلك السيد يعينه على حاجته فأي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد
شأنا وهذا مثل ضربه الله للكافر يعبد آلهة شتى والمؤمن الذي يعبد الله وحده فكأن
حال المؤمن الذي يعبد إلها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذي يعبد آلهة شتى
وهو قوله هل يستويان مثلا وهذا استفهام إنكار لا يستويان في الحال والصفة وقال
تعالى الحمد لله أي لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت أن الله لا إله إلا هو
الواحد الأحد الحق بالدلائل الظاهرة والأمثال الباهرة قال الحمد لله أي على حصول هذه البينات
وظهور هذه الدلالات بل أكثرهم لا يعلمون أي أن المستحق للعبادة هو الله وحده لا غير
قوله تعالى إنك ميت أي ستموت وإنهم ميتون أي سيموتون وذلك أنهم كانوا يتربصون
برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر الله تعالى أن الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة
الفاني بالفاني وقيل نعى إلى نبيه نفسه وإليكم أنفسكم والمعنى إنك وإياهم ميتون
وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير ثم إنكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان في الدنيا
قال نعم قال إن الأمر إذا لشديد أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وقال ابن عمر
كنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم إنكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب
وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها فينا نزلت ومن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا

واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها فينا
نزلت وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد ودنينا واحد ونبينا واحد
فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا
وعن إبراهيم قال لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم
ونحن إخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا خ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو ماله فليتحلله اليوم قبل أن لا
يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات
أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه م عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال إن المفلس
من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل
مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت
حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله
عز وجل فمن أظلم ممن كذب على الله أي فزعم أن له ولدا أو شريكا وكذب بالصدق إذ جاءه
أي بالقرآن وقيل بالرسالة إليه أليس في جهنم مثوى أي منزل ومقام للكافرين قوله تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به أي والذي صدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء بلا إله إلا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه إلى الخلق أيضا
وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه السلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضي الله
عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع وقيل الذي جاء بالصدق
أهل القرآن وهو الصدق ويجيئون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به
أولئك هم المتقون أي الذين اتقوا الشرك لهم ما يشاءون عند ربهم أي من الجزاء والكرامة
ذلك جزاء المحسنين أي في أقوالهم وأفعالهم ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا
أي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أي يجزيهم بمحاسن
أعمالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل أليس الله بكاف عبده يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم
بالسوء فكفاهم شر من عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه وذلك أنهم خوفوا
النبي صلى الله عليه وسلم معرة الأوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم
خبل أو جنون ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز
أي منيع في ملكه ذي انتقام أي منتقم من أعدائه ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض
ليقولن الله يعني أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العليم الحكيم وذلك متفق
عليه عند جمهور الخلائق فإن فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل عجائب
السماوات والأرض وما فيهما من أنواع الموجودات علم بذلك أنها من ابتداع قادر
حكيم ثم أمر الله أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب
خير ودفع ضر وهو قوله تعالى قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله يعني الأصنام
إن أرادني الله بضر أي بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة أي بنعمة وخير

ويركف هل هن ممسكات رحمته فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله أي هو يكفيني وعليه اعتمادي عليه يتوكل المتوكلون أي عليه يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم أي اجتهدوا في أنواع مكركم وهو أمر تهديد وتقريع إني عامل أي فيما أمرت به من إقامة الدين فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أي إذا أتاكم ويحل عليه عذاب مقيم أي دائم وهو تهديد وتخويف إنا أنزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس بالحق أي بعثناه به لكافة الخلق فمن اهتدى فلنفسه أي فإليه يرجع فائدة هدايته ومن ضل فإنما يضل عليها أي يرجع وبال الضلال عليه وما أنت عليهم بوكيل أي لم توكل بهم ولم تؤاخذ بهم وقيل هذا منسوخ بآية القتال قوله تعالى الله يتوفى الأنفس أي الأرواح حين موتها أي فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها وهو موت الأجساد والتي لم تمت في منامها والنفس التي تتوفى عند النوم هي التي يكون بها العقل والتمييز ولكل إنسان نفسان نفس هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا تزول بزوالها النفس فيمسك التي قضى عليها الموت أي فلا يردها إلى جسدها ويرسل الأخرى أي يرد النفس التي لم يقض عليها الموت إلى جسدها إلى أجل مسمى أي إلى أن يأتي وقت موتها وقيل إن للإنسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عادت الروح إلى جسده بأسرع من لحظة وقيل أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى حين انقضاء مدة آجالها وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وبين قوله تعالى حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح بإذن الله ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أي في البعث وذلك أن توفي النفس في النوم وإرسالها بعد النوم دليل على البعث وقيل إن في ذلك لدليلا على قدرتنا حيث لم تغلط في إمساك ما نمسك من الأرواح وإرسال ما نرسل منها قوله تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء يعني الأصنام قل يا محمد أولو كانوا يعني الآلهة لا يملكون شيئا أي من الشفاعة ولا يعقلون أي إنكم تعبدونهم وإن كانوا بهذه الصفة قل لله الشفاعة جميعا أي لا يشفع أحد إلا بإذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لأنه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده له ملك السماوات والأرض أي لا ملك لأحد فيهما سواه ثم إليه ترجعون

في الآخرة

أي في الآخرة قوله تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت أي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وقيل الاشمئزاز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح إلى داخله فيظهر على الوجه أثره مثل الغبرة والظلمة وإذا ذكر الذين من دونه يعني الأصنام إذا هم يستبشرون أي يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل قوله عز وجل قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أي من أمر الدين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت إذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم قوله عز وجل ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي ظهر حين بعثوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون روي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى آية من كتاب الله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي مساوئ أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى وحاق بهم أي نزل بهم ما كانوا به يستهزئون فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم أي من الله تعالى أني له أهل وقيل على خير علمه الله عندي بل هي فتنة يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني أنه استدراج من الله تعالى قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فإنه قال إنما أوتيته على علم عندي فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي فما أغنى الكفر من العذاب شيئا فأصابهم سيئات ما كسبوا أي جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين أي بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء أي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر أي يقتر ويقبض على من يشاء إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله شركهم إيمانا وزناهم إحصانا ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك و
أنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك
كله فأنزل الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري
يغفر لي أو لا فأنزل الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
فقال وحشي نعم هذا فجاء فأسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في
عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا
وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم
أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتبها
عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك
النفر فأسلموا جميعا وهاجروا وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم نرى أن نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا
فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا قد هلك فنزلت هذه
الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا إذا رأينا أحدا أصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وإن لم
يصب منها شيئا رجونا له وقوله أسرفوا على أنفسهم أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم
قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله أي لا تيأسوا
من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله من الكبائر إن الله يغفر الذنوب جميعا
إنه هو الغفور الرحيم فإن قلت حمل هذه الآية على ظاهرها إغراء بالمعاصي
وإطلاق في الإقدام عليها وهذا لا يليق بحكمته قلت المراد منه التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن
العاصي أنه لا مخلص له من العذاب فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله إذ لا أحد
من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله إن الله يغفر
الذنوب جميعا أي بالتوبة إذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل التوبة فهو
موكول إلى مشيئة الله فيه فإن شاء عفا عنه وغفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله
الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب قائم فلعل الله
يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم

فصل

في ذكر أحاديث تتعلق بالآية روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل المسجد
فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ قل يا
عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله
يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين
إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال أله توبة فقال لا فقتله وجعل يسأل فقال له
رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة

فقال

ملائكة

وملائكة العذاب

وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا
ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له لفظ البخاري وفي مسلم فدل على راهب
فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم
سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل
له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون
الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق
أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأتاهم ملك في صورة
آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه
أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل يسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية
لم يعمل حسنة قط فلما حضرته الموت قال لبنيه إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم
اذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به
ذلك فأوحى الله تعالى إلى الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال ما حملك
على ما صنعت قال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني إسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر
في العبادة مجتهد فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوما على ذنب فقال
له أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أو قال لا يدخلك
الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الله تبارك وتعالى للمجتهد
أكنت عالما أو كنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر
اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود
وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم
إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم
استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك
بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي قوله عنان السماء العنان السحاب
وقيل هو ما علا منها وقراب الأرض بضم القاف هو ما يقارب ملأها قوله عز وجل
وأنيبوا إلى ربكم أي ارجعوا إليه بالتوبة والطاعة وأسلموا له أي أخلصوا له التوحيد من
قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون أي لا تمنعون منه واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم
من ربكم يعني القرآن لأن كله حسن ومعنى الآية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله
واجتنبوا معصيته فإنه أنزل في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الأدون لئلا ترغب
فيه وذكر الأحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الأحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ
من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون يعني بما قبل عنه أن تقول
نفس أي لئلا تقول نفس وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوفا أن تصيروا إلى حال تقول
يا حسرتى أي يا ندماه ويا حزناه والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات على ما فرطت
في جنب الله أي على ما قصرت في طاعة الله وقيل في أمر الله وقيل في حق الله وقيل على ما

وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما فصرت في الجانب الذي يؤدي الى الرضى الله تعالى وان كنت لمن الساخرين اي من المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله والمومنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين اي من الموحدين هذه العلل بعد الاعتذار زايغة والتعلل باطل وهو قوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي اي يعني القرآن فكذبت بها اي قلت ليست من الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله اي فزعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي عن الايمان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا اي الشرك بمفازتهم اي بالطريق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقري بمفازاتهم اي ينجيهم يفوزهم بالاعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء اي لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء اي مما هو كاين ويكون في الدنيا والاخرة وهو على كل شيء وكيل اي ان الاشياء كلها موكلة اليه فهو القايم بحفظها له مقاليد السموات والارض اي مفاتح خزاين السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز لم يوذها الديك بصوت تغريد ولم يعالج غلقا باقليد والمعنى ان الله تعالى مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزاين ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات والارض خزاين الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات والذين كفروا اي جحدوا بآيات الله الظاهرة الباهرة اولئك هم الخاسرون قوله عز وجل قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين ابايه ولعله وصفهم بالجهل لانه قد تقرر ان الله هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره هو الجاهل ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اي الذي عملته قبل الشرك وهذا الخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عصم نبيه من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اي لانعامه عليك قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره ثم اخبر تعالى عن عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وعن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفي رواية والماء والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرا وما قدروا الله حق قدره الاية وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله ثم يقول

انا الملك

انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفي رواية ويقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها رواية ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الماثورة الصحيحة وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى الا من شاء الله تقدم في سورة النمل هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده ثم نفخ فيه اي في الصور اخرى اي مرة اخرى وهي النفخة الثانية فاذا هم قيام اي من قبورهم ينظرون اي ينتظرون امر الله فيهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال ابو هريرة ابيت قال ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من شيء من الانسان الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيامة ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال الخلق من المبتدا الى المنتهى وجيء بالنبيين يعني ليكونوا شهداء على اممهم والشهداء قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت وهو اعلم بما يفعلون يعني ان الله سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد قوله عز وجل وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا اي افواجا بعضها على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات في تفرقة واحدتها زمرة حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة وقال لهم خزنتها يعني توبيخا وتقريعا الم ياتكم رسل منكم اي من انفسكم ومن جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب اي وجبت على الكافرين وهي قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق

فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل
بالأسير الخارج إلى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنهم لا يذهبون
إليها إلا راكبين والمراد به الإسراع بهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين
السوقين حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها فإن قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو
وهنا وفتحت بالواو فما الفرق قلت فيه وجوه أحدها أنها زائدة والثاني أنها واو
الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو ليبين أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم إليها
وحذفت الواو في الآية الأولى ليبين أن أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم إليها ووجه
الحكمة في ذلك أن أهل الجنة إذا جاءوها وأبوابها مفتحة حصل لهم الفرح والسرور
في ذلك وأهل النار إذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا
ليبين أن أبواب الجنة ثمانية ونقصت هنالك لأن أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف
بالواو على ما فوق السبعة وثمانية فإن قلت حتى إذا جاءوها شرط فأين جوابه قلت
فيه وجوه أحدها أنه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث
لا يمكن ذكره الثاني أن الجواب قال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره حتى إذا جاءوها
وفتحت أبوابها ادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام
عليكم أي بشرى لكم بالسلامة من كل الآفات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام و
قيل إذا قطع الناس جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى إذا هذبوا
وطيبوا أدخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا
عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره
ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده أي بالجنة وأورثنا الأرض
أي أرض الجنة نتصرف فيها كيف نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما
يرثه وهو قوله تعالى نتبوأ أي ننزل من الجنة أي في الجنة حيث نشاء فإن قلت ما معنى
حيث نشاء وهل يتبوأ أحد منهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة
لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج
إلى غيره وقيل إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون فيها حيث
شاءوا ثم تنزل الأمم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل فنعم أجر العاملين
أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى وترى الملائكة حافين من حول العرش أي محدقين
محيطين بالعرش مطيفين بحافتيه وجوانبه يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا التسبيح
تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم بالحق أي قضي بين أهل
الجنة وأهل النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين أي يقوله أهل الجنة شكرا حين تم
وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله تعالى ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض و
ختم بالحمد في آخر الأمر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فتنبه بذلك على تحميده في بداية كل
أمر وختمه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة غافر

وتفسير سورة

وتفسير سورة غافر وهي مكية قيل غير آيتين وهما قوله الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف وتسعمائة وتسعون كلمة وأ
ربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود قال إن مثل صاحب القرآن
كمثل رجل انطلق لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط
على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فقيل له إن مثل الغيث
الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن
ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت في
حم وقعت في روضات أتأنق فيهن وقال سعد بن إبراهيم كان آل حم يسمين العرا
ئس بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم الله الأعظم وعنه
قال الر وحم ونون حروف الرحمان مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح
أسمائه حليم وحميد وحي وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم
معناه حم أي قضي ما هو كائن تنزيل الكتاب من الله العزيز أي الغالب القادر و
قيل العديم المثل العليم أي بكل المعلومات غافر الذنب أي ساتر الذنب وقابل التوب أي
التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله شديد
العقاب لمن لم يقل لا إله إلا الله ذي الطول أي ذي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم
وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه لا إله إلا هو أي هو المتوحد بجميع الأو
صاف التي لا يوصف بها غيره إليه المصير أي مصير العباد في الآخرة قوله تعالى ما يجادل
في آيات الله أي في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار إلا الذين كفروا قال أبو العالية
آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله إلا الذين
كفروا وقوله وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن جدالا في القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء في القرآن
كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال
إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وإنما نزل الكتاب
يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه
إلى عالمه وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في
وجهه الغضب فقال إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك تقلبهم أي تصرفهم
في البلاد للتجارة وسلامتهم فيها مع كفرهم فإن عاقبة أمرهم العذاب كذبت قبلهم قوم
نوح والأحزاب من بعدهم أي الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح
وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه وجا
دلوا أي خاصموا بالباطل ليدحضوا أي ليبطلوا به الحق الذي جاءت به الرسل فأخذتهم
فكيف كان عقاب أي أنزلت بهم الهلاك ما هموا بإنزاله بالرسل وقيل معناه فكيف
كان عقابي إياهم أليس كان مهلكا مستأصلا وكذلك حقت أي وجبت كلمات ربك
أي كما وجبت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت على الذين كفروا من قومك

انهم اي بانهم اصحاب النار **قوله عز وجل** الذين يحملون العرش قيل هم حملة
العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة مدهم باربعة اخرى كما قال ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم من اشراف الملائكة وافضلهم لقربهم من الله عز وجل
على صور الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه
نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش
فيصعق وجناحان يخفق في الهوى ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد
ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما
بين كعب احدهم الى اسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الا
رضين والارضون والسموات الى حجزهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان
ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة
والروح وقيل ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون
طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا
من التي تليها والتي تليها اشد خوفا من التي تليها **وروي عن** جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه
الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود **واما صفة العرش** فقيل
انه جوهرة خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا روى جعفر بن محمد عن ابيه عن
جده انه قال ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع
ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق
الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة
وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة
وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض **قوله عز وجل** ومن
حوله يعني الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه سبعون
الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون حول العرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا
استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم
الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اولئك وتهليلهم رفعوا
اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك
انت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة الف صف من الملائكة
قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الاخر ما بين جناحي
احدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة اربعمائة
عام واحتجب الله من الملائكة الذين يحملون العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين
حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا
من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين
حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل **قوله تعالى** يسبحون
بحمد ربهم اي ينزهون الله عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم
على الاطلاق

ويومنون به

ويومنون به اي يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل ولا نظير له **فان قلت**
الذين يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة
قوله ويومنون به **قلت** فائدة التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما كان
الله عز وجل محتجبا عنهم بحجاب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر
بن حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم **ويستغفرون للذين امنوا**
اي يسالون الله طلب المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر منهم هذا اولا تداركوه
بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في احد بشيء يكره
ان يستغفر له **ربنا** اي يقولون ربنا **وسعت كل شيء رحمة وعلما** اي وسعت
رحمتك وعلمك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله بما هو اهله قبل
المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا **فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك** اي دينك **وقهم عذاب الجحيم** قال مطرف انصح عباد الله للمومنين الملائكة
واغش الخلق للمومنين هم الشياطين **ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح
من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم** قيل اذا دخل المومن الجنة
قال اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول اني كنت اعمل لي
ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان اكمل لسروره ولذته **وقهم
السيئات** اي عقوبات السيئات فان تجوزهم عن الاعمال الصالحة التي توجبه العذاب
ومن تق السيئات يومئذ اي في الدنيا **فقد رحمته** اي في القيامة **وذلك هو الفوز
العظيم** اي النعيم المقيم الذي لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته
وجلاله **قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون** اي يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم
حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم **لمقت الله** اي اياكم في الدنيا **اكبر من
مقتكم انفسكم** اليوم عند حلول العذاب بكم **اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين** قال ابن عباس كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله في الد
نيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان
وقيل اميتوا في الدنيا ثم احيوا في القبر للسؤال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا للبعث في الاخرة
وعلى انهم عدوا اوقات البلاء والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة
الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التي هي في الدنيا فلم يعدوها لانها ليست
من اوقات البلاء وقيل ذكر حياتان وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتان وهي الموتة
الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال **فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج** اي
من النار **من سبيل** والمعنى فهل من رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك
وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى
فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى **ذلكم بانه اذا
دعي الله وحده كفرتم** معناه فلا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار

بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم يعني إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم ذلك وإن يشرك به أي غيره تؤمنوا أي تصدقوا ذلك الشرك فالحكم لله العلي أي لا أعلى منه الكبير أي لا أكبر منه قوله عز وجل هو الذي يريكم آياته أي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته وينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق وما يتذكر أي يتعظ بهذه الآيات إلا من ينيب أي يرجع إلى الله في جميع أموره فادعوا الله مخلصين له الدين أي الطاعة والعبادة ولو كره الكافرون قوله تعالى رفيع الدرجات أي رافع درجات الأنبياء والأولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع بعظمته في صفة جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء إليه ذو العرش أي خالقه ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم الأجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى يلقي الروح أي ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيى الأرواح كما تحيى الأجساد بالأرواح من أمره قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله على من يشاء من عباده يعني الأنبياء لينذر يوم التلاق يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة والمعنى يلتقي أهل السماء وأهل الأرض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبود وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم يوم هم بارزون أي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء لا يخفى على الله منهم شيء أي من أعمالهم وأحوالهم فإن قلت إن الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمون في الدنيا لمن الملك اليوم أي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول لله الواحد القهار أي الذي قهر الخلق بالموت وقيل إذا حضر الأولون والآخرون في يوم القيامة نادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه جميع الخلق في يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذلة والصغار والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يعني يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته لا ظلم اليوم أي إن الخلق آمنون في ذلك اليوم من الظلم لأن الله ليس بظلام للعبيد إن الله سريع الحساب أي إنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق كله في وقت واحد فهو تعالى وأنذرهم يوم الآزفة يعني يوم القيامة سميت آزفة لقربها وكل ما هو آت قريب إذ القلوب لدى الحناجر وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر فلا هي تعود إلى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحون كاظمين أي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يطبق القلب عليه ما للظالمين من حميم أي من قريب ينفعهم ولا شفيع أي يشفع لهم يطاع أي فيهم يعلم خائنة الأعين أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل وقيل هو نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه وما تخفي الصدور أي يعلم مضمرات القلوب والله يقضي بالحق أي يحكم بالعدل والذين يدعون من دونه يعني الأصنام لا يقضون بشيء لأنها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء إن الله هو السميع أي لأقوال الخلق البصير أي بأفعالهم أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة

الذين كانوا

من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض أي المعنى أن العاقل من اعتبر بغيره فإن الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق أي يقيهم من العذاب ذلك أي ذلك العذاب الذي نزل بهم بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب قوله عز وجل ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه قيل هذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل واستحيوا نساءهم أي استبقوا النساء يعني ليصدهم عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد الكافرين إلا في ضلال أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى وقال فرعون لملئه ذروني أقتل موسى وإنما قال فرعون هذا لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتله وإنما منعوه من قتله لأنه كان فيهم من يعلم أنه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فإنما هو ساحر ضعيف ولا يقدر أن يغلب سحرتنا وإن قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وليدع ربه أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله فيمنعه منا إني أخاف أن يبدل دينكم يعني يقول فرعون يغير دينكم الذي أنتم عليه وأن يظهر في الأرض الفساد يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره وقال موسى يعني لما توعده فرعون بالقتل إني عذت بربي وربكم يعني أن موسى عليه السلام لما بلغه ذلك استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم صانه الله من كل بلية من كل متكبر أي متعظم عن الإيمان لا يؤمن بيوم الحساب قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني إسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس وأكثر المفسرين وقال ابن إسحاق كان اسمه جبريل وقيل حبيب أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله أي لأن يقول ربي الله وهذا استفهام إنكار وهو إشارة إلى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فيه إشارة إلى تقرير نبوته بإظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه وإن يك كاذبا فعليه كذبه أي لا يضركم ذلك إنما يعود وبال كذبه عليه وإن يك صادقا وكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم قيل معناه يصبكم كل الذي يعدكم إن قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على بابها ومعناه كأنه قال على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم وذكر البعض ليوجب الكل إن الله لا يهدي أي إلى دينه من هو مسرف كذاب على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قوله عز وجل يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض أي غالبين في الأرض أي أرض مصر فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكم قال فرعون ما أريكم أي من الرأي والنصيحة إلا ما أرى أي لنفسي وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى

ثم حكى الله تعالى أن مؤمن آل فرعون رد على فرعون بهذا الكلام وخوفه أن يحل به ما حل بالأمم
قبله بقوله **وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود**
والذين من بعدهم أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى نزل العذاب **وما الله يريد ظلما للعباد**
أي لا يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم **ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد** يعني يوم القيامة سمي يوم
القيامة يوم التناد لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار
وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى
بعدها أبدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود
فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرءوا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أ
وت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنادّ من ند البعير إذا ند وهرب وذلك أنهم إذا سمعوا زفير
النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون إلى المكان
الذي كانوا فيه **يوم تولون مدبرين** أي منصرفين عن موقف الحساب إلى النار **ما لكم من الله من عاصم**
أي يعصمكم من عذابه **ومن يضلل الله فما له من هاد** أي يهديه **ولقد جاءكم يوسف** يعني يوسف
بن يعقوب **من قبل** أي من قبل موسى **بالبينات** يعني قوله وأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار
وقيل يوسف بن [illegible] بعثه الله رسولا فأقام فيهم عشرين سنة نبيا وقيل إن فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو
فرعون آخر **فما زلتم في شك مما جاءكم به** قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والم
عنى أنهم بقوا شاكين في نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها **حتى إذا هلك** يعني مات
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة وإنما
قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك ليكون لهم [illegible]
لا [illegible] وليس مرادهم أنهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد
شكوا فيها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموما إلى التكذيب برسالته **كذلك يضل الله من هو**
مسرف أي في شركه وعصيانه **مرتاب** أي في دينه **الذين يجادلون في آيات الله** قيل هذا تفسير للمسرف
المرتاب يعني الذين يجادلون في إبطال آيات الله بالتكذيب **بغير سلطان** أي بغير حجة وبرهان **أتاهم**
من الله **كبر** أي ذلك الجدال **مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر**
جبار قوله عز وجل **وقال فرعون** يعني لوزيره **يا هامان ابن لي صرحا** أي بناء ظاهرا
لا يخفى على الناظر وإن بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص **لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات** أي
طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء **فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه** يعني موسى **كاذبا** أي فيما
يدعي ويقول إن له ربا غيري **وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل** قال ابن عباس صده الله
عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح وصد فرعون الناس عن السبيل **وما كيد فرعون إلا في تباب** أي
وما كيده في إبطال آيات موسى إلا في خسار وهلاك قوله تعالى **وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم**
سبيل الرشاد أي طريق الهدى **يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع** أي منفعة تنتفعون بها
مدة ثم تنقطع **وإن الآخرة هي دار القرار** أي التي لا تزول والمعنى أن الدنيا منقطعة مضمحلة والآخ
رة باقية فيها وإن الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا من ذهب
والآخرة من خزف باق لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق

من

من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها قيل من عمل بالشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ومن عمل
بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها **ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون**
فيها بغير حساب أي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير
ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار معناه أنا أدعوكم إلى الإيمان الذي يوجب النجاة من النار
وأنتم تدعونني إلى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال **تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس**
لي به علم أي لا أعلم أن هذا الذي تدعونني إليه إله وما لا يجوز أن يكون شريكا فكيف أجعله شريكا لله الحق ولما بين
أنهم يدعونه إلى الكفر والشرك بين أنه يدعوهم إلى الإيمان بقوله **وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار** أي في انتقامه
ممن كفر **الغفار** أي لذنوب أهل التوحيد **لا جرم** يعني حقا **أنما تدعونني إليه** يعني الصنم **ليس**
له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة يعني ليس له استجابة دعوة لأحد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليس له دعوة
إلى عبادته في الدنيا لأن الأصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها **وأن مردنا**
إلى الله أي مرجعنا إلى الله فيجازي كلا بما يستحقه **وأن المسرفين** يعني المشركين **هم أصحاب النار**
فستذكرون ما أقول لكم أي إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر **وأفوض أمري إلى الله** أي أرد أمري إلى الله
وذلك أنهم توعدوه بمخالفة دينهم **إن الله بصير بالعباد** يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من
بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى **فوقاه الله سيئات ما مكروا** أي ما أرادوا به من
الشر قيل إنه نجا مع موسى عليه السلام وكان قبطيا **وحاق** أي نزل **بآل فرعون سوء العذاب** يعني الغرق
في الدنيا والنار في الآخرة وذلك قوله **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا** يعني صباحا ومساء قال ابن
مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار في كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال يا آل
فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل
بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه **ق** عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة
وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة ثم أخبر الله عز وجل
عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى **ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون** يعني يقال لهم أدخلوا يا آل فرعون
أشد العذاب قال ابن عباس يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا **قوله تعالى وإذ يتحا**
جون أي اذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار **في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا**
لكم تبعا أي في الدنيا **فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا** يعني الرؤساء والقادة **إنا**
كل فيها يعني نحن وأنتم **إن الله قد حكم بين العباد** أي قضى علينا وعليكم **وقال الذين في النار لخزنة**
جهنم يعني حين اشتد عليهم العذاب **ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا** يعني الخزنة **أولم تك تأ**
تيكم رسلكم بالبينات يعني بالآيات الدالة **قالوا بلى** أي اعترفوا بذلك **قالوا فادعوا** يعني أنتم فإنا
لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** يعني يبطل
ويضل ولا ينفعهم **قوله عز وجل إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا** قال ابن عباس
[illegible] بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصور
ون بالحجة على من خالفهم وقد نصرهم بالقهر على من ناوأهم وأهلك أعداءهم [illegible]

يحيى بن زكريا لما قتل جاءت قتل منهم سبعين ألفا ويوم يقوم الأشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل
بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم أي إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم ولهم
اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار يعني جهنم ولقد آتينا موسى الهدى يعني النبوءة وقيل التورية
وأورثنا بني إسرائيل الكتاب يعني التورية وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم هدى وذكرى لأولي الألباب
فاصبر يا محمد على أذاهم إن وعد الله حق أي في إظهار دينك وإهلاك أعدائك
قال الكلبي نسختها آية القتال آية الصبر واستغفر لذنبك يعني الصغائر وهذا على قول من جوزها
على الأنبياء وقيل يعني ترك الأولى والأفضل وقيل على ما كان قد صدر منه قبل النبوءة وعند من لا يجوز الصغائر على الأ
نبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده به درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وقد ذكر
لا مجال مع الطاعات محصورة في تحسين التوبة على الاستغفار بما ينبغي والاشتغال بما لا ينبغي والأول مفروع وهو التوبة
لزوم والثاني الاشتغال بالطاعات وسبح بحمد ربك أي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك
بالعشي والإبكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس إن الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان أتاهم يعني كفار قريش إن في صدورهم إلا كبر قال ابن عباس
ما حملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ما هم ببالغيه يعني ما هم ببالغ مقتضى ذلك الكبر
وقيل معناه إن في صدورهم إلا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت
في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر
الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك إلينا قال الله تعالى فاستعذ بالله أي من فتنة الد
جال إنه هو السميع لأقوالهم البصير لأفعالهم لخلق السماوات والأرض
مع عظمهما أكبر من خلق الناس أي من إعادتهم بعد الموت والمعنى أنهم مقرون أن الله تعالى خالق السماوات
والأرض وذلك أعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت ولكن أكثر الناس لا
يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق النا
س أي أعظم من خلق الدجال والذكر أكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال

فصل في الدجال

عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من خلق الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم
شوكة وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال إنه أعور العين اليمنى كأنها
عنبة طافية وفي رواية والترمذي عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما
هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إني أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه ولكن سأ
قول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور وعن أنس رضي الله عنه قا
ل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي إلا وقد أنذر قومه الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم
ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك
ف ر يقرؤه كل مسلم وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيتي فذكر الدجال فقال إن بين يديه ثلاث سنين تمسك السماء فيها ثلث قطرها والأرض
ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء

قطرها

قطرها والأرض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك ومن أشد فتنته
أنه يأتي الأعرابي فيقول له أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيمثل له نحو إبله كأ
حسن ما يكون ضروعا وأعظمه أسنمة ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول له أرأيت إن أحييت لك أخا
ك وأباك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحاجة له ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم فأخذ بلحمتي الباب فقال مهيم أسماء قالت
قلت يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه وإلا فإن ربي خليفتي
على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله إنا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يو
مئذ قال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله
عليه وسلم يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة السنة كالشهر
والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاضطرام السعفة في النار هذا حديث أ
خرجه البغوي بسنده والله أعلم وفي صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الأرض قال أربعون
يوما يوما كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم
الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض قال كا
لغيث استدبرته الريح وفي رواية أبي داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الك
الكهف فإنها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيد
ركه عند باب لد فيقتله وعن حذيفة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء بارد وأما الذي يرى الناس أنه ماء
فنار تحرق فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء عذب بارد وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه
إنه أعور وإنه يجيء بمثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر نوح قومه وعن
المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر ما سألته وإنه قال
لي ما يضرك قلت إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وعن عمران بن
حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله إن
الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو قال لما يبعث به من الشب
الشبهات أخرجه أبو داود وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس
من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها
فينزل السبخة ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق وعن أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق و
همته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك وعن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من أرض بالمشرق
يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الد
جال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة أخرجه مسلم إن حادثة ...

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من المقدورات من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره وإتباعه كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للمعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعي مخارق وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق وخوفا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب ولهذا حذرت الأنبياء من فتنته وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك إلا بصيرة قوله قلت يا رسول الله إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل إنما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك لأنه ثبت في الحديث أن معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله أعلم

قوله عز وجل وما يستوي الأعمى والبصير أي الجاهل والعالم والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء أي لا يستويان قليلا ما تتذكرون أي القليل من يتذكر ويتعظ إن الساعة لآتية لا ريب فيها أي لا شك في قيامها ومجيئها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون أي لا يصدقون بالغيب بعد الموت قوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وقال حديث غريب فإن قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الإنسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الإخلاص في الدعاء وأن لا يدعو وقلبه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالإجابة

بالإجابة فإما أن يعجلها له وإما أن يدخرها له يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي أي عن توحيدي وقيل عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين ذليلين قوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه أي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون والنهار مبصرا أي يحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم أي المختص بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق الأشياء وأنه لا شريك له في ذلك فأنى تؤفكون أي فأنى تصرفون عن الحق كما أفك عن الحق مع قيام الدلائل كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الأرض قرارا أي فراشا تستقرون عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت والسماء بناء أي سقفا مرفوعا كالقبة وصوركم فأحسن صوركم أي خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه ورزقكم من الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده من المآكل والمشارب من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو أي الحي الذي لا يموت فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين وذلك حين دعي إلى الكفر من كان الله قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل أن كل إنسان خلق من تراب لأنه خلق من النطفة وهي من الأغذية والأغذية من النبات والنبات من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا يعني أن مراتب الإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث مراتب الطفولية وهي حال النمو والزيادة إلى أن يبلغ كمال الأشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهو الشيخوخة ومنكم من يتوفى من قبل أي من قبل أن يصير شيخا ولتبلغوا أجلا مسمى أي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني أجل الحياة إلى الموت ولعلكم تعقلون أي ما في هذه الأحوال العجيبة من القدرة الدالة الباهرة على توحيده وقدرته هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وذلك من كمال قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من الأفعال الدالة على قدرته من الانتقال إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون من غير ما هو شيء والسرعة قوله تعالى ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله يعني القرآن أنى يصرفون أي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية

بت بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون وعيد وتهديد لهم ثم وصف ما وعدهم به فقال
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار يسجرون
اي يوقد بهم النار ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم فلا نراهم
بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا قيل انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعوا شيئا ينفع و
يضر وقيل ضاعت عبادتنا لها كما لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين اي مثل اضلال
هؤلاء ذلكم اي العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تمرحون اي تختالون وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة خالدين فيها ف
بئس مثوى المتكبرين اي عن الايمان فاصبر ان وعد الله حق الخطاب له
للنبي صلى الله عليه وسلم اي بنصرك على الاعداء فاما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب في حياتك او
نتوفينك اي قبل ان نحل ذلك بهم فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا
عليك خبره وحاله في القرءان ومنهم من لم نقصص عليك اي لم نذكر لك حال الباقين كيف منهم
مع اعدائهم … ايات ومعجزات الا … له قومه وكذبوا بها وما جرى عليهم … ما جرى عليك
فصبروا وهذه التسلية لنبي الله صلى الله عليه وسلم وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي بامر الله
وارادته فاذا جاء امر الله اي قضاؤه من الانبياء والامم قضي بالحق اي بالعدل وخسر هنالك المبطلون
اي الذين يجادلون في ايات الله بغير حق فيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام
لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في اصوافها واوبارها واشعارها والبانها
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي تحمل اثقالكم من بلد الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم و
عليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم اياته اي …
فاي ايات الله تنكرون يعني ان هذه الايات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يحتمل
انكاره قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا
اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو ساروا هؤلاء في
اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا وعدد
واموالا من هؤلاء فما اغنى عنهم اي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون اي اي شيء اغنى عنهم كد
كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا اي رضوا بما عندهم من العلم قيل هو
قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا … علم العلماء … يدعونه ويزعمونه وهو
في الحقيقة جهل وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا ا
امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل بالله فلم يك ينفع
هم ايمانهم لما راوا باسنا سنت الله التي قد خلت في عباده يعني ان سنة الله
جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة الباس وهو العذاب يعني بتلك السنة ا
نهم اذا راوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك الكا
فرون اي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا راوا العذاب والله
سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة السجدة وتسمى فصلت وسورة المصابيح
وهي مكية

اربع وخمسون اية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلاثمائة وخمسون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته اي
بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد قرءانا عربيا اي باللسان العربي
لقوم يعلمون اي انما انزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه
بشيرا ونذيرا نعتان للقرءان اي بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب فاعرض اكثر
هم اي عنه فهم لا يسمعون اي لا يصغون اليه تكبرا وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في اكنة اي ا
غطية مما تدعونا اليه اي فلا نفقه ما تقول وفي اذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا
في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفقه ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين وحاجز في
النحلة فلا نوافقك على ما تقول فاعمل اي على دينك اننا عاملون اي على ديننا قل انما انا
بشر مثلكم اي كواحد منكم يوحى الي اي لولا الوحي ما ميزتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع ا
نما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اي توجهوا اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه اي
من ذنوبكم … وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة قال ابن عباس لا يقولون
لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى انهم لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بان
الزكاة المفروضة ولا يرون اتيانها واجبا … فمن قطعها …
هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم كافر
ون اي جاحدون بالبعث بعد الموت ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس
اي غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الاية في المرضى
والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه خ عن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل
عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قوله عز وجل
قل اينكم استفهام بمعنى الانكار … لتكفر
ون بالذي خلق الارض في يومين … وتجعلون له اندادا …
يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا له مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الاحد والاثنين
ذلك رب العالمين اي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الانداد المنحوتة من الخشب وا
لحجارة وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت من فوقها اي من فوق الارض وبارك فيها اي في الارض
بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما يخرج فيها من الاشجار والانهار والثمار وخلق اصناف
الحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر فيها اقواتها اي قسم في الارض ارزاق العباد والبهائم
وقيل قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر الخبز لاهل قطر
من الارض والتمر لاهل قطر اخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل ان الز
راعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض قال الله تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام مع اليومين الاولين خلق الارض في يومين وقدر الاقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء والاربعاء فصار
ت اربعة ايام رد الاخر الى الاول في الذكر سواء للسائلين معناه سواء لمن سال عن ذلك فهكذا ا
لامر سواء لا زيادة ولا نقصان جواب لمن سال في كم خلقت الارض والاقوات ثم استوى الى السماء

أي عمد إلى خلق السماء **وهي دخان** يعني أن ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والأرض على الماء فلما أراد الله أن يخلق السموات والأرض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا **فإن قلت** هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء وقوله والأرض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما **قلت** الجواب المشهور أن الله خلق الأرض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحى الأرض ومدها وجواب آخر وهو أن يقال إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض ومعنى هذه الآية يكون معنى الآية خلق الأرض في يومين ليس الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء وعلى هذا يزول الإشكال والله أعلم **فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها** أي ائتيا ما أمرتكما أي افعلاه وقيل افعلا ما آمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها بل أجابتا بالطوع **قالتا أتينا طائعين** معناه أتينا بما فيها طائعين ... مطيعين بالخلق ... الجمع ... قال الله لهما أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد **فقضاهن سبع سماوات** أي أتمهن وفرغ من خلقهن **في يومين** هما الخميس والجمعة **وأوحى في كل سماء أمرها** قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وخلق فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله وقيل أوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي **وزينا السماء الدنيا** أي التي تلي الأرض **بمصابيح** أي بكواكب تشرق بالمصابيح **وحفظا** أي وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع **ذلك** أي الذي ذكر من صنعه وخلقه **تقدير العزيز** أي في ملكه **العليم** أي بخلقه وفيه إشارة إلى كمال القدرة والعلم **فإن أعرضوا** يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان **فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** أي خوفتكم هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء **إذ جاءتهم الرسل** يعني إلى الرسل الذين أرسلوا إليهم وهم هود وصالح وإنما خص هاتين القبيلتين لأن قريشا كانوا يمرون على بلادهم عاد وثمود **من بين أيديهم** يعني الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم **ومن خلفهم** يعني ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا إليهم وهم هود وصالح وإنما خص هاتين القبيلتين لأن قريشا كانوا يمرون على بلادهم **ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة** يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل **فإنا بما أرسلتم به كافرون** روى البغوي بسنده عن الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي إن كان كذلك فأتاه فلما خرج إليه قال له يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسنا ما بقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود

وأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا إليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر قرأ السورة إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب أي **وقال محمد بن كعب القرظي** حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد فقال يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب محمد يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فإنكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد حتى إذا فرغ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى فيها يقرؤها فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى إذا انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم **قوله عز وجل فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة** وذلك أن هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم **أولم يروا** أي أولم يعلموا **أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا** أي عاصفة شديدة الصوت وقيل هي الريح الباردة وقيل إن الرياح ثمانية فأربع منها عذاب وهي الريح العقيم والصرصر والعاصف والقاصف وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خاتم فأهلكوا جميعا **في أيام نحسات** أي نكدات مشؤومات ذات نحوس وقيل إنها كانت ذات غبار وتراب

نائبهم لا يكاد يبصر فيه ويتعرّف فيه وقيل امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت عليهم الريح من
غير مطر **لنذيقهم عذاب الخزي** أي عذاب الذل والهوان وهذا مقابل لقوله فاستكبروا في الأرض بغير الحق
في الحياة الدنيا أي ذلك العذاب الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا **ولعذاب الآخرة أخزى** أي أشد إهانة
وهم لا ينصرون أي لا يمنعون من ذلك العذاب الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا والعذاب في **وأما ثمود فهديناهم**
قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر **فاستحبوا العمى على الهدى** أي
اختاروا الكفر على الإيمان **فأخذتهم صاعقة العذاب الهون** أي الهوان **بما كانوا يكسبون** أي من الشرك
ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون أي يتقون الشرك والأعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه
ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم على
آخرهم **حتى إذا ما جاؤوها** يعني النار **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم** أي بشرتهم وقيل
فروجهم **بما كانوا يعملون** معناه أن الجوارح تنطق بما كتمت الألسن من عملهم عن أنس بن مالك رضي
الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك قلنا الله ورسوله
أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فإني لا أجيز اليوم على
نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك
شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا
لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل **وقالوا** يعني الكفار الذين يجرون إلى النار **لجلودهم لم شهدتم علينا**
قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء معناه أن القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم أعا
دكم بعد الموت قادر على إنطاق الأعضاء والجوارح وهو قوله **وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون** و
قيل تم الكلام عند قوله أنطق كل شيء. ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وقيل إنه ليس
من جواب الجلود **وما كنتم تستترون** أي تستخفون وقيل معناه تظنون **أن يشهد عليكم سمعكم**
ولا أبصاركم ولا جلودكم والمعنى أنكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد
عليكم **ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون** قال ابن عباس كان الكفار يقولون إن الله
لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر **وعن** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اجتمع
عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم فقال أحدهم أتر
ون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان
يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم
سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقيل الثقفي هو عبد يا
ليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان ابنا أمية **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بر**
بكم أي ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون **أرداكم** أي أهلككم وقال ابن عباس طرحكم في النار **فأ**
صبحتم من الخاسرين ثم أخبر عن حالهم بقوله **فإن يصبروا فالنار مثوى لهم** أي مسكن **وإن يست**
عتبوا أي يسترضوا ويطلبوا العتبى والعتب هو الرضا وقيل معناه وإن يطلبوا أن يسألوا **ما هم من**
المعتبين أي المرضيين **وقيضنا لهم** أي بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا وسببنا لهم **قرناء** أي نظراء
من الشياطين **فزينوا لهم ما بين أيديهم** أي من أمر الدنيا حتى آثروها على الآخرة **وما خلفهم** أي من أمر
الآخرة فدعوهم إلى التكذيب بالآخرة وإنكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة **وحق**

عليهم القول

القول أي وجب **في أمم** أي مع أمم **قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** قوله تعالى **وقال**
الذين كفروا يعني مشركي قريش **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه** **قال ابن عباس**
يعني والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الأصوات كان بعضهم يوصي إلى بعض إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه
بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل
صيحوا في وجهه **لعلكم تغلبون** يعني محمدا على قراءته **فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجز**
ينهم أسوأ الذي كانوا يعملون أي في الآخرة وهو الشرك **ذلك** أي الذي ذكر من العذاب **جزاء أعداء الله** ثم
بين ذلك الجزاء فقال **النار لهم فيها دار الخلد** أي دار الإقامة لا انتقال لهم عنها **جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدو**
ن وقال الذين كفروا أي في النار **ربنا** أي يقولون في النار ربنا **أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس** يعنون إبليس وقا
بيل ابن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنا المعصية **نجعلهما تحت أقدامنا** أي في النار **ليكونا من الأسفلين** أي في الد
رك الأسفل من النار **وقال ابن عباس** ليكونا أشد عذابا منا **قوله عز وجل إن الذين قالوا**
ربنا الله ثم استقاموا قال أهل التحقيق كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ورأس المعرفة
اليقينية معرفة الله تعالى وإليه الإشارة بقوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم ورأس الأعمال الصالحة أن يكون الإنسان
مستقيما في الوسط غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط فيكون الاستقامة في أمر الدين والتوحيد فتكون في
الأعمال الصالحة **سئل أبو بكر الصديق** رضي الله عنه عن الاستقامة فقال أن
لا تشرك بالله شيئا **وقال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ
روغان الثعلب **وقال عثمان بن عفان** رضي الله عنه استقاموا أخلصوا في العمل **وقال علي**
بن أبي طالب رضي الله عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله عز وجل فعملوا
بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله
وكان الحسن إذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة **تتنزل عليهم الملائكة**
قال ابن عباس عند الموت وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند
الموت وفي القبر وعند البعث **ألا تخافوا** أي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة **ولا**
تحزنوا أي على ما خلفتم من أهل وولد فإنا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا
فإنا نغفرها لكم **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم** أي يقولون لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم
بالبشرى نحن أولياؤكم أي أنصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم **في الحياة الد**
نيا ونحن أولياؤكم في الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة **ولكم فيها** أي في الجنة **ما تشتهي أنفسكم**
أي من الكرامة واللذات **ولكم فيها ما تدعون** أي تتمنون **نزلا** أي رزقا والنزل رزق النزيل وهو الضيف **من غفور**
رحيم قال أهل المعاني هذه الأشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم إذا أعطى هذا النز
ل فما ظنك بما بعده من الألطاف والكرامة قوله **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله** أي إلى
طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو
المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه إليه ودعا الناس إلى ما أجاب إليه **وعمل صالحا** أي في إجابته **و**
قال إنني من المسلمين قيل إن هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل إن كل من دعا إلى الله تعالى بطريق
من طرق الحق فهو داخل في الآية وللدعوة إلى الله تعالى مراتب الأولى دعوة الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام إلى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج وبالبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق ولم تحصل إلا

لغير الأنبياء. المرتبة الثانية دعوة العلماء إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط، والعلماء أقسام علماء بالله تعالى وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله عز جلاله. المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين إلى الله تعالى بالسيف مع غيرهم من الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته. المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين إلى الصلاة فهم أيضا دعاة إلى الله تعالى وإلى طاعته. وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل عمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والإقامة. وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة قالها ثلاثا لمن شاء. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن. وقال إنني من المسلمين قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم إليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الإسلام مع التلفظ به. قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والإساءة. ادفع بالتي هي أحسن قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الإساءة. فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي الصديق القريب قيل نزلت في أبي سفيان وذلك لأنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم فصار وليا بالإسلام حميما بالقرابة. وما يلقاها أي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا أي على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام. وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم أي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة. وإما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه أي يبعثه على ما لا ينبغي ومعنى الآية وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله أي من شره إنه هو السميع أي لاستعاذتك العليم أي بأحوالك. قوله عز وجل ومن آياته أي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر أي لأنهما عبدان مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لأن السجود عبارة عن نهاية التعظيم. واسجدوا لله الذي خلقهن أي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر. إن كنتم إياه تعبدون يعني أن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله فنهاهم الله عز وجل عن السجود لهذه الوسائط وأمرهم بالسجود لله الذي خلقهن. فإن استكبروا أي عن السجود لله فالذين عند ربك يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون أي لا يملون ولا يفترون.

فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لأصحاب الشافعي أحدهما أنه عند قوله إن كنتم إياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكي الرافعي عن أبي حنيفة وأحمد لأن ذكر السجدة قبله والثاني وهو الأصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرافعي عنه أنه عند قوله وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه المحاملي عن أبي حنيفة لأن عنده يتم الكلام. قوله عز وجل ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير. قوله تعالى إن الذين يلحدون أي يميلون عن الحق في آياتنا أي في أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون

آياتنا

آياتنا ويعاندون ويشاقون لا يخفون علينا فنجازيهم على ذلك قيل نزلت في أبي جهل. أفمن يلقى في النار هو أبو جهل خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة المعنى الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر. اعملوا ما شئتم أمر تهديد ووعيد إنه بما تعملون بصير أي أنه عالم بأعمالكم فيجازيكم بها. إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يعني القرآن وفي جواب إن وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره إن الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ في وصف الذكر فقال تعالى وإنه لكتاب عزيز قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وقيل الذي عجز الخلق عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل إليه سبيلا وهو قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل إنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه وقيل لا يأتيه الباطل فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر. تنزيل من حكيم أي في جميع أفعاله حميد أي إلى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم. ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم إياه فقال تعالى ما يقال لك أي من الأذى والتكذيب إلا ما قد قيل للرسل من قبلك يعني أنه قد قيل للأنبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت. إن ربك لذو مغفرة أي لمن تاب وآمن بك وذو عقاب أليم أي لمن أصر على التكذيب. قوله عز وجل ولو جعلناه أي هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس قرآنا أعجميا أي بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت آياته أي هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها. أأعجمي وعربي يعني كتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام إنكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل معنى الآية إنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمي إلى القوم العرب ولصح قولهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر إنا لا نفقه ولا نفهم معناه فلما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب لغتهم وهم يفهمونه فكيف يصح منهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر. وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال إنك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني فأنزل الله هذه الآية. قل يا محمد هو يعني القرآن للذين آمنوا هدى أي من الضلالة وشفاء أي لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الأوجاع والأسقام. والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أي صمم عن استماع القرآن وعمى عنه فلا ينتفعون به. أولئك ينادون من مكان بعيد كما أن من يدعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من مكان بعيد فلا يسمعون. ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه أي فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك. ولولا كلمة سبقت من ربك أي في تأخير العذاب عن المكذبين إلى أجل مسمى لقضي بينهم أي لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم وإنهم لفي شك منه مريب أي من كتابك وصدقك. من عمل صالحا فلنفسه أي يعود نفع إيمانه وعمله لنفسه ومن أساء فعليها أي ضرر إساءته وكفره يعود على نفسه وما ربك بظلام للعبيد يعني فيعذب غير المسيء. قوله عز وجل إليه يرد علم الساعة يعني إذا سئل

عنها سائل قيل لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك وما تخرج من ثمرات
من اكمامها اي من اوعيتها وقال ابن عباس الكفرى قبل ان تنشق وما تحمل من انثى ولا تضع الا
بعلمه اي يعلم ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الحمل ذكرا او انثى ومعنى الاية كما يرد الى الله
علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من شيء كالثمار والنتاج وغيره فان قلت فقد يقول الرجل
الصالح من اصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف
اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذي يرد اليه واما الكهان
والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قد لا
يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشاركه فيه احد ويوم يناديهم يعني ينادي
الله تعالى المشركين فيقول اين شركائي اي الذين كنتم تزعمون انها الهة قالوا يعني المشركين
اذناك اي اعلمناك ما منا من شهيد اي يشهد ان لك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبرءوا من الاصنام
وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي يعبدون في الدنيا وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص اي
مهرب لا يسأم الانسان اي لا يمل الكافر من دعاء الخير يعني لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة
وان مسه الشر اي الشدة والفقر فيئوس اي من روح الله تعالى قنوط اي من رحمته ولئن اذقناه رحمة منا
اي اتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد ضراء مسته اي من بعد شدة وبلاء اصابته ليقولن هذا لي اي استحقه
بعلمي وعملي وما اظن الساعة قائمة اي ولست على يقين من البعث ولئن رجعت الى ربي يقول هذا
الكافر ان كان الامر على ذلك ورجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة والمعنى كما اعطاني في الدنيا
سيعطيني في الاخرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوئ اعمالهم
ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه اي تكبر بنفسه وتجبر وتعظم
واذا مسه الشر اي الشدة والفقر فذو دعاء عريض اي كثير قل يا محمد لكفار مكة ارأيتم ان كان
من عند الله يعني هذا القرآن ثم كفرتم به اي جحدتموه من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف للحق
بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم سنريهم آياتنا في الآفاق قال ابن عباس منازل الامم
الماضية وفي انفسهم اي البلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو ما يفتح من القرى
على المسلمين على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفي انفسهم هو فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق
يعني دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول
من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني اقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار
والنبات وفي انفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعني لا يقدر
على هؤلاء الا الله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد يعني اولم يكفهم ان القرآن من
عند الله وقيل اولم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي اوضحها الله لهم على التوحيد وانه تعالى
هو الذي لا يغيب عنه شيء الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك عظيم من البعث والقيامة الا انه
بكل شيء محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها واحاط بكل شيء علما واحصى كل
شيء عددا والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة حم عسق

وتسمى سورة الشورى وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس الا اربع آيات نزلت
بالمدينة اولها قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى الى قوله بشيرهم الى ذلك الذي يبشر الله عباده الى قوله

المرور وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون آية وثمانمائة و
ست وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل حم عسق سئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع المص والمر
والمر وكهيعص فقال لانها بين سور اوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولان
حم عسق عدت آيتين وعدت اخواتها التي لم تقطع آية واحدة وقيل لان اهل التأويل لم يختلفوا في
كهيعص واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا
فقال معناها اي حم الامر اي قضي وبقي عسق على اصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه
س سناؤه ق قدرته اقسم الله عز وجل بها وقيل العين من العزيز والسين من القدوس والقاف من القاهر وقيل
ح حرب قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم
س سنين كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه
والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود
وقربه من الملك المعبود قال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي الله اليه حم
عسق فلذلك قال تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل معناه كذلك يوحي اليك اخبار الغيب كما اوحي
الى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم في ملكه الحكيم في صنعه والمعنى كما انه قد اوحى حم
عسق الى من قبلك الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى له ما في السماوات وما في الارض وهو العلي
العظيم تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين وقيل يتفطر كل واحدة من فوق التي
تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا والملائكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه
عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ويستغفرون لمن في الارض اي من المؤمنين دون
الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما الكفار
فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقوبة واما في حق
المؤمنين فالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن
والكافر الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سألوها ويضم اليها وكرامة
الرحمة التامة الشاملة قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء واندادا الله حفيظ
عليهم اي رقيب على احوالهم واعمالهم وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما انت
نذير وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى يعني مكة والمراد اهلها ومن حولها يعني قرى الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع
الله فيه الاولين والآخرين واهل السماوات واهل الارض لا ريب فيه اي لا شك في الجمع انه كائن ثم بعد ذلك
الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال
اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب
العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم
ابدا ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم
ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا [illegible]

اهل النار واسماء ابائهم وعشائرهم فلا يستغفر منها نطفة الا مطلب وقيل لا يستنقص منها نطفة في الا
رحام انهم في الطينة يصيرون وليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم احد من الله تعالى عليهم الى يوم
القيامة وقال عبد الله بن عمرو فيهم ... هذا فلان اعطوا وتسعة وفارتعا جلا صاحب الجنة
يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل صاحب النار اي عمل النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل فريق في
الجنة وفريق في السعير عن ابن الله اخرجه احمد بن حنبل في مسنده
ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة **قال ابن عباس** على دين واحد وقيل على ملة الاسلام ولكن يدخل
من يشاء في رحمته اي في دينه الاسلام والظالمون اي الكافرون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا
نصير اي يمنعهم من العذاب ام اتخذوا يعني الكفار من دونه اولياء فالله هو الولي **قال ابن عبا**
س هو وليك يا محمد وولي من اتبعك وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني من يكون بهذه
الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي وما اختلفتم فيه من شيء
اي من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل معنا
ه وقيل ما تخاصمتم فيه فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤثروا حكومة غير
ه على حكومته ذلكم الله اي الذي يحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت اي في جميع اموري واليه
انيب اي واليه ارجع في كل المهمات فاطر السماوات والارض جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا
اي حلائل وقيل انما قال من انفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع ادم ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه اي
يخلقكم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل من
كان يذرأ خلقهم وانائهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين من الناس والا
نعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل في بمعنى الباء اي يذرؤكم فيه
بالتزويج ليس كمثله شيء الكاف صلة اي ليس مثله شيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء
قال ابن عباس ليس له نظير ولا **فان قيل**
هذه الاية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السماوات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق
قلت المثل هو الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شيء
ليس له نظير كما قال ابن عباس ويكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل
على معناه وله الوصف الاعلى اي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد
التقديس معنى لا يلتبس ويحصل الفرق بينهما وهو السميع اي لسائر المسموعات البصير اي لسا
ئر المبصرات له مقاليد السماوات والارض اي مفاتيح الرزق في السماوات يعني المطر وفي الارض النبات
علمه قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح
الرزق بيده انه بكل شيء عليم اي من البسط والتضييق شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا اي بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله ما
وصى به نوحا يعني انه اول الانبياء اصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا والذي
اوحينا اليك اي من القران وشرائع الاسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى انما خص هؤ
لاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة واولوا العزم
ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا

فيه

البر هو توحيد الله والايمان بكتبه ورسله واليوم الاخر وطاعة الله في اوامره ونواهيه وسائر ما يكون
به الرجل مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل هو تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوا
ت فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقامة الصلاة وايتاء الزكوة والاقرار لله بالوحدانية
والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه اي من التوحيد ورفض الاوثان الله يجتبي اليه من يشاء اي يصطفي لدينه من يشاء من عباده ويهدي
اليه من ينيب اي يقبل الى طاعته وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني اهل الكتاب الا
من بعد ما جاءهم العلم اي بان الفرقة ضلالة بغيا بينهم ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على
محمد صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى يعني الى يوم القيامة لقضي بينهم
اي بين من امن ومن كفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في الدنيا وان الذين اورثوا الكتاب يعني اليهود
والنصارى من بعدهم اي من بعد انبيائهم وقيل من بعد الامم الخالية لفي شك منه اي من محمد صلى الله عليه
وسلم فلا يؤمنون به مريب يعني مرتابين مشككين فيه فلذلك اي فالى ذلك فادع اي الى الاتفاق على الملة الحنيفية
والتوحيد وقيل لاجل ما حدث من الاختلاف والكثرة في الدين فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية
واستقم كما امرت اي اثبت على الدين الذي امرت به ولا تتبع اهواءهم اي المختلفة الباطلة وقل امنت بما
انزل الله من كتاب اي امنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك ان المتفرقين امنوا ببعض الكتب وكفروا
ببعض وامرت لاعدل بينكم **قال ابن عباس** امرت ان لا احيف عليكم بما اكثر مما افترض الله عليكم من
الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم الي
الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان اله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه وان
اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة وهذه الاية منسوخة باية
القتال اذ لم يؤمر بالقتال وامر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لم يجب خصومة الله يجمع بيننا اي في
المعاد لفصل القضاء واليه المصير والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دين الله من بعد ما استجيب له
اي من بعد ما استجاب الناس لدين الله واسلموا ودخلوا فيه لظهور معجزات نبيه صلى الله عليه وسلم
حجتهم داحضة عند ربهم اي خصومتهم باطلة وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اي
في الاخرة الله الذي انزل الكتاب بالحق اي الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والاحكام والميزان اي العدل
سمي ميزانا لان الميزان الة الانصاف والتسوية **قال ابن عباس** امر الله بالوفاء ونهى عن البخس
وما يدريك لعل الساعة قريب اي وقت اتيانها قريب وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده
قوم من المشركين فقالوا تكذيبا متى تكون الساعة فانزل الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
اي يظنون انها غير اتية والذين امنوا مشفقون منها اي خائفون منها ويعلمون انها الحق
اي انها كائنة لا شك فيها الا ان الذين يمارون في الساعة وقيل يشكون فيها لفي ضلال بعيد
الله لطيف بعباده **قال ابن عباس** اي حفي بهم وقيل بار بهم وقيل رفيق بهم وقيل لطيف بالبار والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يرزق من يشاء
يعني ان الاحسان والبر والانعام في حق العباد هو اعطاء ما لا بد منه وكل من رزقه الله تعالى من

سوى كافر ولا بر ولا فاجر فكلهم ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل اللطف في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقك
من الطيبات والثاني أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة وهو القوي أي القادر على ما يشاء العزيز أي الذي لا يغالب
ولا يمتنع عليه شيء من كان يريد حرث الآخرة أي كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه أي
بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما يشاء الله من الزيادة وقيل إنا نزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبل الخير
له والطاعات عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة نؤته منها أي
ما قدر وقسم له منها وما له في الآخرة من نصيب يعني لأنه لم يعمل للآخرة عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل
الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب ذكره في جامع الأصول ولم يعزه إلى أحد الكتب الستة وأخرجه البغوي
بإسناده أم لهم شركاء أي بل لهم يعني كفار مكة شركاء يعني الأصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم
من الدين قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الإسلام ما لم يأذن به الله يعني أن تلك الشرائع بأسرها
على خلاف دين الله الذي أمر به وذلك أنهم زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا
يعلمون غيرها ولولا كلمة الفصل يعني أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة حيث
لقضي بينهم أي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا وإن الظالمين أي الآخرة يعني المشركين لهم عذاب
أليم أي في الآخرة ترى الظالمين يعني يوم القيامة مشفقين أي خائفين مما كسبوا من الشرك والأعمال
الخبيثة وهو واقع بهم أي جزاء كسبهم واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
روضة الروضة أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن في
الجنة منازل غير الروضات هي لمن دون هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أهل الجنة لهم ما يشاءون عند
ربهم أي من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير أي الذي ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني الذي ذكر من نعيم الجنة الذي
يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قوله عز وجل قل لا أسألكم عليه أي على تبليغ الرسالة
أجرا أي جزاء إلا المودة في القربى خ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله إلا المودة في القربى
فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجلت إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن
من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا في قوله
إلا المودة في القربى يعني أنكم تحفظون قرابتي وتودونني وتصلون رحمي وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة
ومقاتل والسدي والضحاك خ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن أبا بكر قال ارقبوا محمدا في أهل بيته واختلفوا
في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وقيل أهل بيته من حرمت عليهم الصدقة من
أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام م عن زيد بن أرقم
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى
والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله
في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال
نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فإن
قلت طلب الأجر على تبليغ الرسالة لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الأنبياء وما أسألكم
عليه من أجر إن أجري إلا على الله رب العالمين قلت لا نزاع في أنه لا يجوز طلب الأجر على تبليغ
الرسالة بقي الجواب عن قوله إلا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الأول معناه لا أطلب منكم
إلا هذا وهذا في الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن

بهن

فلول من قراع الكتائب؛ معناه إذا كان عيبهم هذا فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم والثاني أن المودة
بين المسلمين أمر واجب وإذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
أولى فقوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى والمودة في القربى ليست أجرا في الحقيقة
لأن قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فيثبت أنه لا أجر البتة والوجه الثاني أن
هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسألكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال إلا المودة في القربى
أي لكن أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم في الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل إن
هذه الآية منسوخة وذلك لأنها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر إلى
المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحب الله تعالى أن يلحقه بإخوانه من النبيين فأنزل الله تعالى قل ما سألتكم عليه
من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله فصارت هذه الآية منسوخة بقوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وإ
ليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضي لأن مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الأذى
عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير إلى نسخ هذه الآية وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه في معنى الآية قول آخر قال إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى إلى الله تعالى والت
ودد إليه بالطاعة والعمل الصالح قوله عز وجل ومن يقترف حسنة أي يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا أي
بالتضعيف إن الله غفور للذنوب شكور أي للقليل من الأعمال حتى يضاعفها أم يقولون أي بل يقولون يعني كفار مكة افترى
على الله كذبا فيه توبيخ لهم معناه أيقع في قلوبكم ويجري على ألسنتكم أن ينسبوا مثله إلى الكذب وأنه افترى على الله
كذبا وهو أقبح أنواع الكذب فإن يشأ الله يختم على قلبك أي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم
وقولهم إنه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك والمعنى أنه لو افترى على الله كذبا لفعل
به ما أخبر في هذه الآية ويمح الله الباطل أخبر الله تعالى أن ما يقولونه باطل يمحوه الله ويحق الحق
بكلماته أي بما أنزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام إنه عليم بذات الصدور أي بما في
الصدور قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا
يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل فأخبره أنهم اتهموه وأنزل هذه الآية فقال القوم يا رسول الله
فإنا نشهد أنك صادق فأنزل الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن
عباس يريد أولياءه وأهل طاعته

فصل

قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها
ثلاثة شروط أحدها أن يقلع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها
أبدا فإذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت
المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها
فهذه شروط التوبة وقيل التوبة ترك المعصية نية وفعلا والإقبال على الطاعات نية وفعلا وقال
سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال الممدوحة م عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه
في اليوم أكثر من سبعين مرة م عن الأغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة ق عن عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده اخرجه البخاري ومسلم والبغوي وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قوله تعالى ويعفو عن السيئات اي يمحوها اذا تابوا ويعلم ما يفعلون من خير او شر فيجازيهم عليه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني يجيب المؤمنين الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا ويزيدهم من فضله اي سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده اي وسع الله الرزق لعباده لبغوا اي لطغوا وعتوا في الارض قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى خلقته وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر ورجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع الفقر اقل ومع الغنى اكثر لان النفس مائلة الى الشر ... ولكن ينزل بقدر ما يشاء يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله انه بعباده خبير بصير والمعنى ان الله تعالى عالم باحوال عباده وبما يصلحهم وعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل ... قال يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل اداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت

لم يعملوا بها

سمعه وبصره ويدا ومؤيدا ان دعاني اجبته وان سألني اعطيته وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فاكفه عنه لئلا يدخله العجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه البغوي باسناده قوله عز وجل وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي يئسوا منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم وينشر رحمته يعني بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وهو الولي اي لاهل طاعته الحميد اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته ومن آياته خلق السماوات والارض وما بث اي خلق وفرق فيهما اي في السماوات والارض من دابة فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق في السماوات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يعني يوم القيامة قوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يعني من المصائب والاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصي ويعفو عن كثير فلا يعاقب بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سخيلة قال قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا اخبركم بافضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسافسرها لكم يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها او درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وما انتم بمعجزين في الارض هربا يعني لا تعجزونني حيثما كنتم وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل ومن آياته الجوار يعني السفن وهي السيارة في البحر كالاعلام اي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم ان يشا يسكن الريح اي التي تجري بها السفن فيظللن يعني السفن الجواري رواكد اي ثوابت على ظهره اي على ظهر البحر لا تجري ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذه صفة المؤمن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء او يوبقهن اي يهلكهن ويغرقهن بما كسبوا اي بما كسبت ركبانها من الذنوب ويعف عن كثير اي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله ما لهم مهرب من عذابه فما اوتيتم من شيء اي من زينة الدنيا فمتاع الحياة الدنيا اي ليس هو من زاد المعاد وما عند الله اي من الثواب خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا

ابي

جزاء اعمالكم الى الله كان ما عند الله من الثواب خير للمومن **والذين يجتنبون كبائر الاثم** يعني كل ذنب يعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك **والفواحش** يعني ما عظم قبحه من الافعال والاقوال **واذا ما غضبوا هم يغفرون** يعني يكظمون الغيظ ويحلمون **والذين استجابوا لربهم** اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته **واقاموا الصلاة** يعني المعروفة **وامرهم شورى بينهم** يعني يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأي ما لم يجتمعوا عليه قيل انما يتشاورون في الاهم والارفع امرهم **ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي** يعني الظلم والعدوان **هم ينتصرون** يعني ينتقمون ممن ظلمهم من غير تعد **قال ابن زيد** جعل الله المومنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وقسم ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الاية **وقال ابراهيم** النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق **قال عطاء** هم المومنون الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم **ثم** بين الله تعالى ان شرعية الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال **وجزاء سيئة سيئة مثلها** سمى الجزاء سيئة وان لم تكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل ان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله فقل اخزاك الله واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص مثل ما جنى عليه وقيل ان الله لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى **فمن عفا** اي عمن ظلمه **واصلح** اي بالعفو بينه وبين الظالم **فاجره على الله** **قال الحسن** اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الاية **انه لا يحب الظالمين** **قال ابن عباس** الذين يبدؤون بالظلم **ولمن انتصر بعد ظلمه** اي بعد ظلم الظالم اياه **فاولئك ما عليهم من سبيل** اي بعقوبة ومواخذة **انما السبيل على الذين يظلمون الناس** اي يبدؤون بالظلم **ويبغون في الارض بغير الحق** اي يعملون فيها بالمعاصي **اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر** اي فلم ينتصر **وغفر** اي تجاوز عن ظالمه **ان ذلك** اي الصبر والتجاوز **لمن عزم الامور** اي ترك الانتصار لمن عزم الامور الجميع التي امر الله بها وقيل ان الصابر يوتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب اتم عزم **ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده** يعني ما له من احد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه من عذابه **وترى الظالمين لما راوا العذاب** يعني يوم القيامة **يقولون هل الى مرد من سبيل** يعني انهم يسألون الرجعة الى الدنيا **وتراهم يعرضون عليها** اي على النار **خاشعين من الذل** اي خاضعين متواضعين **ينظرون من طرف خفي** يعني يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في انفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي **وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم** بان صاروا الى النار **واهليهم يوم القيامة** يعني وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة **الا ان الظالمين في عذاب مقيم** وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل اي طريق الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد انسدت عليهم طرق الخير **استجيبوا لربكم** اي اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله** اي لا يقدر احد على رده وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت **ما لكم من ملجا يومئذ** اي ما لكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت **وما لكم من نكير** اي من منكر لما لكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون ان تنكروا من اعمالكم شيئا **فان اعرضوا** اي عن الاجابة **فما ارسلناك عليهم حفيظا** اي تحفظ اعمالهم **ان عليك الا البلاغ** اي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم

وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة **قال ابن عباس** يعني الغنى والصحة **فرح بها وان تصبهم سيئة** اي قحط **بما قدمت ايديهم** اي من الاعمال الخبيثة **فان الانسان كفور** اي لما تقدم من نعم الله تعالى عليه **قوله عز وجل لله ملك السماوات والارض** يعني له التصرف فيهما بما يريد **يخلق ما يشاء** اي لا يقدر احد ان يعترض عليه في ملكه وارادته **يهب لمن يشاء اناثا** اي فلا يولد له ذكر **ويهب لمن يشاء الذكور** اي فلا يولد له انثى **او يزوجهم ذكرانا واناثا** اي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث **ويجعل من يشاء عقيما** اي فلا يولد له وقيل هذا في الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه السلام لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما ولد وهذا على وجه التمثيل والا فالاية عامة في جميع الناس **انه عليم** بما يخلق **قدير** اي على ما يريد ان يخلق **قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا** قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يوحي اليه في المنام او في الهام كما رأى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت ام موسى ان تقذفه في اليم **او من وراء حجاب** اي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى **او يرسل رسولا** يعني من الملائكة اما جبريل او غيره **فيوحي باذنه ما يشاء** يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الاية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا **انه علي حكيم** اي في جميع افعاله **قوله عز وجل وكذلك اوحينا اليك** اي وكما اوحينا الى سائر رسلنا **روحا من امرنا** **قال ابن عباس** نبوة وقيل هو القران لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل **ما كنت تدري** اي قبل الوحي **ما الكتاب** يعني القران **ولا الايمان** اختلف العلماء في هذه الاية مع اتفاقهم على ان الانبياء قبل النبوة كانوا مومنين فقيل معناه ما كنت تدري ما الكتاب قبل الوحي ولا شرائع الايمان ومعالمه **قال محمد بن اسحاق بن خزيمة** الايمان في هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه السلام ولم يتبين له شرائع دينه الا بعد الوحي اليه **ولكن جعلناه نورا** **قال ابن عباس** يعني الايمان وقيل القران لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى **نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي** اي لتدعو **الى صراط مستقيم** يعني دين الاسلام **صراط الله** يعني الذي شرعه لعباده **الذي له ما في السماوات وما في الارض الا الى الله تصير الامور** يعني امور الخلائق في الاخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله سبحانه وتعالى اعلم باسرار كتابه

تم تفسير سورة الشورى ويليه تفسير سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون اية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **حم والكتاب المبين** اقسم بالكتاب وهو القران الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم **انا جعلناه** اي صيرنا قراءة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه **قرانا عربيا لعلكم تعقلون** يعني معانيه

عز وجل

واحكامه وانه يعني القرآن في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم وامره
ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ وانه في ام الكتاب لدينا في القرآن مثبت عند الله تعالى في اللوح ا
لمحفوظ لعلي حكيم اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلي حكيم
اي رفيع شريف وقيل على جميع الكتب حكيم اي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان افنضرب عنكم الذكر
صفحا معناه افنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القرآن فلا نامركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم في
كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى ان اي لان كنتم قوما مسرفين والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة
والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل
كرره عليهم عشرين سنة وما شاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم تذكيرنا اياكم صافحين اي معرضين عنكم و
قيل معناه افنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل معناه [illegible] فلا نعاقبكم على كفركم
وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون يعني كاستهزاء قومك بك
وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فاهلكنا اشد منهم بطشا اي اقوى من قومك قوة ومضى مثل الاولين
اي صفتهم ومعنى الكلام ان [illegible] في الكفر والتكذيب مصيرهم كمصير من كان قبلهم في العذاب وان ينزل
بهم ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله ولئن سالتهم اي يا محمد قومك من خلق السماوات والارض
ليقولن خلقهن العزيز العليم يعني انهم اقروا بان الله تعالى خالقها وقد اقروا بقدرته وعلمه ومع اقرارهم بذلك
عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدا تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي
جعل لكم الارض مهدا معناه واقفة ساكنة يمكنكم الانتفاع بها [illegible] موضع راحة الجسم بكل
لكم جعل الارض مثل المهد [illegible] من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون
اي لكي تهتدوا في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بقدر حاجتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اغرقهم
فانشرنا به اي احيينا به بلدة ميتا اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون اي من قبوركم احياء والذي
خلق الازواج كلها اي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه من
الاضداد والانداد والزوجية وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون يعني في البحر والبر لتستووا على
ظهوره اي على ظهور الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى ربنا لمنقلبون اي
لمنصرفون في المعاد م عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى
على ظهر بعيره خارجا الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا
له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسالك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون
سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من
وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن
آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة
المنظر الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يرجع من سفره حزينا او يجد ما يحزنه في اهله وماله
عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد اتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله
في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال

سبحانك اني ظلمت

ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين مما ضحكت قال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقلت يا رسول الله من اي شيء ضحكت قال ان ربك يعجب من
عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي يعلم انه لا يغفر الذنوب غيري اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا يعني ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من
الوالد ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا ان الانسان لكفور مبين اي لجحود لنعم الله تعالى عليه ام اتخذ مما
يخلق بنات هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم بالبنين
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد
والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه
غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل وجهه اي صار وجهه مسودا وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل
ان بعض العرب ولدت امرأته انثى فهجر بيت امرأته التي ولدتها فيه لانها انثى فقالت المرأة ما لابي حمزة لا ياتينا يظل في
البيت الذي يلينا غضبان الا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا وانما ناخذ ما اعطينا قوله
عز وجل اومن ينشأ في الحلية يعني الزينة والنعمة والمعنى اجعل للرحمن من الولد
من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية ولولا نقصانها لما احتاجت الى التزيين تنقصها بالحلية ثم بين
نقصان حالها بوجه اخر وهو قوله وهو في الخصام اي المخاصمة غير مبين للحجة وذلك لضعف حالها
وقلة عقلها قال قتادة قل ما تتكلم امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة
عليها وجعلوا اي وصفوا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد وقرئ عند الرحمن اناثا اشهدوا
خلقهم احضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي
على الملائكة انهم بنات الله ويسالون اي عنها قيل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وما يدريكم انهم اناث فقالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب
شهادتهم ويسالون عنها في الآخرة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما
لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم اي
فيما يقولون ان هم الا يخرصون يعني ما هم الا كاذبون في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل يكذبون في
قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله
فهم به مستمسكون اي ياخذون بما فيه بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة اي على دين وملة وانا على آثارهم
مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال
هذه المقالة بقوله وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياؤها ورؤساؤها

حزب

انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون اي بهم قال اولو جئتكم باهدى اي بدين هو اصوب
مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين قوله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء اي بريء مما تعبدون الا الذي
فطرني معناه انا ابرا مما تعبدون الا من الله الذي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني الى دينه وجعلها
اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه اي في ذريته فلا
يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم
وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم بل متعت هؤلاء

يعني كفار مكة وآباءهم في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق
يعني القرآن وقيل الإسلام ورسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم مبين أي يبين لهم الأحكام وقيل مبين الرسالة
أو بحجتها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا
وهو قوله تعالى ولما جاءهم الحق يعني القرآن قالوا هذا سحر وإنا به كافرون قوله تعالى عز وجل وقالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم معناه أنهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف
لا يليق إلا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من إحدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا
الرجل العظيم فقيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من
مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب
بن عمرو بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم أهم يقسمون رحمة ربك معناه
أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وفيه الإنكار الدال على تجهيلهم والتعجيب من اعتراضهم
وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا
وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم إن أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا
فإذا عجزوا عن الاعتراض على حكمنا في أحوال الدنيا مع قلتها ودناءتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا
في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا
بالرسالة من شئنا قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
يعني ولو أنا سوينا بينهم في كل الأحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضي
ذلك إلى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم
الأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سببا في المعاش هذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم و
قيل يملك بعضهم بماله بعضا بالعبودية والملك ورحمة ربك يعني الجنة خير للمؤمنين مما يجمعون أي مما يجمع الكفار من
الأموال لأن الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآباد قوله عز وجل
ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون إذا رأوا الكفار
في سعة من الخير والرزق لأعطيت الكفار أكثر الأسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج يعني مصاعد ودرجات عليها يظهرون أي يعلون ويرتقون وزخرفا أي وجعلنا
مع ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يعني
أن الإنسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لأن الدنيا سريعة الزوال والذهاب والآخرة عند ربك للمتقين
يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها
شربة ماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد
أخي بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها
يا رسول الله قال فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن عن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله
عبدا

عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى و
من يعش أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل يعش أي يعمى عن القرآن نقيض له
شيطانا أي نسبب له شيطانا ونضمه إليه ونسلطه عليه فهو له قرين يعني لا يفارقه يزين له العمى
ويخيل له أنه على الهدى وإنهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم عن الهدى ويحسبون
أنهم مهتدون يعني ويحسب كفار بني آدم أنهم على الهدى حتى إذا جاءنا يعني الكافر وحده وقرئ جاءانا
على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة قال الكافر لقرينه الشيطان يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين يعني بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس
والقمر القمران ولأبي بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الأول أصح
فبئس القرين يعني الشيطان قال أبو سعيد الخدري إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين
فلا يفارقه حتى يصير إلى النار ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم يعني أشركتم أنكم في العذاب مشتركون أي
لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ
الأوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب
كما كنتم مشتركين في الكفر أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين
الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون قوله عز وجل فإما نذهبن بك يعني بأن نميتك
قبل أن نعذبهم فإنا منهم منتقمون أي بالقتل بعدك أو نرينك في حياتك الذي وعدناهم أي
من العذاب فإنا عليهم مقتدرون أي قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأراد به مشركي مكة وقد
انتقم منهم يوم بدر وهذا قول أكثر المفسرين والتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وعده الانتقام له منهم إما في حال حياته
أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون في أمته وقد كان بعد النبي صلى الله
عليه وسلم نقمة شديدة في أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره في أمته
إلا الذي تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أري ما يصيب أمته بعده
فما رؤي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم
أي على دين مستقيم لا يميل عنه إلا ضال وإنه يعني القرآن لذكر لك أي لشرف لك ولقومك وسوف تسألون
يعني عن حقه وأداء شكره وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل لمن هذا الأمر
بعدك لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك إذا سئل قال لقريش وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان
وعن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد
إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وقيل لقومك يعني العرب والقرآن لهم شرف
إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب ثم يكون الأكثر لقريش ولبني هاشم
وقيل ذكر لك أي وذكر الشرف لك بما أعطاك من النبوة والحكمة ولقومك يعني المؤمنين بما
هداهم الله تعالى به وسوف تسألون يعني القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه وقوله تعالى واسأل
من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اختلف في هؤلاء المسؤولين
فروي عن ابن عباس في رواية عنه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم

ووليه من المرسلين جاءه جبريل فقال وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل
يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت وهذا قول
الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع الله له الرسل ليلة أسري به وأمره أن يسألهم فلم
يشك ولم يسألهم فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتهم
الرسل إلا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي
والحسن والمعنى سل ومعنى الأمر بالسؤال التقرير [illegible] فإنه لم يأت رسول الله ولا كتاب
بعبادة غير الله عز وجل قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال
إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي استهزاء وما نريهم
من آية إلا هي أكبر من أختها أي من قرينتها التي قبلها وأخذناهم بالعذاب أي بالسنين والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكانت هذه الآيات دلالات لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة
أكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون أي عن كفرهم وقالوا يعني لموسى لما عاينوا العذاب يا أيه الساحر
أي العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا ذلك تعظيما وتوقيرا له لأن السحر كان عندهم علما عظيما
وصفة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك أي بما أخبرتنا
من عهده إليك أنا إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله أن يكشف عنا العذاب إننا لمهتدون أي إننا مؤمنون
فدعا موسى ربه وكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم
ينكثون أي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر
وهذه الأنهار تجري من تحتي يعني أنهار النيل تجري من تحت قصري وقيل معناه تجري بين يدي في جناني
وبساتيني وقيل تجري بأمري أفلا تبصرون أي عظمتي وشدة ملكي أم أنا أي بل أنا خير وليس بحرف عطف على قول
أكثر المفسرين وقيل فيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير من هذا
الذي هو مهين أي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين يفصح الكلام لرتة التي كانت في لسانه وإنما عابه بذلك لما
كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولا يريد به أنه لا قدرة له
على الكلام فلولا ألقي عليه أي إن كان صادقا أسورة من ذهب قيل إنهم كانوا إذا سودوا رجلا
سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان
سيدا تجب طاعته أو جاء معه الملائكة مقترنين أي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه
ويعينونه على أمره قال الله تعالى فاستخف قومه يعني فرعون قومه القبط أي وجدهم
جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فأطاعوه أي على تكذيب موسى إنهم كانوا قوما فاسقين يعني حين
أطاعوا فرعون فيما استخفهم به فلما آسفونا أي أغضبونا وهو في حق الله إرادة العقاب وهو قوله
تعالى انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين يعني جعلنا المتقدمين من الهالكين
ليتعظ بهم من بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا قال ابن عباس
نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى ابن مريم عليه السلام
لما أنزل الله تعالى قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة
الأنبياء ومعنى الآية ولما ضرب الله عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل النبي صلى الله عليه
وسلم بعبادة النصارى إياه

النصارى إياه إذا قومك يعني قريشا منه أي من المثل يصدون يعني يضجون ويصيحون ويفرحون وقيل يقولون
ما يريد محمد منا إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى وقالوا أآلهتنا خير أم هو
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى الآية آلهتنا خير أم هو يعني عيسى قالوا
إن كان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال
الله تعالى ما ضربوه لك إلا جدلا يعني ما ضربوا لك هذا المثل إلا ليجادلوك ويخاصموك بالباطل وقد علموا أن المراد بقوله وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم الأصنام بل هم قوم خصمون أي بالباطل عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ثم ذكر عيسى فقال
تعالى إن هو أي ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه أي بالنبوة وجعلناه مثلا أي آية وعبرة لبني إسرائيل
يعرفون به قدرة الله تعالى على ما يشاء حيث خلقه من غير أب ولو نشاء لجعلنا منكم أي بدلا منكم ملائكة
معناه لو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الأرض يخلفون أي يكونون خلفا
منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا وإنه يعني عيسى لعلم للساعة
يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب و
يقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية أبي داود أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه نبي يعني عيسى وإنه نازل فيكم على الأرض فيدق الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال ثم يمكث
في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم وفي رواية وأمكم منكم قال ابن أبي ذئب
فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى وبيده
حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى
ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس
ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل في معنى الآية وإنه أي وإن القرآن لعلم للساعة أي يعلمكم قيامها ويخبركم
بأحوالها وأهوالها فلا تمترن بها أي لا تشكون فيها قال ابن عباس لا تكذبوا بها
واتبعون أي على التوحيد هذا أي الذي أنا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم أي لا يصرفنكم الشيطان
عن دين الله الذي أمركم به إنه يعني الشيطان لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة
أي بالنبوة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه أي من أحكام التوراة وقيل اختلف الفرق الذين تحزبوا في أمر عيسى
وقيل الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم في غير الإنجيل ما
احتاجوا إليه فاتقوا الله وأطيعون أي فيما أمركم به إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم أي اختلفت الفرق المتحزبة في عيسى فويل للذين ظلموا من
عذاب يوم أليم هل ينظرون أي ينتظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة أي فجأة والمعنى أنها تأتيهم
لا محالة وهم لا يشعرون بها الأخلاء أي على الكفر والمعصية في الدنيا يومئذ يعني يوم القيامة بعضهم
لبعض عدو أي أن الخلة إذا كانت على غير طاعة صارت عداوة يوم القيامة إلا المتقين أي إلا الموحدين المتحابين في الله

يسر الله عز وجل الجنة تحبيرا على طاعته **وروي عن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه في هذه الآية قال خليلان
مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة ر
سولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي كما هديتني وأكرمه
كما أكرمتني فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول نعم
الأخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة
رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس
الصاحب

واهديه

يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون قيل إن الناس حين يبعثون ليس أحد
منهم إلا فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها
الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم **ادخلوا الجنة أنتم**
وأزواجكم تحبرون أي تسرون وتنعمون **يطاف عليهم بصحاف من ذهب** جمع صحفة وهي القصعة
الواسعة **وأكواب** جمع كوب وهو إناء مستدير بلا عروة **وفيها** أي في الجنة **ما تشتهيه الأنفس**
وتلذ الأعين **عن عبد الرحمن بن سابط** قال قال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفي الجنة خيل فإني
أحب الخيل فقال إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث
شئت إلا فعلت **و**سأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من إبل فإني أحب الإبل فلم يقل له ما قال لصا
حبه وقال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذي

فعلت

وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون
وفي الحديث أنه لا ينزع رجل في الجنة ثمرة من ثمرها إلا نبت له مكانها مثلاها **إن**
المجرمين في عذاب جهنم خالدون يعني المشركين **لا يفتر عنهم** أي لا يخفف عنهم **وهم فيه**
مبلسون أي آيسون من رحمة الله تعالى **وما ظلمناهم** أي وما عذبناهم بغير ذنب **ولكن كانوا هم الظالمين** أي
لأنفسهم بما جنوا عليها **ونادوا يا مالك** أي يدعون مالكا خازن النار فيستغيثون ويستشفعون به في
ليقض علينا ربك أي ليمتنا ربك فنستريح والمعنى أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت
فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة **وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص**
قال إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم **قال إنكم ماكثون** قال هانت
والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك **و**معنى ماكثون مقيمون في العذاب **لقد جئناكم بالحق**
يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق **ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا** أي أح
كموا أمرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم **فإنا مبرمون** أي محكمون أمرا في مجازاتهم
كيدهم مثله **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم** أي ما يسرونه من غيرهم وما يتناجون به بينهم **بلى** نسمع ذلك
كله ونعلمه **ورسلنا** يعني الحفظة من الملائكة **لديهم يكتبون** قوله عز وجل **قل إن كان للرحمن ولد فأنا**
أول العابدين معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وزعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فإنه لا شريك له ولا ولد
وقال ابن عباس إن كان أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد
فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول
من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الآية إن كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح
توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته كما يعظم الرجل ولد

الملك لتعظيم أبيه

أبيه وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه مع الترا
حة على نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهو محال في نفسه
فكان المعلق بها محالا مثلها **ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى سبحان رب السماوات والأرض رب ال**
عرش عما يصفون أي عما يقولون من الكذب **فذرهم يخوضوا** أي في باطلهم **ويلعبوا** أي في دنياهم **حتى يلا**
قوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** أي يعبد في السماء
وفي الأرض لا إله إلا هو **وهو الحكيم** أي في تدبير خلقه **العليم** أي بمصالحهم **وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض و**
ما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزو
ل هذه الآية أن النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة وهم أحق بالشفاعة من محمد
فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دون الله آلهتهم ثم استثنى عيسى والعزير والملائكة بقوله **إلا**
من شهد بالحق لأنهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى والعزير والملائكة
فإن الله تعالى لا يملك لأحد من هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وهي كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله
من شهد بها بقلبه شفعوا له وهو قوله **وهم يعلمون** أي يعلمون ما شهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون أن ا
لله خلق عيسى والعزير والملائكة يعلمون أنهم عباده **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** يعني
هم إذا أقروا بأن الله خالق العالم بأسره فكيف أقدموا على عبادة غيره **فأنى يؤفكون** أي يصرفون عن عبا
دة الله إلى عبادة غيره **وقيله يا رب** يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا إلى ربه يا رب **إن هؤلاء قوم لا يؤمنون**
قال ابن عباس شكى إلى الله تخلف قومه عن الإيمان **وقال قتادة** هذا نبيكم يشكو
قومه إلى ربه **فاصفح عنهم** أي أعرض عنهم وفي ضمنه منعه أن يدعو عليهم بالعذاب **وقل سلام**
معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم **فسوف يعلمون** أي عاقبة كفرهم وفيه تهديد
لهم وقيل معناه يعلمون أنك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله أعلم

تفسير سورة الدخان فهي

وهي تسع وقيل سبع وخمسون آية وثلاثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وأحد وعشرون حرفا
قوله عز وجل **بسم الله الرحمن الرحيم حم و**
الكتاب المبين أي المبين ما يحتاج الناس إليه من حلال وحرام وغير ذلك من الأحكام **إنا أنزلناه في ليلة مبا**
ركة قيل هي ليلة القدر أنزل الله فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم نزل به
جبريل نجوما على حسب الوقائع في عشرين سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان **عن عائشة**
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى ينزل
ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب أخرجه الترمذي **إنا كنا منذرين**
أي مخوفين عقابنا **فيها** أي في تلك الليلة المباركة **يفرق** أي يفصل **كل أمر حكيم** أي محكم **قال**
ابن عباس يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر و
الأرزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر ال
سنة وتنسخ الأحياء من الأموات **وروى** البغوي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال
من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى **وعن ابن عباس**
رضي الله عنهما أن الله يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر
أمرا من عندنا أي أنزلنا أمرا من عندنا **إنا كنا مرسلين** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء **رحمة من**
ربك **قال ابن عباس** رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل وقيل إنزاله في ليلة

مباركة رحمة من ربك انه هو السميع اي لاقوالهم العليم اي باحوالهم رب السماوات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين اي ان الله رب السماوات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباءكم
الاولين بل هم في شك يلعبون اي من هذا القرآن يلعبون اي يهزؤون به لاهين عنه فارتقب
اي يا محمد يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم وعن مسروق قال كنا
جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عند
ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجيء فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المومنين منها كهيئة
الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئا فليقل به
ومن لم يعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
راى من الناس ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف وفي رواية لما دعا قريشا
كذبوه واستعصوا قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة
حصت كل شيء حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر احدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو
سفيان فقال يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال
الله عز وجل فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله انكم عائدون قال عبد الله افيكشف عذاب الاخرة
يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون والبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري قال
فكشف عنهم العذاب ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا
فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون
قوله حصت اي [illegible] واستاصلت كل شيء.
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر
والدخان وقيل انما [illegible] من الجوع كالظلمة في ابصارهم [illegible] سنة القحط العظيم
[illegible] وذلك يشبه الدخان وقيل
هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون راسه
كالراس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت او
[illegible] وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي
عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم
ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما
الدخان فتلا هذه الاية يوم تاتي السماء بدخان يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة واما المومن فيصيبه
منه كهيئة الزكام واما الكافر فبمنزلة السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره انى لهم الذكرى
اي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين [illegible]
[illegible] وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات
والبينات الباهرات ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه وقالوا معلم [illegible] مجنون اي يقولون
[illegible] الكلمات [illegible] الغشي انا كاشفو العذاب قليلا اي زمنا يسيرا
انكم عائدون اي الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى هو يوم بدر انا منتقمون اي منكم [illegible]

البحر ولقد فتنا قبلهم اي قبل هؤلاء قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اي على الله وهو موسى بن عمران ان ادوا
الي عباد الله اي ادفعوا الي بني اسرائيل ولا تعذبوهم اني لكم رسول امين على الوحي وان لا تعلوا على
الله اي لا تتجبروا عليه بترك طاعته اني اتيكم بسلطان مبين اي برهان بين على صدق قولي واني عذت
بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلون وان لم تومنوا لي فاعتزلون اي فاتركوني لا معي ولا علي فدعا ربه ان هؤلاء
قوم مجرمون اي مشركون فاسر بعبادي ليلا اي [illegible] بني اسرائيل ليلا انكم
متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر اذا قطعته انت واصحابك رهوا اي ساكنا [illegible]
[illegible] حتى يدخل فرعون وقومه انهم جند مغرقون يعني اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه في تركه
البحر على هيئته كم تركوا بعد الغرق من جنات وعيون وزروع ومقام كريم اي مجلس شريف حسن ونعمة اي وعيش
[illegible] كانوا فيها فاكهين اي ناعمين كذلك [illegible] واورثناها قوما اخرين يعني
بني اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض وذلك ان المومن اذا مات تبكي عليه السماء والارض [illegible]
[illegible] وما كانوا
منظرين [illegible] ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل من فرعون انه كان عاليا اي جبارا من المسرفين ولقد
اخترناهم على علم اي علمه الله [illegible] على العالمين اي على عالمي زمانهم واتيناهم من الايات ما فيه بلاء
مبين [illegible] من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ان هؤلاء يعني مشركي مكة ليقولون ان هي
الا موتتنا الاولى [illegible] وما نحن بمنشرين اي
بمبعوثين [illegible] فاتوا باباءنا [illegible] ان كنتم صادقين اي [illegible]
الموتى اهم خير ام قوم تبع اي ليس هم خيرا من قوم تبع [illegible] قيل هو تبع الحميري
ملك اليمن [illegible] والذين من قبلهم اي من الامم الكافرة اهلكناهم انهم
كانوا مجرمين وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق [illegible]
على الطاعة والعذاب على المعصية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل [illegible]
فيه بين العباد ميقاتهم اجمعين [illegible] يوم القيامة الاولون والاخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي لا ينفع
[illegible] ولا هم ينصرون [illegible] الا من رحم الله يعني المومنين [illegible]
[illegible] انه هو العزيز الرحيم [illegible] ان شجرت
الزقوم طعام الاثيم [illegible] كالمهل [illegible] يغلي في البطون
كغلي الحميم [illegible] خذوه [illegible]
[illegible] فاعتلوه [illegible] الى سواء الجحيم اي الى وسط النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب
الحميم قيل ان خازن النار [illegible]
[illegible] ذق انك انت العزيز الكريم [illegible]
ان هذا ما كنتم به تمترون اي تشكون فيه [illegible] ان المتقين
في مقام امين [illegible] في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق [illegible]
[illegible] متقابلين [illegible]
كذلك [illegible] وزوجناهم [illegible]

وحسبهم عجوز حين لم تراهم ... يدعون فيها بكل فاكهة يعني ... آمنين
شتهون . لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى أي لا يموتون في الجنة الموت
سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك كرامة ومنا لمن استحقه من الخلاص من عذاب
النار والفوز في الجنة إنما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى ... تفضل منه ذلك هو الفوز العظيم فإنما
يسرناه بلسانك أي سهلنا القرآن على لسانك فتلقيه على غيرك ... لعلهم يتذكرون أي
يتعظون فارتقب أي فانتظر النصر من ربك إنهم مرتقبون أي منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة وهي مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمانية
وثمانون كلمة وألفان ومائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السماوات والأرض
لآيات للمؤمنين أي إن في خلق السماوات والأرض لآيات وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة الخالق المختار وهو قوله تعالى
وفي خلقكم أي وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة إلى أن تصير إنسانا ... وما يبث من دابة أي وما يفرق في الأرض من جميع الحيوان على اختلاف أجناسها في الخلق والشكل والصورة آيات أي دلالات تدل على ... من خالقها وإنما ... لقوم يوقنون يعني أنه لا إله غيره واختلاف الليل والنهار يعني من الظلمة والضياء والطول والقصر وما أنزل الله من السماء من رزق يعني المطر الذي هو سبب أرزاق العباد فأحيا به الأرض أي بالمطر بعد موتها أي يبسها وتصريف الرياح أي في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله أي بعد كتاب الله وآياته يؤمنون وقوله عز وجل ويل لكل أفاك أثيم أي كذاب صاحب إثم يسمع آيات الله يعني آيات القرآن تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا يعني سخر منها أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم يعني أمامهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء أي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة ولهم عذاب عظيم هذا هدى يعني القرآن أي هو هدى من الضلالة والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله أي بسبب التجارة والسفر ... ولعلكم تشكرون ... وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض يعني ... جميعا منه قال ابن عباس ... إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قوله عز وجل قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي لا يخافون وقائع الله ... قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب ... شتمه رجل ... من بني غفار ... فأنزل الله هذه الآية ... ليجزي قوما بما كانوا يكسبون أي من الأعمال ... من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون قوله عز وجل ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب يعني التوراة والحكم يعني معرفة أحكام الله والنبوة ورزقناهم من الطيبات أي الحلالات وهي مما وسع الله عليهم في البلاد وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى وفضلناهم على العالمين أي على عالمي زمانهم

وآتيناهم بينات من الأمر أي بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره صلى الله عليه وسلم فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم معناه التعجب من حالهم وذلك لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار سببا لحصول الاختلاف وذلك لأنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وإنما كان مقصودهم من العلم طلب الرياسة ... حملهم على البغي والنزاع والحسد والاختلاف إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة أي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الأمر أي من الدين فاتبعها أي اتبع شريعتك الثابتة ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين وذلك أنهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك فقال تعالى إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا أي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا إن اتبعت أهواءهم وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض يعني أن الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة والله ولي المتقين أي يتولاهم وينصرهم في الآخرة هذا يعني القرآن بصائر للناس أي معالم للناس في الحدود والأحكام يبصرون به وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أي اكتسبوا المعاصي والكفر أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا سواء محياهم ومماتهم معناه أحسب أهل الكفر أن يكون محياهم ومماتهم كحياة المؤمنين ومماتهم كلا والمعنى أن المؤمن مؤمن في حياته ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في حياته ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل ساء ما يحكمون أي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته ذات ليلة قام حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وخلق الله السماوات والأرض بالحق أي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا العالم إظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم إلا بالقيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات أفرأيت من اتخذ إلهه هواه قال ابن عباس ... لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وأضله الله على علم أي على علم منه بعاقبة أمره وختم على سمعه وقلبه أي فلم يسمع الهدى ولم يعقل بقلبه وجعل على بصره غشاوة أي ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله أي من بعد أن أضله الله أفلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لأن الله صرح بمنعه إياهم عن الهدى حين أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره وقالوا يعني منكري البعث ما هي إلا حياتنا الدنيا أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي تموت الآباء وتحيى الأبناء وقيل نموت نحن ونحيا ... وما يهلكنا إلا الدهر أي وما يفنينا إلا الدهر أي مر الزمان واختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك من علم أي ما يقولونه عن علم علموه إن هم إلا يظنون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين معناه أن منكري البعث احتجوا بأن قالوا إن صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم

يحييكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السماوات والارض ويوم تقوم
الساعة يومئذ يخسر المبطلون يعني في ذلك اليوم يخسر اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون
الى النار وترى كل امة جاثية اي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء
كل امة تدعى الى كتابها اي الذي فيه اعمالها ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا
كتابنا يعني ديوان الحفظة ينطق عليكم بالحق اي يشهد عليكم ببيان شاف فكانه ينطق انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون اي امر الملائكة بنسخ اعمالكم وكتبها عليكم وقيل نستنسخ اي نأخذ نسخته وذلك ان
الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب او عليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم
هلم واذهب فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي جنته ذلك هو الفوز
المبين اي الظفر الظاهر واما الذين كفروا اي يقال لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم يعني ايات القرآن
فاستكبرتم اي عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين يعني متكبرين كافرين واذا قيل ان وعد الله
حق اي البعث كائن والساعة لا ريب فيها اي لا شك فيها انها كائنة قلتم ما ندري ما
الساعة اي انكرتموها وقلتم ان نظن الا ظنا اي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما وما نحن بمستيقنين اي
انها كائنة وبدا لهم اي في الاخرة سيئات ما عملوا اي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم وحاق
بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اي
نترككم في النار كما تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
يمنعونكم من العذاب ذلكم اي هذا الجزاء بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا يعني
حتى قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم
ان يرجعوا الى طاعة الله لانه ليس بحين توبة ولا ينفع في ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السماوات
والارض رب العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السماوات والارض والعالمين
فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل احد وله الكبرياء اي العظمة وله الكبرياء
في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني
عذبته اخرجه مسلم واخرجه البرقاني والله اعلم

تفسير سورة الاحقاف وهي مكية

وقيل غير قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي اربع
وثلاثون وقيل خمس وثلاثون اية وستمائة واربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من
الله العزيز الحكيم ما خلقنا السماوات والارض وما بينهما الا بالحق اي لاقامة الحق واجل
مسمى يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السماوات والارض والذين كفروا عما انذروا
اي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب والعقاب معرضون اي لا يؤمنون به
قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب
من قبل هذا اي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون او اثارة من علم اي بقية من
علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم ويروى عنهم ان كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعو من
دون الله من لا يستجيب له يعني الاصنام لا تستجيب لعابديها الى شيء يسألونها الى يوم
القيامة

القيامة يعني لا تجيب ابدا ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون يعني لانها جمادات لا تسمع ولا تبصر
ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين يسمون القرآن سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق القرآن محمد
من قبل نفسه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون ان
تردوا عني عذابه ان عذبني على الافتراء من اجلكم هو اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من
التكذيب والافتراء والقول في القرآن والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم اي ان القرآن جاء من عنده
وهو الغفور الرحيم اي في تأخير العذاب عنكم قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل
اي لست باول مرسل قد بعثت قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اختلف
العلماء في معنى هذه الاية فقيل معناها ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة فلما
نزلت هذه الاية فرح المشركون وقالوا اللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا
واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه
لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل
بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية و
انزل الله عز وجل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله تعالى ما يفعل به
وبهم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه ما اتبع غير القرآن الذي يوحى الي
ولا ابتدع من عندي شيئا وما انا الا نذير مبين اي انذركم العذاب وابين لكم الشرائع
قل ارايتم اي اخبروني ماذا تقولون ان كان من عند الله يعني القرآن وكفرتم به اي ايها المشر
كون وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي انه من عند الله فامن يعني الشاهد واستكبرتم
اي عن الايمان به ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن
سلام امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل
عليه ما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة وهو في ارض يخترف النخل فاتاه فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط
الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة ومن اي شيء ينزع الولد الى ابيه ومن اي شيء ينزع الولد
الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن انفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو
اليهود من الملائكة فقرأ هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول
طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المرأة فسبقها
ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم
قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسألهم بهتوني عندك
فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله
بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افرايتم ان اسلم عبد الله فقالوا اعاذه الله من ذلك زاد في رواية فاتاهم فقال

لها مثل ذلك قال محمد بن عبد الله الشهيد وقال السهيلي ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فما الذي
تنتظرون ان تنذروا فتحولوا فيه زاد لهم وليف وقال يعني عبد الله بن سلام هذا القول كتبنا خلافه ان رسول الله
اخرجه البخاري في صحيحه قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني من اليهود للذين امنوا
لو كان خيرا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه واذ لم
يهتدوا به اي بالقرآن فسيقولون هذا افك قديم اي كذب متقادم ومن قبله اي من قبل القرآن كتاب
موسى يعني التوراة اماما اي جعلناه اماما يقتدى به ورحمة اي من الله لمن آمن به وهذا كتاب يعني القرآن
مصدق اي للكتب التي قبله لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا اي مشركي مكة وبشرى للمحسنين
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء
بما كانوا يعملون نقطع بتفسيره قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا
اي بر الوالدين احسانا وهو من الاحسان حملته امه كرها يعني حين اثقلت وثقل عليها الولد وو
ضعته كرها يريد مشقة الطلق وحمله وفصاله ثلاثون شهرا يعني من حمله الى ان تفصله عن ثديها
مع وهو الفطام ثلاثون شهرا اي واقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون
شهرا حتى اذا بلغ اشده اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة
الى اربعين سنة وهو قوله وبلغ اربعين سنة نزلت هذه الآية في سعد ابن وقاص
وقد دفعه العجمة قال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي بالايمان
والهداية وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون
في الله واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا مؤمن الجميع ودعاه اني تبت اليك اي رجعت الى
ليك والى كل ما تحبه واني من المسلمين اي والمخلصين بقلبي ولساني اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا
يعني اعمالهم الصالحات التي عملوها في الدنيا وكلها حسن ونتجاوز عن سيئاتهم فلا نؤاخذهم
بها في اصحاب الجنة اي مع اصحاب الجنة وعد الصدق اي وعدهم بان يتقبل حسناتهم و
يتجاوز عن سيئاتهم وعدا صدقا وقد وعدهم بان يدخلهم الجنة الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا
على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذي قال لوالديه يعني اذا دعواه الى الايمان بالله
والاقرار بالبعث بعد الموت اف لكما وهي كلمة كراهية اتعدانني ان اخرج اي من قبري حيا و
قد خلت القرون من قبلي اي لم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله اي يدعوان الله ويقولان
له ويلك آمن ان وعد الله حق اي بالبعث فيقول ما هذا الا اساطير الاولين قال ابن
عباس نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام
هو يابى ويقول احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما يقول
لون فذكر عائشة ان يكون قد انزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر اولئك الذين حق عليهم القول اي وجب
عليهم العذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات
مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وليو
فيهم اعمالهم اي جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على
النار اي فيجاوبهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد استوفيتموها في الدنيا وتمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون
استيفاء

بعد استيفاء حظكم منها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان وهو الخزي بما كنتم
تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون علل هذا العذاب بامرين احدهما
الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون من الايمان والثاني الفسق وهو المعاصي والا
ول من اعمال القلوب والثاني من اعمال الجوارح قوله تعالى واذكر اخا عاد يعني هودا عليه
السلام اذ انذر قومه بالاحقاف قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت
منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع
فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقد خلت النذر اي مضت الرسل
من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي من بعده الا تعبدوا الا الله اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا قد انذرهم كما انذر الرسل الذين بعثوا
قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره قالوا اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا
عن آلهتنا اي عن عبادتها فاتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من الصادقين يعني
ان العذاب نازل بنا قال يعني هودا انما العلم عند الله يعني هو يعلم متى ياتيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت
به يعني من الوحي الذي انزله الله علي واريد ان ابلغه اليكم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني قدر
العذاب الذي ينزل بكم فلما راوه يعني راوا ما يوعدون من العذاب عارضا يعني رأوا سحابا عارضا وكان
العذاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء مستقبل اوديتهم وذلك انه خرجت عليهم
سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا
تلك السحابة استبشروا بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله عز وجل ردا عليهم
بل هو ما استعجلتم به يعني من العذاب حين قلتم فاتنا بما تعدنا ثم بين ما هو ذلك العذاب فقال تعالى ريح فيها عذاب
اليم ثم وصف تلك الريح فقال تعالى تدمر كل شيء بامر ربها يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال
عاد واموالهم فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم قوله تعالى فاصبحوا لا يرى مفتوحة على انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية على طرفة من المساكن لتبصر فيها
وقرئ بالياء يرى مضمومة والمعنى لا يرى الا مساكنهم لان الريح لم تبق منهم الا الاوثان والمساكن
خاوية معطلة كذلك نجزي القوم المجرمين يعني بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من القوة والابدان وطول
الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس
ليستعملوها فيما ينفعهم من امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء يعني انه لما نزل بهم العذاب جاءهم ما كانوا
يطلبونه على سبيل الاستهزاء ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة يعني
اهلكنا قرى عاد وثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن وحول اهل
مكة بين ذلك وصرفنا الآيات اي وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم
فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتمادوا بهم في الغي فلولا يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا آلهة يعني اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى وا
لمراد بذلك انها تنفعهم لتقربهم الى الله بل ضلوا عنهم يعني بل فقدت الالهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب
بهم وذلك افكهم اي كذبهم الذي كانوا يفترون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم عند الله وما كانوا

يعتزون يعني يفترون بعبادتهم الأصنام الآلهة وأنها تشفع لهم قوله عز وجل وإذ صرفنا
إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه الضمير يعود إلى القرآن يعني فلما حضروا استماع
القرآن وقيل الضمير يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأجل استماع القرآن قالوا أنصتوا يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع القراءة
لا يحول بيننا وبين سماعها شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة
حرصهم على سماعه فلما قضي أي فرغ من قراءته ولوا أي رجعوا إلى قومهم منذرين يعني ما عبر لهم
إلى الإيمان لا ... مخوفين لهم من ... وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ... بعثهم
لا ... إلى سماع القرآن و... إلا ... وتقريبهم له قالوا يا قومنا
إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا قال عطاء كان دينهم اليهودية
فلذلك قالوا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني من الكتب التي أنزلها الله
تعالى من السماء يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يعني يهدي إلى الحق وهو دين الإسلام و
يهدي إلى طريق الجنة يا قومنا أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه لا يوجد بعده
غيره وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم قال بعض ... من هنا
زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم قوله عز وجل ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الأرض يعني لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه أولياء يعني أنصارا يمنعونه من الله أولئك
يعني الذين لا يجيبوا داعي الله في ضلال مبين قوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض
ولم يعي بخلقهن يعني أنه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن إبداعه واختراعه وتكوينه
بقادر على أن يحيي الموتى يعني أن إعادة الخلق وإحياءهم بعد الموت أهون عليه من ابتدائه
وخلقه بل الكل عليه هين ابتداء الخلق وإعادته بعد الموت وهو قوله تعالى بلى إنه على كل
شيء قدير يعني من إعادة الخلق وإحيائهم لأنه قادر على كل شيء قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على
النار فيه إضمار تقديره فيقال لهم أليس هذا بالحق يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل
وهو الحق قالوا بلى وربنا هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعد ما كانوا استكبروا ذلك وفيه توبيخ و
تقريع لهم وبعد ذلك يقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله عز وجل فاصبر
كما صبر أولوا العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء بأولي
العزم من الرسل بالصبر على أذى قومه قال ابن عباس وقتادة والحسن وقال الضحاك ... أولو
الجد والصبر قوله تعالى ولا تستعجل لهم يعني اصبر على أذاهم ولا تستعجل نزول العذاب عليهم
فإنه نازل بهم لا محالة كأنهم يوم يرون ما يوعدون يعني من العذاب في الآخرة لم يلبثوا يعني
في الدنيا إلا ساعة من نهار يعني أنهم إذا عاينوا العذاب هان عليهم ما لبثوا في الدنيا والبرزخ كأنه
قدر ساعة من نهار لأن ما مضى وإن كان طويلا فهو يسير إلى ما يرون عليهم من العذاب وهو الأبد
ما يرى ... بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال
تعالى بلاغ أي هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله تعالى إليكم والبلاغ بمعنى
التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب إذا نزل إلا القوم الفاسقون يعني الخارجين عن الإيمان
بالله ... قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله تعالى وفضله إلا القوم
الفاسقون

الفاسقون وهذا قال قوم ما في الرجاء في كتاب الله آية أقوى من هذه الآية والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم
يعني أبطلها فلم يتقبلها منهم وأراد بالأعمال ما كانوا يفعلونه من أعمال البر كإطعام الطعام وصلة
الأرحام وفك العاني وهو الأسير وإجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم إن هذه السورة منقولة
من سورة الأحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال من صالحة كإطعام
الطعام وصلة الرحم ونحوه من الأعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فأخبر أن
الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعني أبطلها لأنها لم تكن لله ولا بأمره إنما
فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى والذين آمنوا وعملوا
الصالحات قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الأنصار وآمنوا
بما نزل على محمد يعني القرآن الذي أنزله الله على محمد وهو الحق من ربهم وقيل إن معناه أن دين محمد صلى الله عليه
وسلم هو الحق لأنه لا ينسخ كفر عنهم سيئاتهم يعني ستر بإيمانهم
وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها وغفرها لهم بذلك
منهم وأصلح بالهم يعني حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق في أمر الدين والتسليط على أمر الدنيا بما
أعطاهم من النصر على أعدائهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان وأن الذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم يعني القرآن ومعنى الآية ذلك الإضلال إضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين
بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم
الضمير في أمثالهم راجع إلى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أعمالهم لأنفسهم وأنه راجع إلى الفريقين على
معنى أنه تعالى يضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بهم فإذا لقيتم الذين كفروا من العدو وهو الحرب فضرب
الرقاب يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر
الأعضاء حتى إذا أثخنتموهم يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم بالقتل ... التخيير ... والإ
المعنى حتى إذا أثقلتموهم بالقتل والجراح وأضعفتموهم بالهزيمة والقهر فشدوا الوثاق يعني في الأسر
والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أي يشد به فإما
منا بعد وإما فداء يعني بعد الأسر إما أن تمنوا عليهم منا بإطلاقهم من غير عوض وإما أن تفادوهم فداء
حتى تضع الحرب أوزارها يعني أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا
عن القتال ذلك يعني الأمر ذلك وما ذكر من حكم الكفار ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني ولو يشاء الله لا
هلكهم بغير قتال وجعلهم أسراكم ولكن ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير
من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكفار إلى العذاب والذين قتلوا في سبيل الله يعني الشهداء و
قرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله فلن يضل أعمالهم يعني فلن يبطلها بل يجري عليهم ثواب أعمالهم
التي عملوها لله تعالى سيهديهم يعني أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور وفي الآخرة إلى الدرجات العلى و
يصلح بالهم ويرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يبين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا
إلى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن
أهدى إلى درجته وزوجته وخدمه منه إلى أهله ومنزله في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين

قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله يعني تنصروا الله ورسوله وقيل تنصروا أو
لياء الله وحزبه ينصركم يعني على عدوكم ويثبت أقدامكم يعني عند القتال وعلى الصراط
والذين كفروا فتعسا لهم قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال أبو العالية يعني سقوطا لهم وقال
الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وأضل أعمالهم يعني أبطل أعمالهم لأنها كانت في طاعة
الشيطان ذلك يعني التعس والإضلال بأنهم كرهوا ما أنزل الله يعني القرآن الذي فيه النور والـ
هدى فأحبط أعمالهم أي فأبطل أعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله تعالى ولأن الشرك محبط
للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم يعني من الأمم الماضية والقرون الخالية الكافرة دمر الله عليهم يقال دمره الله يعني أهلكه
الله ودمر عليه أي أهلك ما يختص به وللكافرين أمثالها يعني إن لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبما جاء به من عند الله وهذا التخويف إنما يكون في الآخرة ذلك يعني الهلاك والهوان بأن
بسبب أن الله مولى الذين آمنوا يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي أمورهم وأن الكافرين لا مولى لهم
يعني لا ناصر لهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
يعني هذا لهم في الآخرة والذين كفروا يتمتعون يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها ويأكلون
كما تأكل الأنعام يعني ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم مع تغافل لاهون عما يراد بهم
في غد ولهذا شبههم بالأنعام لأن الأنعام لا عقل لها ولا تمييز والنار مثوى لهم يعني مقام الكا
فرين في الآخرة والثوى المكان مع الاستقرار وهيئة فالنار مثوى الكافرين واستقرارهم
قوله تعالى وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك يعني أخرجك أهلها
والمراد بقريته مكة أهلكناهم ولم يقل أهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب
والهلاك الذي حل بهم أفمن كان على بينة من ربه يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون معه كمن زين له سوء عمله وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين واتبعوا
أهواءهم يعني في عبادة الأوثان قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الله
عز وجل الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبدأ أولا
بما للمتقين فقال مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة فيها يعني الجنة ا
لتي وعد المتقون أنهار من ماء غير آسن يعني غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء إذا تغير
طعمه وريحه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه يعني كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قا
رصا ولا ما يكره من الطعوم وأنهار من خمر لذة للشاربين يعني ليس فيها حموضة ولا
عفوصة ولا مرارة ولا تدنسها الأرجل بالدوس ولا الأيدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب
عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد اللذة فقط وأنهار من عسل مصفى يعني ليس فيها
شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف
من جميع شوائب عسل الدنيا وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات في ذكر الثمرات بعد
المشروب إشارة إلى أن مأكول أهل الجنة للذة لا للحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب
لأنها للتفكه واللذة ومغفرة من ربهم والمعنى ولهم مغفرة من ربهم فيها برفع التكا
ليف عنهم فيها يأكلون ويشربون وقوله تعالى كمن هو خالد في النار يعني من هو في

هذا النعيم

من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو
قوله وسقوا ماء حميما يعني شديد الحر قد أسعرت عليه جهنم منذ خلقت
إذا أدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه فقطع
أمعاءهم يعني فخرجت من أدبارهم والأمعاء جمع معي وهو جميع ما في البطن من
الحوايا ومنهم يعني ومن هؤلاء الكفار من يستمع إليك وهم المنافقون يستمعون
قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه حتى إذا خرجوا من عندك يعني أن هؤلاء
المنافقين الذين كانوا عندك في المجلس يستمعون كلامك فإذا خرجوا من عندك قالوا يعني
المنافقين للذين أوتوا العلم من الصحابة ماذا قال آنفا يعني ما الذي قال الآن وهو من
الائتناف يقال ائتنفت الأمر إذا ابتدأته أولئك يعني المنافقين الذين طبع الله على
قلوبهم يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أهواء
هم يعني في الكفر والنفاق والذين اهتدوا يعني المؤمنين زادهم هدى يعني أنهم كلما سمعوا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوا
فيزيدهم ذلك هدى مع هداهم وإيمانا مع إيمانهم وآتاهم تقواهم يعني وفقهم للعمل
بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم
بمعنى أنه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم يعني الكا
فرين والمنافقين الذين قعدوا عن الإيمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة فجأة وهم في
على كفرهم ونفاقهم بعيد وعيد وتهديد قوله تعالى فقد جاء أشراطها أي أماراتها
وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبعدا في النفوس فقال
قال تعالى فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فكأن قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى
فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم يعني فمن أين لهم التذ
كر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة بغتة فاعلم أنه لا إله إلا الله الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به غيره أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وأنه لا إله إلا هو فما فائدة هذا
الأمر وأجيب عنه بأن معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس دم على ما أنت
عليه من الجلوس واستغفر لذنبك أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له
ليستن به أمته وليقتدوا به في ذلك وللمؤمنين والمؤمنات يعني من غير أهل بيته وفيه إكرام
من الله عز وجل لهذه الأمة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع ا
لمطلوب فيهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني
منصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم إلى الجنة أو إلى النار ويقول
الذين آمنوا لولا نزلت سورة وذلك أن المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله فقالوا هلا
أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال قال
مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين رأيت الذين
في قلوبهم مرض يعني نفاق وهم المنافقون ينظرون إليك يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد

وجبنا عن لقاء العدو نظر المغشي عليه من الموت يعني كما ينظر الشاخص ببصره عند
معاينة الموت فأولى لهم فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد أولى لك أي
وليك وقاربك ما تكره، وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله طاعة وقول معروف فعلى هذا
هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقا
لوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن فإذا عزم الأمر فيه حذف تقديره فإذا عزم صاحب الأمر
فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا في إظهار الإيمان والطاعة
لكان خيرا لهم فهل عسيتم أي فلعلكم إن توليتم يعني أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم
أحكامه أن تفسدوا في الأرض يعني تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالمعصية
والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعدما جمعكم الله بالإسلام وتقطعوا
أرحامكم قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدماء الحرام وقطعوا
الأرحام وعصوا الرحمان أولئك إشارة إلى الذين أفسدوا في الأرض وقطعوا الأرحام الذين لعنهم
الله أي أبعدهم الله من رحمته وطردهم عن جنته فأصمهم يعني عن سماع الحق وأعمى أبصارهم
يعني عن طريق الهدى أفلا يتدبرون القرآن يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره وأ
صل التدبر التفكر في عاقبة الشيء، وما يؤول إليه أمره وتدبر القرآن لا يكون إلا مع حضور
القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلو
النية أم على قلوب أقفالها يعني بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للإ
نسان من تعاطي فعل يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه قوله عز وجل إن الذين ارتدوا
على أدبارهم رجعوا القهقرى كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح
لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم الشيطان سول لهم يعني زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا وأملى لهم
قرئ بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعني أمهلوا ومد لهم في العمر وقرئ وأملى
لهم بفتح الألف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بأن مد لهم في الأمل ذلك إشارة إلى التسويل أو
الإملاء بأنهم يعني بأن أهل الكتاب أو المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون
سنطيعكم في بعض الأمر يعني التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد والقعود عنه وكانوا
يقولون ذلك سرا فأخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال والله يعلم إسرارهم يعني أنه تعالى لا يخفى
عليه خافية من أمرهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يعني فكيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة يضر
بون وجوههم وأدبارهم ذلك يعني ذلك الضرب بأنهم اتبعوا ما أسخط الله يعني ترك
الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الإيمان وا
لطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبط أعمالهم يعني التي عملوها من أعمال
البر لأنها لم تكن لله أم حسب الذين في قلوبهم مرض يعني شك ونفاق وهم المنافقون أن لن يخرج الله أضغانهم
يعني أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبدونها حتى يعرف المؤمنون أحقادهم وأضغانهم واحدها ضغن
وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما قال
تعالى أم حسب الذين

الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فيكون ذلك دليلا على أنه لم يخرج أضغانهم ويظهرها فأخبر الله تعالى أنه
إنما أخفى ذلك لحكمة المحبة المخفية لا لخوف منهم فقال ولو نشاء لأريناكهم أي لأعلمناكهم لا ما نع لذلك والإراءة
بمعنى التعريف والعلم ولتعرفنهم في لحن القول يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صوا
ب وخطأ فالصواب صرف الكلام وإزالته عن التصريح إلى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قو
له صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإليه قصد بقوله ولتعرفنهم في لحن القول
وأما اللحن المذموم فظاهر والله يعلم أعمالكم يعني أعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى
ولنبلونكم يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فإن الله تعالى عالم بجميع الأشياء قبل وجودها حتى نعلم المجا
هدين منكم والصابرين يعني لأنا نأمركم بالجهاد حتى نعلم المجاهدين ويتميز المجاهد في سبيل الله منكم ويصبر عليه
من غيره لأن المراد من قوله حتى نعلم المجاهدين علم الوجود والظهور ونبلو أخباركم أي نظهرها ونكشفها
ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
يعني خالفوه فيما أمرهم به من الجهاد وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما تبين لهم
أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن يضروا الله شيئا يعني إنما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى
منزه عن ذلك وسيحبط أعمالهم يعني وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الآخرة لأنها
لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ثم أمر الله الكفار بسبب مشاقتهم
فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا
تبطلوا أعمالكم يعني بالشك والنفاق والمعصية ومن على ما أنتم عليه من الأجر والطاعة ولا
تشركوا فيحبط أعمالكم إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
قيل نزلت في أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا في القليب وحكمها
عام في كل كافر مات على كفره فإن الله لا يغفر له لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فلا تهنوا الخطاب فيه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا
أيها المؤمنون وتدعوا إلى السلم يعني لا تدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا
وأنتم الأعلون يعني وأنتم الغالبون لهم العالون عليهم والله معكم يعني بالنصر والمعونة ومن كان
الله معه فهو العالي الغالب ولن يتركم أعمالكم يعني لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم إنما الحياة الدنيا
لعب ولهو أي باطل وغرور وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم يعني يعطكم جزاء أعمالكم في الآخرة
ولا يسألكم أموالكم يعني أن الله لا يسأل من العباد أموالهم لأجل نفسه لأنه غني عنها بل يأمرهم بالإنفاق في الخير
والطاعة ليثيبكم عليها الجنة إن يسألكموها الضمير عائد إلى الأموال فيحفكم يعني يجهدكم
ويطلبها كلها والإحفاء المبالغة في المسألة وبلوغ الغاية يقال أحفى في المسألة إذا لم يترك
شيئا من الإلحاح تبخلوا يعني بالأموال فلا تعطوها ويخرج أضغانكم يعني بغضكم وعداو
تكم لشدة محبتكم للأموال ها أنتم هؤلاء يعني أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون بما وصفتم
به وصفهم بقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل أراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل
المراد به إخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني بما فرض
عليه إخراجه من الزكاة أو ندب إليه من وجوه الطاعة وفي وجوه البر ومن يبخل يعني بالصدقة وأداء الفريضة

وطهارتكم

من بخله وهو قوله ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني يعني عن صدقاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك
السماوات والارض وانتم الفقراء يعني اليه والى ما عنده من الخير والثواب في الدنيا والآخرة وان تتولوا يعني عن طاعة
الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن الجهاد في سبيل الله والانفاق فيه والرجوع الى الله
يعني يخرجون من طاعة الله ورسوله منكم يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا ان تولينا ثم لا يكونوا امثالنا
على صلى الله عليه وسلم منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال
ولهم في رواية اخرى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو
كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وبعض الحديث في الصحيح نزل في سورة الجمعة
انتهى والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن
شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر نزرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت
ان ينزل في قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون قد نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا
مبينا اخرجه البخاري وزاد فيه فقال في بعض اسفاره في الحديبية وعن انس قال لما نزلت انا
فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعهم من
الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد انزلت علي آية هي احب الي من الدنيا جميعا اخرجه مسلم وللبخاري عن انس انا فتحنا لك فتحا
مبينا قال الحديبية فقال اصحابه هنيئا مريئا لك يا رسول الله فما لنا فانزل الله
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة
فحدثت بهذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا
مريئا فعن عكرمة واخرجه الترمذي عن قتادة عن انس قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي آية احب الي مما على وجه
الارض ثم قرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروي عن قتادة
عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد هو فتح خيبر وقيل فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله تعالى له
ثم تكن قد فتحت بعد فكيف قال انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله على هذه الاقطار البلاد مكة وغيرها
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في اخباره لانها

تخفيفها وتبعيتها

تخفيفها وتبعيتها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه قال تعالى انا فتحنا لك فتحا حكمنا
وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال الاكثر من المفسرين ان المراد بهذا
عن انس الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن ابن مسعود ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب
وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسر
وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح
مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم
صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا وقال الشعبي
في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وما تلى والعمرا
نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على
المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين
فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام من قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وعز الاسلام
بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين
ابن الفضل هو مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات قال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة
النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع
ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم
والنصر العزيز كأنه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفر لك ذنبك وهديناك صراطا
مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل وقيل يحتمل ان يكون الفتح سببا للغفران
لانه جهاد العدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان
هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية
ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر يعني
بعدها وعلى هذا القول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من
ذنبك يعني ذنب ابويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب امتك بدعائك لهم وقال
سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك ما كان منك قبل النبوة الى النبوة وما تأخر يعني كل شيء
لم تعلمه وذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول اعطى من رآه ومن لم يره وضرب من لقيه
ومن لم يلقه فيكون المعنى وقع لك من ذنبك وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما
كان من سهو وغفلة وتأويل لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر
الذنب هنا ما عسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين
فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وانه
مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة وما اعطاك من
النصر والفتح والتمكين ويهديك صراطا مستقيما يعني ويهديك الصراط المستقيم

وهو العلاء وقيل معناه
ويهديك بك الى صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا يعني غالبا اعزه ومنعته
وحصل الامن بحمد الله تعالى وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين **فان قلت** وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور
صاحب النصر فما معناه **قلت** معناه ذا عزة كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات
رضى وقيل وصف النصر بما وصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم
صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج
الى هذه التقديرات اذا كان العز من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا كان عزيزا في نفسه لكونه من
الله فيصح كونه نصرا عزيزا **قوله تعالى** هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين يعني
الطمانينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم **قال ابن عباس** كل سكينة في القران
طمانينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها لما قال الله عز وجل وينصرك
الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف وذلك ان الله تعالى جعل السكينة التي هي الطما
نينة والثبات في قلوب المومنين ويلزم من ذلك ثبوت الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها
فكان ذلك من اسباب النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ثم **قال تعالى** ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم وذلك انه جعل السكينة والطمانينة في قلوب المومنين سببا لزيا
دة الايمان في قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم امر ونهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه كا
ن ذلك زيادة في ايمانهم **قال ابن عباس** ان اول ما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا
اله الا الله فلما امنوا به وصدقوه زادوا تصديقا يقال التصديق يقينا **قال الضحاك** يقينا مع يقينهم
وقال الكلبي وهذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ليزدادوا امنوا
بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عز وجل وامنوا
بالبعث بعد الموت والجنة والنار وامنوا بالفروع وهي جميع التكاليف البدنية والما
لية فكان ذلك زيادة في ايمانهم ولله جنود السموات والارض **كما قال الله عز وجل**
وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المومنين في قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف
ينصره فاخبره الله تعالى ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه
وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك
فلم يفعل بل انزل السكينة في قلوبكم ايها المومنون لتنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلك
اعداءه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات والارض وجوه
الاول انهم ملائكة السموات والارض الثاني ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض
جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الار
ض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكان الله عليما يعني بجميع جنوده الذين
في السموات والارض حكيما في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المومنون حكيما حيث
جعل النصر على ايديكم **قوله عز وجل** ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من
تحتها الانهار فقوله ليدخل المومنين يستدعي سابقا تقديره هو الذي انزل السكينة
في قلوب المومنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المومنين
بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري

من تحتها الانهار

[هامش: عزيز]

[هامش: الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشيء وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم]

جنات تجري من تحتها الانهار وقد تقدم ما روي عن انس انه لما انزل قوله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر **قال الصحابة**
له هنيئا مريئا قد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله الاية التي بعدها ليدخل
المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئا
تهم **فان قلت** تكفير السيئات انما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد
دخولهم الجنة **قلت** الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توا
بع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال في الذكر بمعنى انه من اهل الجنة وكان ذلك
عند الله فوزا عظيما يعني ان ذلك الادخال والتكفير كان في علم الله فوزا عظيما ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعني المنافقين والمنافقات من اهل
المدينة والمشركات من اهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي
غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المومنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز
منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شرا من الكا
فر فكان تقديم المنافق بالذكر اولى الظانين بالله ظن السوء يعني انهم ظنوا ان الله لا ينصر محمدا
صلى الله عليه وسلم والمومنين عليهم دائرة السوء يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك
وغضب الله عليهم زيادة في تعذيبهم وهلاكهم ولعنهم اي ابعدهم وطردهم من رحمته
واعد لهم جهنم في الاخرة وساءت مصيرا يعني ساءت جهنم منقلبا ولله
جنود السموات والارض تقدم تفسيره بقي ما فائدة التكرير وقد قدم ذكر جنود
السموات والارض على ادخال المومنين الجنة والمراد ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب
المنافقين والكافرين ففيه التكرار للتاكيد وجنود السموات والارض منهم من هو
للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل دخول المومنين
الجنة ليكون مع المومنين جنود الرحمة فيثبتونهم على الصراط فاذا دخلوا الجنة افضوا
الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء واخر ذكر جنود
السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم
ابدا **فان قلت** قال في الاية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه الاية وكان الله
عزيزا حكيما فما معناه **قلت** لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة
ومن هو للعذاب علم الله ضعف المومنين فناسب ان يذكر في خاتمة الاية الاولى وكان الله
عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان يكون خا
تمة الاية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام
وقوله اخذناهم اخذ عزيز مقتدر **قوله تعالى** انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالر
سالة وبعثه الى الكافة شاهدا يعني على اعمال امته ومبشرا يعني لمن امن به واطاعه
بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى امره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال **فقال تعالى**
لتومنوا بالله ورسوله والضمير فيه للناس المرسل اليهم وتعزروه يعني ويعزروه

[هامش: فائدة]

ويعزروه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم ويوقروه يعني ويعظموه والتوقير
التعظيم والتبجيل ويسبحوه من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص او من
السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير
دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه را
جعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعند هذا تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام
ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه بكرة واصيلا على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله عز
وجل يعني ويصلوا لله ويسبحوا الله بالغدوات والعشي قوله عز وجل ان الذين يبا
يعونك انما يبايعون الله يعني ان الذين بايعوك بالحديبية على ان لا يفروا
انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي يعقده الا
نسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بالبيعة
بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة
او مرحلة سميت ببئر هنالك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر وقال مالك هي من الحرم
وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح
وعامة المحدثين يشددونها م عن يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على
اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت م عن معقل بن يسار قال لقد
رايتنا يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها
عن راسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال ا
لعلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة
بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة منهم
معقل بن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني
عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم
يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم قال ابن
عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم بالخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا يا
خذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم في
البيعة وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة
وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك
لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى
واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله
كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق ايديهم
اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والنصرة والقو
ة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى
الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبا

يعون الله اكده

اكده تاكيدا على طريق التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح
وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله هذا مذهب اهل التاويل في هذه الاية ومذهب السلف السكوت
عن التاويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بظاهرها من
غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه
يعني من نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما
يرجع ضرره عليه ولا يضر الا نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله يعني
من البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الاخرة وهو الجنة وقوله تعالى سيقول
لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة
واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة
عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا
معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بعمرة وساق الهدي
ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فا
نزل الله فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك
اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا اموالنا واهلونا
يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك فاستغفر
لنا الله عذرنا معتمرين ... فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله
تعالى فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار كا
ذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم او لا قل فمن يملك لكم
من الله شيئا ان اراد بكم ضرا يعني سوءا او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم
واموالهم فاخبرهم الله انه ان اراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله
بما تعملون خبيرا يعني من اظهار الاعتذار وطلب الاستغفار واخفاء النفاق
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو
يستاصلهم فلا يرجعون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان
ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان
يوسوس في قلب الانسان الشيء ويقربه له حتى يقطع به وظننتم ظن
السوء يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه
اكلة راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من
امرهم وكنتم قوما بورا يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما هلكى لا خير فيكم
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله تعالى
حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال الظن الفاسد ان من

وان لك يعني بصاحبه الى الكعبة حرضهم على الجهاد والتوبة مع ان الخبر العاصيد ونال
تعلى ومن لم يومن بالله ورسوله وضال ان الله يخلفه وعده فان الله كابر والا عدنا للكافرين سعيرا
ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لما ذكر الله تعالى حال الكافرين
لمومنين الصابرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الضانين بهم الحسوء اخبر ان له ملك
السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولا
ضن بغير الله ورحمته اهم واشمل واتم واكمل والية الاشارة بقوله وكان الله غفورا رحيما
فولا قال سيقول المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذ
هبتم ايها المومنون الى مغانم لتاخذوها يعني غنائم خيبر وذلك ان المومنين لما انصرفوا
من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح
خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا
عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها
وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم
يكن هناك لهم في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون
ان يبدلوا كلام الله يعني يريدون ان يغيروا بقتالهم ويغيروا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث
وعدهم غنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد الى خيبر وقال ابن زيد هو قول
الله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول الصواب قل لن
تتبعونا يعني الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة
خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم
الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئا بل كانوا لا يفقهون يعني لا يفهمون ولا يعلمون
عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا يعني قليلا وهو مثل ما منهم وصدق الله ورسوله
قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا
وكان المتخلفون جمعا كثيرا من قبائل مختلفة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف
الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه جعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون
الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من اهل الخير ويوتيهم الله اجرا عظيما وهو الجنة
وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من اهل الشقاء ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المقاتلين
اليهم بقوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم اهل
فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن
وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة
اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرا هذه الاية ولا نعلم
من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم الى قتال فا
رس وقال ابو هريرة لم يات تاويل هذه الاية بعد وا قوى هذه الاقوال قول من
قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال انهم
بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب واما الدليل على صحة القول الاول هو ان العرب كا

نعم طهر ١٠٢

نوا في الامر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مومن تقي ظاهر وكافر مجاهر
واما منافق مجاهر فهم على حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان
الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من بقي من الكفار وكانت هوازن وثقيف
من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين
فان قيل وبقي المخلفون بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم
هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا
معي ابدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي باس
شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم اولي باس شديد لان الرعب قد كان
خالط قلوب العرب كافة فيقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون
قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا مقيد بقيد وهو ان يكون قصدهم لن تتبعونه
ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه
لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي
صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا
ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة
الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الجهاد معه او
منعهم من الخروج الى الجهاد معه لا يمتنع ابو بكر وعمر من ان يدعوهم في الخروج الى الجهاد معهما
كما امتنعا من اخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها واما
الجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولي باس شديد
فغير مسلم لان العرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولوا باس شديد فلما
حصل البيان ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابا بكر دعا
الى قتال بني حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعا الى قتال فارس والروم فقد
حصلت الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله وعد بما حصلا عليهما الجنة وعلى مخالفتهما
النار قوله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى نوع احد الامرين اما الاسلام واما
القتل فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا يعني تعرضوا عن الجهاد
كما توليتم من قبل يعني عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما يعني بالنار ولما نزلت هذه الاية
قال اهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة
في جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على
العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج
الزمن والمقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب الاسعال الشديد والسعال الكبير
والذين لا يقدرون على الكر والفر ومنهم اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومنها اعذار
اخر دون ما ذكرو هي الفقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج اليه
في مصالح الجهاد والاشتغال الذي يعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من

لأن من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وإنما قدم الأعمى على الأعرج لأن عذر الأعمى مستمر لا يمكن
الانتفاع به في حضر ولا غيبة بخلاف الأعرج لأنه يمكن الانتفاع به في بعض الحالات
وقدم الأعرج على المريض لأن عذره أشد من عذر المريض لإمكان زوال المرض عن قريب ومن يطع
الله ورسوله يعني في أمر الجهاد وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن
يتول يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق يعذبه عذابا أليما
قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك يعني بالحديبية على
أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة سمرة عن طارق بن
عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا
هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن
المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثني أبي أنه كان ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام
المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها فقال سعيد فإن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يعلموها وأنتم علمتموها فأنتم أعلم وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد
رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها وروي أن عمر مر بذلك المكان بعد أن
ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول هاهنا وبعضهم هاهنا فلما كثر
اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع
منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى م عن أبي الزبير أنه سمع
جابرا يسأل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده
تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره
زاد في رواية وقال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت وأخرجه الترمذي عن جابر
في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت ق عن عمرو بن دينار رضي الله عنه قال
سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية أنتم اليوم خير أهل الأرض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم
مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة ق عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان
أصحاب الشجرة ألفا وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى
بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن إسحاق
عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية
فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له
فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا
سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن
الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال يا رسول الله إني أخاف على نفسي قريشا وليس بمكة
من بني كعب بن عدي أحد وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك
على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه

إلى أبي سفيان

إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته
فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها
فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان
حين فرغ إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز
القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس
يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الأشج بايعوه على الموت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقال جابر ومعقل بن يسار لم نبايعه
على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن
الأكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له أبو
سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني
سلمة قال جابر لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ت عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة
من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب فعلم
ما في قلوبهم يعني من الصدق والإخلاص والوفاء كما علم ما في قلوب المنافقين من
النفاق فأنزل السكينة عليهم يعني الطمأنينة عليهم يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا
وبايعوك على الموت وعلى أن لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة وهي أن هذه البيعة كانت
فيها طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب رضوان الله عز وجل وهو يوجب
لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الأنهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لهذا
ما قلناه الحديثان المتقدمان فإن قلت الفاء في قوله فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لأنه تعالى
علم ما في قلوبهم من الصدق والإيمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما
في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله إذ يبايعونك تحت الشجرة
فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق
إشارة إلى أن الرضى لم يكن عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء
في قوله فأنزل السكينة للتعقيب لأنه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فأنزل السكينة
عليهم وقوله وأثابهم فتحا قريبا يعني خيبر ومغانم كثيرة يأخذونها
يعني من أموال أهل خيبر وكانت ذات عقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم وكان الله عزيزا حكيما منيعا كامل العزة غنيا عن إعانتكم حكيما
حيث حكم بالغنائم ولم يعذبهم بالهلاك على أيديكم قوله تعالى وعدكم الله مغانم
كثيرة تأخذونها يعني الغنائم التي تغتنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم إلى يوم
القيامة في المستقبل وإنما عجل لكم هذه في حال الذي عجل الله لكم وهي في حينكم
فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم

الله عز وجل في المستقبل وإنما عجل لهم هذه يعني ... وهي وجنب ما وعد
الله به من الغنائم كالقليل من الكثير **وكف أيدي الناس عنكم** وذلك أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما حاصر خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا
على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بإلقاء الرعب
في قلوبهم وقيل إن الله كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم ليكون ذلك منة عليكم
ولتكون آية للمؤمنين عطف على ما تقدم تقديره وعجل لكم هذه الغنائم لتشكروا
بعدا ولتكون آية للمؤمنين يعني وليحصل الحكم من بعدكم آية لهم
على أن ما وعدكم الله حق مثله لهم أو ولتكون آية للمؤمنين على صدق رسول
صلى الله عليه وسلم في إخباره عن الغيوب ويزداد بها الذين يقينهم ويعلموا أن الله عز وجل
هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم **ويهديكم صراطا**
مستقيما يعني ويهديكم طريق الإسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة
ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر **ذكر غزوة خيبر وذلك** أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم
ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع **وعن** أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان إذا غزا قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذانا كف عنهم وإن لم
يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلا فلما
أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي صلى الله
عليه وسلم قال فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر إنا
إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين **عن** سلمة بن الأكوع قال خرجنا إلى خيبر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم تالله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلن سكينة
علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر
رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل
له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول
قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب قال وبرز
له عمي عامر فقال قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر قال فاختلفا
ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على
نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت
فإذا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت
يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال
ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال
لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت
به

حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية فخرج مرحب
فقال قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب
فقال علي رضي الله عنه أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره قال فضرب مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه أخ
رجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روى حديث
خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس وأبو هريرة يزيدون وينقصون أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا أشد
هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية
غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فأعطاها عليا وقال امض ولا
تلتفت حتى يفتح الله على يديك فأتى مدينة خيبر فخرج إليه مرحب صاحب الحصن وعليه
مغفر يمني من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج إليه علي بن أبي طالب ففلق الحجر والمغفر
وفلق رأسه حتى أخذ السيف الأضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج
إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله فقال بل
ابنك يقتله إن شاء الله فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون
ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الأموال قال محمد بن إسحاق وكان أول حصونهم
افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا فقتلته ثم فتح
القموص حصن ابن أبي الحقيق فأصاب منهم سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء
بها بلال وبأخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت
وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أغربوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين
على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي
الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا أنك تمنين ملك
الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فأتي بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبها أثر منها فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين هو فأخبرته الخبر وأتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فجحد أن يكون يعلم
مكانه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إني رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة
أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت
فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه إليه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره
حتى أشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها
الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى نبي الله صلى
الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ النبي صلى الله عليه وسلم ثم حسر
الازار عن فخذه حتى اني انظر الى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر
خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم
الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء د
حية فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت
حيي فجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة
قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم
قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت
يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها
له ام سليم فاهدتها له من الليل فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء
فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الاخر يجيء بالسمن قال واحسبه قد ذكر
السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ○ وعن عبد الله
بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فوقعنا في الحمر فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيئا فقال
ناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال اخرون نهى عنها البتة ○ وعن انس ان امراة يهودية
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها
عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قال او قال علي قالوا الا نقتلها
قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ○ قال محمد بن اسماعيل قال يونس
عن الزهري قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا
اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم ○ وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما فتحت
خيبر قلنا الان نشبع من التمر ○ وعن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر
عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في
امارته الى تيماء واريحاء ○ قال محمد بن اسحاق لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ويقال ان لنا
اذا شئنا اخرجناكم فصالحهم فكانت فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت
فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية
شاة مصلية وسالت اي عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل

فلكثرت فيه السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاحتز منها ولاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشير
بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها
يعني فابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا الطعام ليخبرني
انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما
لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من مرضه الذي توفي فيه فقال يا ام بشر ما زالت اكلة
خيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة ○ عن عبد الله بن سلمان
ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع
والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه
احد من اهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلاثمائة
اوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال
ركعتين بعد الصلاة ○ قوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها يعني و
عدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها يعني حفظها لكم
حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم
واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وكانت العرب لا تقدر على قتال فارس والروم
بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام وعنه وقيل هي خيبر وعدها الله
نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها فقسمها الله لهم وقيل هي مكة
وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى اخر الزمان وكان الله على كل شيء قديرا اي
من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك ولو قاتلكم الذين كفروا يعني اسد وغطفان واهل
خيبر لولوا الادبار اي لانهزموا عنكم ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يعني من تولاه الله خذلانه فلا ناصر
له ولا مساعد سنة الله التي قد خلت من قبل يعني هذه سنة الله في اوليائه
وفي اعدائه ولن تجد لسنة الله تبديلا ○ قوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم سبب نزول هذه الاية ما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان ثمانين
رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم يريدون غرة
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله وهو الذي كف
ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم الاية اخرجه مسلم
وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة
التي قال الله في القران وكان يقع من اغصان تلك الشجرة على ظهره وعلي
بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا
في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذ
ناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا فقالوا

فالى اللهم لا يجعلني مبيلع ومعنى الاية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم
يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الخ وكان اعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف
ايديهم عنكم يعني ايدي اهل مكة وايديكم عنهم اي قضى بينكم وبينهم بالمكافاة
والمحاجزة ببطن مكة قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة من بعد ان
اظفركم عليهم اي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم وكان الله بما تعملون بصيرا
وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام قوله عن
ذكر صلح الحديبية روى الزهري عن
عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه
قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة على الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه
يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة
قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عينه
الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون
اترون ان نميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتو
رين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله اما جئنا عمدا لهذا البيت لا نريد قتال احد ولا حر
ب او تريدون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت
عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال
امضوا على اسم الله فنفروا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل
لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش
فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي
يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصواء فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس
الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات
الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل
باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكى
الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من
اصحابه فقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البير
فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك
اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على اعداد
مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا
قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس

فان اظهر فان شاؤوا

فان شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي
بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول
فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم
ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الراي
منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه
وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا
بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم
باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها
ودعوني اته قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت قومك فهل سمعت
باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لا ارى وجوها واني لارى
اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه امصص
بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر فقال اما والذي نفسي بيده
لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله
عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبي صلى الله عليه
وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة
راسه فقال من هذا قال المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان ا
لمغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل
يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره
واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك
ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم
اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده
واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصوا
تهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال
رجل من كنانة دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت
له واستقبله الناس يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت
فلما رجع فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت
ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان من سيد الاحابيش فلما راه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه
فلما راى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده وقد اكل اوباره من طول الحبس رجع

الحبشين رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما راى فقال يا معشر
قريش اني قد رايت ما لا يحل ان يصد الهدي في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله
قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك فقال يا معشر
والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن بيت الله من جاء
له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة
رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به فقال رجل منهم
يقال له مكرز بن حفص دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي
صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما
يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل
قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء
سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بن ابي طالب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت
تكتب فقال المسلمون ما نكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد صلى الله عليه وسلم فقال سهيل
لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن
عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله
قال الزهري وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات
الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو
واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض
فقال له النبي على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث
العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا
ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف
يرد الى المشركين وقد جاء مسلما. وروي عن البراء قصة الصلح وفيه فقالوا انك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد
بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا امحوك قال فارنيه فاراه اياه فمحاه
النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن
يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة اشياء على ان من اتاه من
المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة
ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس ان قريشا
صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاء منكم لم نرده عليكم
ومن جاء منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من
ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا. رجعنا
الى حديث الزهري قال فبينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف
في قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال

سهيل

فقال سهيل هذا اول من اقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه
وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده
الى قريش قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما
الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله وفي رواية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يا ابا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا
انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر يمشي الى جنب
ابي جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب ويدني قائم
السيف منه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به اباه فضن الرجل بابيه و
قد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله
فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم امر ابي جندل شرا الى
ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ قال الزهري عن مروان والمسور
ورواه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت اليس قتلانا
في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست
اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك
انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر
اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية
في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك
بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انا سناتي البيت ونطوف به قال بلى
افاخبرك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال عمر فعملت لذلك
اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم
احلقوا فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم احد دخل
على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج لا تكلم احدا منهم
كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل
ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى
كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر اخرون فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال والمقصرين
قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر
وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في راسه برة من فضة ليغيظ المشركين
بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امراتين
كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية قال فنهاها

قال فيها هي ان يردوا النساء . وامر برد الصداق ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو
بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عوف
والاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي
ومعه مولى لهما فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر
وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا
به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لارى
سيفك هذا جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارني
انظر اليه فامكنه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فما برح حتى
طلع ابو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله قد
اوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه
مسعر حرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر
وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير
ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فخرج عصابة منهم اليه وانفلت ابو جندل بن سهيل
فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش
الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه
وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه فهو امن فارسل اليهم النبي صلى الله
عليه وسلم فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا
بينه وبين البيت هذا الحديث اخرجه البخاري بطوله سوى العلامة منه وهي مستثناة في الحج
ومنها قوله فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش
لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى
ناخذ لانفسنا ما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى ان
تخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروي عن البراء فقضية الصلح الى قوله رجعنا الى حديث
الزهري ومنها قوله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل الى قوله
فقد عصمها فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا ومنها قوله قال
ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مومنات فهذه الاحاديث
لم يخرجها البخاري في صحيحه

شرح غريب الحديث

قوله في بضع عشرة
مائة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح وهو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد
الى العشرة قوله وبعث عينا له اي جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء
من القارة انضموا الى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الحارث
بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا بذلك

وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان
قعدوا قعدوا موتورين محروبين قوله فتحيروا اي امضوا وخلوا قوله ان خالد بن
الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم كطليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي
الجيش يطلعون على اخبار العدو وقترة الجيش الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذير هو
النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصواء يعني
انها لما توقفت عن المشي وفهمت خلا لهم قولها وهو كالحران للفرس فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت اي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اي منعها
عن المسير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصواء اسم ناقة النبي صلى الله عليه
وسلم ولم تكن قصواء وهو مشقوق الاذن قوله خطة اي حالة وقضية يعظمون فيها حرمات
الله جمع حرمة وهي ما لا يحل انتهاكه وما يجب القيام بها يريد بها حرمة الحرم ونحوه قوله
حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس والحديبية قرية ليست بالكبيرة سميت
ببئر هنالك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع
مراحل قال مالك وهي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع
والثمد الماء القليل الذي لا مادة له والتبرض اخذ الشيء قليلا قليلا قوله فما زال يجيش
بالري فيقال جاشت البير بالماء اذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش قوله صدروا
رجعوا بعد الورود قوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اي كان موضع سره وثقته في ذلك قوله نزلوا
على اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله
ومعهم العوذ المطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها وهذه استعارة
استعارها للنساء اراد معهم النساء والصبيان قوله قد نهكتهم
الحرب اي اضرت بهم واثرت فيهم قوله ماددتهم اي جعلت بيني وبينهم مدة قوله
والا فقد جموا اي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله حتى تنفرد سالفتي
السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو العنق
الذي بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله اني
استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية
معروفة وقوله بلحوا علي فيه لغتان التخفيف والتشديد واصل التبليح الاعياء
والعجز والمراد امتنعوا من اجابته وتقاعدوا عنه قوله استاصلت قومك واجتاح
اصله الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال الاخذ من الاصل
في مبالغة الاخذ قوله اوباشا اي اخلاطا والاوباش الاخلاط وبالشين الاخلاط
من الناس والرعاع يقال فلان خليق له اي جدير لان يفعل ذلك من خلقه قوله امصص
بظر اللات وهو اسم صنم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة
من الهنة التي تكون في فرج المراة وكان هذا اللفظ تستعمله العرب في الشتم قوله
لولا يد لك عندي اي النعمة وما يصنع الانسان على غيره قوله اي غدر معدول عن
غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة

غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد طلب منكم لم يعاوا ... في هذا
في واستغنا منه قوله وهو من قوم يتطعمون بالمنزل الابل فهي الهبيت في حج او عمرة و
تقليده ها هو ان يجعل في رقابها شيء كالقلادة من لحاء الشجر او النعل او غيره ليعلم به
انه هدي وان الاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه قوله
جلما ... الهدي فيسيل فكيف ان يفعل عليه كما يسيل من عرف الرواح ان يحا ... بعه
وقوله هذا امكرز وهو رجل ... العجوز الميل عن الحق وكل انحراف في شيء فهو فجور
وقوله هذا ما قضى عليه اي ما عاهد من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في
اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وانما منه قوله ضغطة هو كناية
عن القهر والضيق قوله يجلباب السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء و
يروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع فيه السيف
مغمودا او يعلق في اخرة الرحل قوله يرسف في قيوده بضم السين وكسرها القياز و
هو مشي المقيد قوله فاجزه لي قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاي فهو من الاجازة اي اجعله
جائزا غير ممنوع ولا محجور او الطلقه لي وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية
والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعطي الدنية في ديننا اي الخصلة
التي لا ترضى بها ولا نرضى اي لم نرض بالادون والاقل في ديننا قوله واستمسك بغرزه
لتكون النافة كالركاب للسرج الغرز والمعنى فاستمسك به ولا تفارقه كما لا
تفارق رجل الراكب غرز رجله فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله وبالامه هي
كلمة تقال للواقع فيما يكره وتبعجب منها ايضا ومسعر حرب اي موقدها يقال سعرت
النار واستعرتها اذا اوقدتها والمسعر الخشب الذي يوقع به النار وسيف البحر بكسر
السين جانبه وساحله والله اعلم واما تفسير الاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني
كفار مكة وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام اي ان تطوفوا به والهدي اي وصدوا الهدي
وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا
اي محبوسا ان يبلغ محله اي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم ولولا رجال مومنون ونساء مو
منات يعني المستضعفين بمكة لم تعلموهم اي لم تعرفوهم ان تطئوهم اي بالقتل وتوقعوا
بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم وقيل غرم الدية وقيل هو ان المشركين
يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرة يقول لولا ان تطئوا رجالا مومنين ونساء
مومنات لا تعلمونهم فيلزمكم به كفارة او تسبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم
في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب ليدخل الله في رحمته اي في دين
الاسلام من يشاء اي من اهل مكة بعد الصلح وقيل دخولها لو تزيلوا اي تميزوا يعني المومنين
من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما يعني بالسبي والقتل بايديكم
وقيل يعني فاجوا بالكلام في حيزه لما احدهما لولا رجال مومنون والثاني لو تزيلوا ثم
قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المومنين والمومنات في رحمته اي في جنته قال قتادة
في الاية ان الله تعالى يدفع بالمومنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المومنين
عن مشركي مكة قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية اي الانف
والغضب وذلك

فقد حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدي ولم يقروا
ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال اهل مكة قد
قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا
واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين اي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا
الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس واكثر المفسرين كلمة التقوى هي
لا اله الا الله وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم والزمهم كلمة التقوى قال لا اله
الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى هي لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني
هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا احق بها
اي من كفار مكة واهلها اي كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه ولصحبة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل شيء عليما يعني من امر الكفار وما
يستحقونه من العقوبة وامر المومنين وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه
امنين ويحلقون ويقصرون فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو مكة
عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين رؤياه التي راى فانزل
الله هذه الاية فدخلوا في العام المقبل وروي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا
الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا اذا الناس يهزون الاباعر
فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا
النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا انا فتحنا
لك فتحا مبينا فقال عمر اوفتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وقيل
ان المراد من الفتح صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله عز وجل لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق اخبر ان الرؤيا التي اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه
المسجد الحرام صدق وبالحق الذي رواه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما فان الحق من اسماء
الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وقيل انه حكاية
من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عز وجل عن رسوله صلى الله
عليه وسلم انه قال ذلك لتدخلن ان شاء الله امنين قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده
الادب وتاكيدا لقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ
مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون
الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى
وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم
وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا شك في الموت محلقين رؤوسكم ومقصرين اي كلها ومقصرين
اي تاخذون بعض شعوركم لا تخافون اي من عدو ان ترجعوا منكم لان قوله امنين اي في حال
الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد اكمال الاحرام في حال الرجوع

وعلم ما لم تعلموا يعني علم أن الصلاح كان في الصلح وانه خير العاقبة وكان ذلك سببا لوطء المومنين
والمومنات وقيل علم أن دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم فجعل من دون ذلك يعني في السنة
الأولى فتحا قريبا يعني فتح خيبر أي من قبل دخولكم الحرم فتح خيبر
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يعني على الحديبية قال أهل العلم الأكثر
يعني الهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ... فتح البلاد عليه وانتشر ذلك إلى
... وكفى بالله شهيدا ... الناس في جميع الأقطار فيكون ذلك سببا
بالهدى ودين الحق وفيه بيان ... الفتح ... مكة وقوله تعالى ليظهره على الدين كله
أي ليعليه ويقويه على الأديان كلها فتصير الأديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا
أي بأنه رسول الله وفيه تسلية لقلوب المومنين ... ان اخذوا من قول الكفار لو نعلم انه
رسول الله ما صددناك عن البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا أي بأنه رسول الله ثم قال تعالى
محمد رسول الله أي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد
له بالرسالة ثم ابتدأ فقال تعالى والذين معه يعني أصحاب المومنين أشداء على الكفار أي غلاظ
أقوياء كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيه رأفة رحماء بينهم أي متعاطفون متوادون
بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال في حقهم أذلة على المومنين أعزة على الكافرين تراهم
ركعا سجدا أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا أي أن يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو أن ... يطلبون فضلا
من الله والمرائي بعمله لا ينبغي له أجر وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني أبا بكر
أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا
علي بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين سيماهم
أي علامتهم في وجوههم من أثر السجود واختلفوا في هذه السيماء على قولين أحدهما
أن المراد به في يوم القيامة قيل هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم
سجدوا لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس وقيل يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر
ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني أن ذلك في
الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت
الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الإسلام وسجيته
وسمته وخشوعه والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به
وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل بالصلاة ويعرف ذلك من رجلين أحدهما صاحب الليل
بالصلاة والعبادة والآخر في اللهو واللعب فإذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر على وجه
المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وخيال وقيل هو أثر التراب على الجبهة لأنهم
كانوا يصلون على التراب على الأثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على
الصلوات الخمس ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه أي أفراخه قيل هو نبات يخرج بجانب الأصل فهو شطؤه فآزره أي قواه وأعانه وشد أزره فاستغلظ
أي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى أي تم وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع
ساق أي على أصوله يعجب الزراع أي يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا مثل ضربه الله عز وجل
لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون ويقوون

مثل أصحاب محمد

من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه
والمومنون وقيل كزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ
عثمان فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب يعجب الزراع يعني جميع المومنين ليغيظ بهم الكفار
وقيل هو قول عمر بن الخطاب لأهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل فتح وكثر
ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

فصل في فضل أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم عن عائشة رضي الله عنها قالت سأل رجل
النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير
الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعي التابعين والقرن أهل كل زمان وقيل
هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان في الجنة وعلي
بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمان بن عوف في الجنة
وسعد بن أبي وقاص في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه الترمذي وأخرجه
عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من حديث الأول عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في الله عمر وأشدهم حياء
عثمان وأقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم
أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء
أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم
أخرجه الترمذي مفرقا في موضعين أحدهما إلى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر إلى آخره
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان عن
ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي
أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وعن عمرو بن العاصي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثه في جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك قال عائشة
فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة
وصاحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق
وما له من صديق رحم الله عثمان تستحييه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق
معه حيث دار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مومن ولا يبغضني إلا منافق
عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت
من أصحابي بأرض إلا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب

وقال وقد روي عن جبير بن نفير مرسلا وهو اصح وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ
مد احدهم ولا نصيفه وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه اخرجه مسلم عن عبد الرحمن بن مغفل المزني
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله الذين من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطء
الذي اخرجه الزرع وهم الذين دخلوا في الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء
لا على لفظه ولذلك لم يقل منه مغفرة واجرا عظيما يعني الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان
لكل مومن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحجرات

وهي ثمانية عشر اية وثلاثمائة واربعون كلمة والف واربعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا
تقدموا بين يدي الله ورسوله من التقديم اي لا ينبغي لكم ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا
لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم
والانقياد له ... والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم او يفعل وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الاية فروي عن جابر
رضي الله عنه انه في الذبح يوم الاضحى اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وعن البراء بن عازب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن
فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء
زاد الترمذي في اوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروي عن
عائشة انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل نبيكم وعن عمار بن ياسر قال من
صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى ابا القاسم صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب هذه الاية ما روي عن عبد الله بن الزبير
رضي الله عنه انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع
بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت
خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى
يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت الاية في ناس كانوا يقولون لو انزل في كذا وكذا وضع
كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الاية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء
حتى يقضيه الله تعالى على لسانه وقيل يعني في القتال وشرائع الدين اي لا تقطعوا امرا دون الله ورسوله
واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع لاقوالكم عليم اي بافعالكم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على

كلام النبي

النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وقوله
ولا تجهروا له بالقول نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض امرهم ان يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي
بعضهم بعضا فيقولوا يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله ان تحبط اعمالكم اي لكيلا تحبط
وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم وانتم لا تشعرون اي بذلك عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال
النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت ايشتكي فقال سعد
انه لجاري وما علمت له بشكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ثابت
انزلت هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ
مسلم وللبخاري نحوه وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم
بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت
على النبي صلى الله عليه وسلم اخاف ان يحبط عملي وانا اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكاء فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول
فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني
الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
خبره فقال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده
في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت
واتخوف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا
وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال
انس فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار
وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل
اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد
ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين
فنزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع
على الدرع برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد الدرع فوجد الدرع والبر
مة واخبره فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته
قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة
وابن عباس لما نزلت هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي
السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين

يغضون اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله اجلالا له وتعظيما اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه لهم مغفرة
واجرا عظيما قوله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال ابن عباس رضي الله عنه بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما
علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قائلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم يبكون وكان لكل امراة من نساء
رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فجعلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا
ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا رسول الله فادنا عيالنا
فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم
قالوا نعم فقال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور
ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى
نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك
الامر ومن لم يرجع فيستثنى من جاء بالله وهم الاكثرون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاء به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج لكان
خيرا لهم اي الصبر لانك كنت تعتق جميعهم وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب
في طاعة الله وطاعة رسوله خيرا لهم وقيل نزلت الاية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم
الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر
فقالوا يا محمد اخرج الينا فان مدحنا زين وان ذمنا شين فخرج
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن ناس من
تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما
بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا فقام شاب فذكر فضله وفضل قومه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان
بن ثابت اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا
وتكلم شاعرنا وكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرهم فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه و
سلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف
في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم
فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية الى قوله والله غفور رحيم اي لمن
تاب منهم وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا
بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جانبه فجاءوا فجعلوا

به فانزل الله فيهم الاية قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق
بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما
لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم وبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي
اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه
منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه
وقال انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل
فيهم ما تستعمل في الكفار فوصل خالد اليهم فسمع منهم اذان المغرب والعشاء
فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة
وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهذا اولى من حمل الاية على رجل
بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطا فعلى هذا يكون
معنى الاية ان جاءكم فاسق بنبا اي بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا اي فتوقفوا واطلبوا بيان الامر
وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق ان تصيبوا اي كي لا تصيبوا بالقتل والسبي
قوما بجهالة اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم فتصبحوا على ما فعلتم اي من اصابتكم
بالخطا نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله اي فاتقوا الله ان تقولوا باطلا وتكذبوه فان الله يخبره
ويعرفه حالكم فتفتضحوا لو يطيعكم اي الرسول في كثير من الامر اي مما تخبرونه فيحكم برايكم
لعنتم اي لاثمتم وهلكتم ... سعيد الخدري رضي الله عنه انه قرا واعلموا ان فيكم
رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو
اطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح غريب ولكن الله حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم وزينه اي حسنه
وقربه منكم وادخله في قلوبكم حتى اخترتموه لان من احب شيئا اذا طال عليه ...
منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا ولذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان يعني جميع معاصي الله تعالى وفي هذا التحبيب والتكريه
تعالى ذكر هذه الثلاثة اشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه ولا
يتم الايمان الكامل الا باجتماع ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان
وقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق
بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المومن الكذب
وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهي لا اله الا الله والعصيان جعله
في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى
اولئك هم الراشدون اشارة الى المومنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم اولئك

هم المهتدون إلى محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق فضلا من الله أي جعل ذلك بهم فضلا
ونعمة عليكم والله عليم أي بكم وبما في قلوبكم حكيم في أمره بما تقتضيه الحكمة
وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحا
جة إليه على وفق الحكمة قوله عز وجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعن أنس رضي
الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم
وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم
قال إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه
وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما
أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها نزلت فيهم وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ويروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه إكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة
بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى
مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي وإذا في المجلس
أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة
فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال لا
تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم
القرآن فقال عبد الله بن أبي بن سلول أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا
به في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول
الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا
يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله
عليه وسلم دابته وذكر الحديث وقال قتادة نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما
مماراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وإن
الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتبعه فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعوا
وتناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الأنصار يقال
لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها إلى علية وحبسها فيها فبلغ
ذلك قومها فجاؤوا وجاء قومه فاقتتلوا بالأيدي والنعال فأنزل الله عز وجل وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا قيل المراد من الطائفتين الأوس والخزرج فأصلحوا بينهما أي بالدعاء إلى الله عز وجل
حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما فإن بغت أي تعدت إحداهما على الأخرى وأبت
الإجابة إلى حكم كتاب الله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء أي ترجع إلى أمر الله أي إلى كتابه الذي جعله حكما
بين خلقه وقيل ترجع إلى طاعته في الصلح الذي أمر به فإن فاءت أي رجعت إلى الحق فأصلحوا
بينهما بالعدل أي الذي يحملهما على الإنصاف والرضى بحكم الله وأقسطوا أي اعدلوا إن الله يحب
المقسطين أي العادلين إنما المؤمنون إخوة أي في الدين والولاية وذلك لأن الإيمان قد
عقد بين أهله من النسب والقرابة كعقد النسب الملاصق وإن ينبغي ما بين الإخوة من النسب
والإسلام لذلك كالأب قال بعضهم: أبي الإسلام لا أب لي سواه: إذا افتخروا بقيس أو تميم: فأصلحوا

فأصلحوا بين أخويكم

بين أخويكم أي إذا اختلفا واقتتلا واتقوا الله ولا تعصوه ولا تخالفوا أمره لعلكم ترحمون
عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا
يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله
بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة **فصل**
في حكم قتال البغاة قال العلماء في هذه الآية دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان لأن
الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وهو القدوة في قتال أهل البغي وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون
هم فقال لا إنهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا إن المنافقين لا يذكرون
الله إلا قليلا فقيل فما حالهم قال إخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الإمام
العدل فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل
محتمل ونصبوا لهم إماما فالحكم فيهم أن يبعث إليهم الإمام ويدعوهم إلى طاعته فإن
أظهروا مظلمة أزالها عنهم وإن لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغي قاتلهم الإمام حتى
يفيئوا إلى طاعته ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم
نادى منادي علي يوم الجمل ألا لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريح قوله
ولا يذفف هو بالذال المعجمة وهو الإجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه وأتي علي
يوم صفين بأسير فقال لا أقتلك صبرا إني أخاف الله رب العالمين وما أتلفت إحدى الطائفتين
على الأخرى في حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب
كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال
ثم صار الناس إلى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم بينهم فما علمته اقتص من أحد
ولا أغرم مالا أتلفه ثم لم يجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة
لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا إماما فلا يتعرض لهم إن لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين
وإن قاتلوا فهم قطاع الطريق في الحكم **وروي** أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد
لا حكم إلا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله أن
تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدأكم بقتال قوله
عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية نزلت في ثلاثة أسباب السبب الأول
عسى أن يكونوا خيرا منهم **قال ابن عباس** نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان في
أذنه وقر فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى
يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر
فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد
يوسع أحد لأحد وكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من
الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا فجعلوا يتفسحون له
حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا
فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال
من هذا قال أنا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس

الرجل لا امه واستحيى فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزئون بفقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما راوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستتر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله هو خير منه وهو قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم

السبب الثاني قوله تعالى ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي ولا يستهزئ نساء من نساء روي عن انس رضي الله عنه انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس قال بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك فقالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وان عمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب

السبب الثالث قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب عن ابي جبيرة بن الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الاية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اخرجه ابو داود وللترمذي قال كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث حسن ومعنى الاية قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعيب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض والمراد بالانفس الاخوان هاهنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم واذا عاب عايب لاحد بعيب فكانما عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لغيره على عيبه فكانه هو العايب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به قال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير قال العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به او يفيد ذما فاما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك فلا باس به اذا لم يكرهه المدعو به واما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الاسم ان تقول له يا يهودي يا نصراني بعدما اسلم او يا فاسق بعدما تاب وقيل معناه ان من فعل ما نهي عنه من السخرية والهمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ومن لم

يتب

اي من لم يتب من ذلك فاولئك هم الظالمون اي الضارون لانفسهم بمعصيتهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام وادام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تاكلون لحم سلمان واسامة فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني بان يظن باهل الخير سوءا لان الله نهى المومن ان يظن باخيه المومن شرا وقيل هو ان يسمع من اخيه المومن كلاما لا يريد به سوءا او يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه اخوه المومن فيظن به سوءا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الرائي مخطئا فاما اهل السوء والفسق المجاهرين به فلنا ان نظن بهم مثل الذي يظهر منهم ان بعض الظن اثم قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب ومامور به وهو حسن الظن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو حسن الظن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عز وجل عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم على ما ستره الله منها عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث القوم وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار قوله ولا تنافسوا اي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا اي

فهو يجوز سوء الظن بالفاسق

ولا تحسسوا

ابو يعلى علو احد منكم اخاه ببره وفجاه فيعرف عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء ناخذ به اخرجه ابو داود وله عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راى عورة فسترها كان كمن احيا موؤودة م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا يعني لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه ابو داود وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قيل تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتالم جسمه اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس لم يحسن منه قرض اعراضهم بالطريق الاولى وقوله لحم اخيه اكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ في الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم اخرجه ابو داود قال ميمون بن سياه بينما انا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل قلت يا عبد الله ولم اكل قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده احدا وقوله تعالى واتقوا الله في امر الغيبة واجتناب نواهيه ان الله تواب رحيم قوله عز وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم يتفسح يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية

وقيل

صح

وقيل لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر به رب السماء فنزل جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني آدم وحواء والمعنى انكم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعضكم على بعض لكونكم ابناء رجل واحد وامراة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموجود من اب وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا جمع شعب بفتح الشين وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم وقبائل جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدها فخذ وهم كبني هاشم وبني امية من لؤي ودون الافخاذ الفصائل واحدها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من بني هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدها عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف وقيل الشعوب من العجم والقبائل من العرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر وابطال التفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل اكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم المحجن عصا معوجة الراس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها ان الله عليم اي بظواهركم يعلم انسابكم خبير اي ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل الغني هو العالم بالله ...

الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر والفضايل ولا يغتر وتدبر مرجعه انتقى ان يرتكب منهيا الا بإذن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال ان يغفل عن السهلة وغره طول الامل فليس بمتقي لان المتقي يأتي بما امر به ويترك ما نهي عنه وهو معنى في الخاشع لله خايف منه لا يشتغل بغير الله فان النعمة الى نفسه واهله وولده يجعل في ذلك خائفا واستغفر منه ربه ويحب له توبة فجعلنا الله واياكم من المتقين. قوله عز وجل **قالت الاعراب امنا** الاية نزلت في بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة فاظهروا الشهادتين ولم يكونوا مومنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب امنا اي صدقنا **قل لم تومنوا** اي لم تصدقوا بقلوبكم **ولكن قولوا اسلمنا** اي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي **ولما يدخل الايمان في قلوبكم** اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص

وعن سعد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فيهم فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم رجلا هو اعجبهم الي فقلت ما لك عن فلان والله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك فقال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدي. اعلم ان الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله عز وجل لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين. **فان قلت** المومن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف يصح ذلك مع هذا القول. **قلت** بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فكذلك المومن والمسلم. قوله تعالى **وان تطيعوا الله ورسوله** اي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا الايمان **لا يلتكم** اي لا ينقصكم **من اعمالكم شيئا** اي من ثواب اعمالكم **ان الله غفور رحيم** ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى **انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** اي لم يشكوا في دينهم **وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون** اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب

رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحلفون

يحلفون بالله انهم مومنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله تعالى **قل اتعلمون الله بدينكم** اي تخبرون الله بدينكم الذي انتم عليه **والله يعلم ما في السماوات وما في الارض** اي لا يخفى عليه خافية **والله بكل شيء عليم** اي لا يحتاج الى اخباركم **يمنون عليك ان اسلموا** اي هو قولهم اسلمنا ولم نقاتلك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان الاسلام لم يكن لهم خالصا **بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان** اي لله المنة عليكم ان ارشدكم وامدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم **ان كنتم صادقين** اي انكم مومنين **ان الله يعلم غيب السماوات والارض** اي انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في السماوات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم **والله بصير بما تعملون** اي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى اعلم بسرائره واسرار كتابه

تفسير سورة ق وهي مكية

وهي خمس واربعون اية وثلاث مائة وخمس وسبعون كلمة والف واربعمائة واربعة وتسعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **ق** قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة عليه كنفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى وقيل هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة **والقرآن المجيد** اي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى **بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم** انكار للتعجب مما ليس بعجب وهو ان خوفهم رجل منهم قد عرفوا وثاقته وامانته وصدقه **فقال الكافرون هذا شيء عجيب** اي عجب غريب **ائذا متنا وكنا ترابا** اي حين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه **ذلك رجع بعيد** اي يبعد ان نبعث بعد الموت قال الله تعالى **قد علمنا ما تنقص الارض منهم** اي ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شيء **وعندنا** اي مع علمنا بذلك **كتاب حفيظ** بمعنى محفوظ من الشياطين ومن التغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ اي حافظ لعدتهم واسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه ما يكون **بل كذبوا بالحق لما جاءهم** قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل معناه كذبوا المنذر لما جاءهم **فهم في امر مريج** اي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاطه قولهم هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون مرة ساحر ومرة رجز ومرة مفتر وكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى **افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها** اي بغير عمد **وزيناها** اي بالكواكب **وما لها من فروج** اي شقوق وصدوع **والارض مددناها** اي بسطناها على وجه الماء **والقينا فيها رواسي** اي جبالا ثوابت **وانبتنا فيها من كل زوج بهيج** اي من كل لون حسن كريم

ينتفع بها اي ينتفع به تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اي تذكيرا لكل عبد منيب اي راجع
الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير الخير
والبركة فيه حياة لكل شيء وهو المطر فانبتنا به اي بذلك الماء جنات اي بساتين وحب
الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات
لها طلع اي ثمر يطلع ويظهر فيسمى طلعا قبل ان ينشق نضيد اي متراكب بعضه على بعض
في اكمامه فاذا انشق وخرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا للعباد اي جعلنا ذلك رزقا للعباد
واحيينا به اي بالمطر بلدة ميتا فانبتنا فيها الكلا والعشب كذلك الخروج اي من القبور
احياء بعد الموت قوله كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون
واخوان لوط واصحاب الايكة قيل كان لوطا مرسلا الى طايفة من قوم ابراهيم ولذلك
قال واخوان لوط وقوم تبع وهو ابو كرب اسعد بن مليكرب الحميري وفيه تعظيم
فحصر جميعهم قيل ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون ولانه هو المكذب المستبدي
لقومه فلهذا اختص بالذكر دونهم كل كذب الرسل فحق وعيد اي كل هولاء المذكورين
كذبوا رسلهم فحق وعيد اي وجب عليهم عذابي وقيل فحق وعيدي للرسل
بالنصر افعيينا بالخلق الاول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين
خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق وانكروا البعث بل هم في
لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه اي تحدث قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمه اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري
بين الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين والمعنى ان اجزاء الانسان وابعاضه
تحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيء وقيل يحتمل ان يكون المعنى نحن اقرب
اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى
الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه عن اليمين وعن الشمال
يعني ان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال
يكتب السيئات قعيد اي قاعد ولان كل واحد منهما قاعد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر
وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام فيخرج من فيه الا لديه
رقيب اي حافظ عتيد اي حاضر اينما كان قيل وقت الغائط وعند الجماع فانهما يتباعدان
عنه ولا يجوز للانسان ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملكين بدنوهما منه
وهو على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به فيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى انينه
في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له فيه اجر وثواب وما عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت
الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف عنفقته روى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات
فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة الموت اي غمرته
وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق اي بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الاخرة

حزبا حتى تبين الانسان ...

ريبون بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك ما كنت
منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب
وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي ذلك اليوم الذي
وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه وجاءت كل نفس معها سائق اي في ذلك اليوم اي يسوقها
الى المحشر وشهيد اي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة
والشهيد من انفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس لقد كنت
في غفلة من هذا اي من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك اي الذي كان على قلبك
وسمعك وبصرك في الدنيا فبصرك اليوم حديد اي قوي نافذ تبصر به ما كنت تنكر
في الدنيا وقيل قربنا كل محجوب عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك وقال قرينه يعني
الملك الموكل به هذا ما لدي اي الذي عندي عتيد اي معد حاضر وقيل الملك هو الذي وكلتني
به من بني آدم قد احضرته واحضرت ديوان عمله القيا في جهنم اي يقول الله تعالى لقرينيه
وقيل هو من السائق والشهيد كل كفار اي شديد الكفر عنيد اي عاص معرض عن الحق
عاند الله تعالى فيما امره به مناع للخير اي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله
معتد اي ظالم لا يقر بتوحيد الله مريب اي شاك في التوحيد الذي جعل مع الله الها
آخر فالقياه في العذاب الشديد يعني النار قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض
لهذا الكافر ربنا ما اطغيته قيل هو جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار
يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته اي ما اضللته وما اغويته ولكن
كان في ضلال بعيد عن الحق فيتبرا منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك
قيل يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي ما زدت
عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عليه الى الحق
فيقول الله عز وجل لا تختصموا لدي اي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هم خصماؤهم
مع قرنائهم وقد قدمت اليكم بالوعيد اي بالقران وانذرتكم على السنة الرسل
وحذرتكم عذابي في الاخرة لمن كفر اي لا ابدل الوعيد وهو قوله لاملان
جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه ما يكذب عندي
ولا يبدل القول عن وجهه لاني علام الغيوب اعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى لانه قال
قوله ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي وما انا بظلام للعبيد اي فاعاقبهم
بغير جرم وقيل معناه فازيد على احد سيئة او انقص من احسان المحسن قوله عز وجل
يوم نقول لجهنم هل امتلات بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملاها من الجنة والناس
وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده وتقول يعني جهنم هل
من مزيد يعني تقول قد امتلات ولم يبق في موضع لم يملا فهو استفهام انكار وقيل
هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل
امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب
فيها ولا يملاها شيء فتقول الست قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها فيقول
قد امتلات فتقول قط قط قد امتلات فليس في من مزيد وعن انس بن مالك رضي

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة
وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا
يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم الجنة ولأبي هريرة نحوه زاد ولا يظلم الله
من خلقه أحدا **فصل** هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات
وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من
المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ولها
معنى يليق بها وظاهرها غير مراد **والمذهب الثاني** وهو جمهور المتكلمين أنها
تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المتقدم وهو
سائغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به
قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم وقيل إن في المخلوقات
من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها **قال العلماء** عند من ظاهر التأويل أنهم استحقوها
وخلقوا لها **قال المتكلمون** ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة
الجارحة على الله تعالى والله أعلم **قوله** قط قط أي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها
ثلاث لغات إسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة **وقوله** ولا يظلم الله من خلقه أحدا
يعني أنه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذب بذنب أو بغير ذنب فقد علم منه سبحانه
وتعالى **قوله عز وجل وأزلفت الجنة للمتقين** أي قربت وأدنيت للمتقين الذين اتقوا الشرك
غير بعيد يعني أنها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل أن يدخلوها **هذا**
ما توعدون أي يقال لهم هذا الذي وعدتم على ألسنة الأنبياء **لكل أواب** أي رجاع عن المعصية
(في الهامش: ثم يذنب ثم إلى الطاعة يتوب)
قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء
فيستغفر منها وقيل هو التواب **وقال** ابن عباس هو المسبح وقيل هو المطيع **حفيظ** **قال**
ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل
حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو الحافظ على نفسه المتعهد لها بالمراقبة
وقيل هو المحافظ على الطاعات والأوامر **من خشي الرحمن بالغيب** أي خاف الرحمن
فأطاعه وإن لم يره وقيل خافه في الخلوة حيث لا يراه أحد إذا أرخى الستر وأغلق
الباب **وجاء بقلب منيب** أي مخلص مقبل على طاعة الله **ادخلوها** أي يقال لأهل
هذه الصفة ادخلوا الجنة **بسلام** أي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من
الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم **ذلك يوم الخلود** أي في الجنة لأنه لا موت
فيها **لهم ما يشاءون فيها** وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون
ما سألوا ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه مما لم يخطر على قلب بشر وهو قوله تعالى
ولدينا مزيد وقيل المزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم وقيل يتجلى لهم الرب تبارك
وتعالى كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد **قوله عز وجل وكم أهلكنا**
قبلهم أي من قبل كفار مكة **من قرن هم أشد منهم بطشا** يعني سطوة والبطشة
الأخذ بصولة وعنف **فنقبوا في البلاد** أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق
(في الهامش: صولة)
هل من محيص أي فلم يجدوا محيصا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل
يموتون فيصيرون إلى عذاب الله وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم.

إن في ذلك

إن في ذلك **لذكرى** أي فيما ذكر من إهلاك القرى تذكرة وموعظة **لمن كان له قلب** **قال** ابن
عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله تعالى واع عن الله عز وجل **أو ألقى السمع** أي استمع
القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره **وهو شهيد** أي حاضر القلب
ليس بغافل ولا ساه **قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة**
أيام وما مسنا من لغوب أي إعياء وتعب **قال** المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا
خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها يوم الجمعة
ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى هذه
الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت فقوله تعالى وما مسنا
من لغوب **قال** فخر الدين الرازي في تفسيره الظاهر أن المراد الرد على المشرك والاستدلال
بخلق السموات والأرض وما بينهما **وقوله** وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق
الأول الآية وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إما تحريف منهم أو لم يعلموا
تأويله وذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات
ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان متحققا قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق
الأجسام أجسام لأن اليوم عبارة عن زمان مسير الشمس من الطلوع إلى الغروب وقبل خلق
السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر
به عن مدة الزمان أي مدة كانت **قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون** من الصبر على ما
يقولون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم
فإن الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الأمر بقتالهم **وسبح بحمد ربك** أي صل بحمد الله
عز وجل **قبل طلوع الشمس** يعني صلاة الصبح **وقبل الغروب** يعني صلاة العصر و
قال ابن عباس يعني صلاة الظهر والعصر **ومن الليل فسبحه** يعني صلاة المغرب والعشاء
وقيل يعني صلاة الليل وقت صلى **وأدبار السجود** **قال** عمر بن الخطاب وعلي بن أبي
طالب وغيرهما أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وإدبار النجوم الركعتان قبل
صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا **ق** عن عائشة رضي الله عنها قالت
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر **م** عنها أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر **عن**
ابن مسعود رضي الله عنه قال الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذي وقال حديث
غريب **وقيل** في قوله وأدبار السجود التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات
خ عن ابن عباس قال أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها يعني في قوله وأدبار السجود **م** عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا
وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعين
ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر **خ** أن فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات والنعيم المقيم فقال
وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم
وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء

منزجا بعضكم ولا يأتي احد بمثل ما جيتم به
تسبحون الله في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا او تكبرون عشرا قوله تعلى واستمع يوم يناد المناد يعني استمع يا محمد حديث
يوم يناد المناد وقيل معناه انتظر صيحة يوم القيامة والنشور قال المفسرون
المناد هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول ايتها العظام
البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وهو قوله تعلى من مكان قريب قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى
السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هو وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بالحق اي
الصيحة الاخرة ذلك يوم الخروج اي من القبور انا نحن نحيي اي في الدنيا ونميت يعني
عند انقضاء الاجل والينا المصير اي في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث
والينا المصير بعد البعث يوم تشقق الارض عنهم سراعا اي يخرجون سراعا الى
المحشر وهو قوله تعلى ذلك حشر علينا يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون يعني
كفار مكة في تكذيبك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت
مذكرا وذلك قبل ان يومر بقتالهم فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما اوعدت
من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران
من يخاف وعيد اي عظ بالقران من يخاف وعيدي والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الذاريات وهي مكية

وهي ستون اية وثلاث مائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا يعني الرياح التي تذرو التراب
فالحاملات وقرا يعني السحاب تحمل الماء فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا فالمقسمات امرا يعني
الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي
الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صا
حب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح
لانها تنشئ السحاب وتنشره ثم تحمله وتنقله ثم تجري به سهلا ثم تقسم الامطار
بتصريف السحاب اقسم الله عز وجل بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الد
لالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى اقسم الله بالذاريات وبهذه الاشياء
وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعلى
انما توعدون اي من الثواب والعقاب في يوم القيامة لصادق اي لحق وان الدين اي
الحساب والجزاء لواقع اي لكائن ثم ابتدا قسما اخر فقال تعلى والسماء ذات الحبك
قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة اي حبكت بالنجوم وقيل
ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك
الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله انكم يعني يا اهل
مكة لفي قول مختلف يعني في القران وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القران سحر
وكهانة واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر مجنون وقيل لفي
قول مختلف اي مصدق ومكذب يوفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان به من صرف
حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وقيل انهم
كانوا يتلقون الرجل

الرجل اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون
فيصرفونه عن الايمان به قتل الخراصون اي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب
مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة
الذين هم في غمرة اي في غفلة وعمى وجهالة ساهون اي لاهون غافلون عن امر الاخرة
والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه يسالون ايان يوم الدين اي فيقولون
يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعلى يوم هم اي يكون
هذا الجزاء في يوم هم على النار يفتنون اي يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة
النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون اي في الدنيا تكذ
يبا به قوله تعلى ان المتقين في جنات وعيون يعني في خلال الجنة عيون جارية اخذين
ما اتاهم اي اعطاهم ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم
الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف احسانهم في الدنيا فقال تعلى كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس
كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من اولها او اوسطها وعن انس بن مالك
في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابو
داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجعوها او
وقف بعضهم على قوله كانوا قليلا اي من الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون اي لا ينامون من
الليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة وبالاسحار هم يستغفرون اي اذا مدوا
عبادتهم الى وقت السحر ثم اخذوا في الاستغفار وقيل يستغفرون من تقصيرهم في
العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل
معناه يصلون في الاسحار لطلب المغفرة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب
له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي رواية لمسلم فيقول انا الملك انا الملك وذكر
الحديث وفيه حتى يضيء الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

فصل

هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران احدهما وهو مذهب
السلف وعامتهم انه يمر كما جاء من غير تاويل ولا تعطيل ونكل العلم فيه الى الله تعلى
مع الايمان به وتنزيه الرب جل جلاله عن صفات الاجسام والمذهب الثاني وهو قول
جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعلى منزه
عن ذلك فمعنى هذا ان يكون نزول الرحمة والالطاف من الله وقربها من عباده ولا
اقبال على الداعين بالاجابة والالطاف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لانه وقت
التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عنه وعن التعرض لنفحات الله جل جلاله وفي ذلك
الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله متوفرة فهو مظنة القبول والاجابة والله اعلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم
لك الحمد انت قيم السماوات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السماوات والارض ومن
فيهن ولك الحمد انت ملك السماوات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقا
ؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق

اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت
فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد في رواية وما انت اعلم به مني
انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت او لا اله غيرك
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار
من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا
استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يعني تعار الرجل من نومه اذا
انتبه وله صوت قوله عز وجل وفي اموالهم حق اي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما
ويقرون به ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة
المعروضة للسائل اي الذي يسأل الناس ويطلب منهم والمحروم قيل هو الذي ليس له في
الغنائم سهم ومعناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل
وقيل هو صاحب الجائحة الذي اصيب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وقيل هو المحارف
المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب والاظهر من الاقوال انه المتعفف
لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن
له متيقظ وفي الارض آيات اي عبر من الجبال والبحار والاشجار والثمار وانواع النبات للموقنين
اي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنعته وفي انفسكم آيات اذ كنتم نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى ان ينفخ فيه الروح وقال ابن عباس يريد اختلاف الالسنة
والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد
ويخرج من سبيلين وقيل تقويم الادوات والسمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب
التي في ابن آدم افلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث وفي
السماء رزقكم قال ابن عباس هو المطر الذي هو سبب الارزاق وما توعدون يعني من الثواب والعقاب
وقيل من الخير والشر وقيل من الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال
فورب السماء والارض انه لحق اي ما ذكر من امر الرزق وغيره مثل ما انكم تنطقون اي بلا اله
الا الله وقيل شبه تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق الآدمي ومعناه انه لحق
كما انكم تتكلمون وقيل معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه
كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان
يأكل رزقه بنفسه الذي قسم له لا يقدر ان يأكل رزق غيره قوله تعالى هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم يعني هل اتاك يا محمد حديث الذين جاءوا ابراهيم بالبشرى فانا
نقصه عليك وفيه تفخيم لشأنهم وقصتهم في سورة هود المكرمين قيل سماهم
مكرمين قيل لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم
وهو اكرم الخلق على الله عز وجل [illegible] وضيف الكريم مكرمون وقيل ان ابراهيم عليه السلام
اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس
سماهم مكرمين لانهم جاءوا غير مدعوين وعن ابي شريح العدوي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون اي غرباء لا نعرفهم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم

وقيل لانهم

وقيل لانهم انكروا امرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقيل انكر اسلامهم في ذلك
الزمان وفي تلك الارض فراغ اي عدل ومال فجاء بعجل سمين اي جيدا وكان حنيذا وقيل
كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل فقربه اليهم وهذا من ادب الضيف ان يقدم الطعام
الى الضيف ولا يحوجهم الى السعي اليه فلما لم يأكلوا قال الا تأكلون يعني انه حثهم على الا
كل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يأمرهم فأوجس منهم خيفة اي خاف منهم لانهم
لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وقيل عليم
اي نبي فاقبلت امراته قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو
كقول القائل اقبل يفعل كذا وكذا اي اخذ فيه في صرة اي صيحة والمعنى انها اخذت
تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيئا فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت
وجهها وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء ايضا
اذا انكرن شيئا وقالت عجوز عقيم معناه اتلد عجوز عقيم وذلك انها لم تلد
قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك اي كما قلنا لك قال ربك فستلدين غلاما انه هو الحكيم
العليم ثم ان ابراهيم عليه السلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة قال فما خطبكم
اي فما شأنكم وما طلبتكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني
قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين قيل هو الآجر مسومة اي معلمة قيل على كل
حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا عند
ربك للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها
فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين اي في قرى قوم لوط فما وجدنا فيها غير بيت اي
اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا
لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه
فاذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما وتركنا فيها اي في مدينة
قوم لوط آية اي عبرة للذين يخافون العذاب الاليم والمعنى تركنا فيه علامة للخائفين
تدلهم على ان الله تعالى مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل وفي موسى وتركنا
في ارسال موسى آية وعبرة اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة فتولى اي
اعرض عن الايمان بركنه اي بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوون بهم وقال ساحر او مجنون
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فاغرقناهم في البحر وهو مليم اي اتى بما يلام عليه من
دعوى الربوبية وتكذيب الرسل وفي عاد اي وفي اهلاك عاد ايضا آية وعبرة اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم يعني التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر
من شيء اتت عليه اي من انفسهم وانعامهم واموالهم الا جعلته كالرميم اي كالشيء
الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالتبن والشجر ونحوه واصله من رم العظم
اذا بلي وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم
لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم اي تكبروا عن طاعة ربهم
فاخذتهم الصاعقة اي بعد مضي ثلاثة ايام من وقت عقر الناقة وهي الموت في قول ابن
عباس وقيل الخمود العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وهم ينظرون اي يرون
ذلك العذاب عيانا فما استطاعوا من قيام اي فما اقاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا

ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين أي ممتنعين منا وقيل ما كانت لهم قوة يمتنعون بها من أمر الله وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح من قبل أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون إنهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن الطاعة قوله تعالى والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وقدرة وإنا لموسعون قيل هو من السعة أي أوسعنا السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من الهواء والفضاء بالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة قال ابن عباس معناه لقادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون في الرزق على خلقنا وقيل معناه السعة والغنى والأرض فرشناها أي بسطناها ومهدناها لكم فنعم الماهدون أي نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين أي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والإنس والذكر والأنثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض لعلكم تذكرون أي فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ففروا إلى الله أي قل يا محمد ففروا إلى الله أي واهربوا من عذابه إلى ثوابه بالإيمان والطاعة له قال ابن عباس ففروا منه إليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله إلى الله إني لكم منه نذير مبين أي مخوف مبين أي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع ولا تجعلوا مع الله إلها آخر أي وحدوه ولا تشركوا به شيئا إني لكم منه نذير مبين قيل إنما كرر قوله إني لكم منه نذير مبين عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله تعالى إلا الجامع بينهما كذلك أي كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك ما أتى الذين من قبلهم أي من قبل كفار مكة والأمم الخالية من رسول يعني يدعوهم إلى الإيمان والطاعة إلا قالوا ساحر أو مجنون قال الله تعالى أتواصوا به أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤوا عليه وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون أي لم يتواصوا بهذا القول لأنهم لم يتلاقوا في زمن واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل لهم على هذا القول فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وظن أن يتولى عنهم فأنزل الله عز وجل وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين فطابت نفسه بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فإن الذكرى تنفع من علم الله عز وجل أنه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفع المؤمنين قوله عز وجل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قيل هو خاص لأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي وهم ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدون وأدعوهم لعبادتي وقيل معناه إلا ليعرفون وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه إلا ليخضعوا لي ويتذللوا ومعنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله تعالى متذلل لمشيئته

قف على أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل

لا يملك أحد لنفسه

أحد لنفسه خروجا مما خلق له وقيل معناه إلا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده اختيارا في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء ما أريد منهم من رزق أي ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم لأني أنا الرزاق المتكفل لعبادي بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها وما أريد أن يطعمون أي أن يطعموا أحدا من خلقي وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه كما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي أخرجه مسلم ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى إن الله هو الرزاق يعني لجميع خلقه ذو القوة المتين يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة فإن للذين ظلموا أي من أهل مكة ذنوبا أي نصيبا من العذاب مثل ذنوب أصحابهم أي مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود فلا يستعجلون أي بالعذاب لأنهم أخروا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الطور وهي مكية

وهي تسع وأربعون آية وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والطور أراد به الجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة وقيل بمدين وكتاب مسطور أي مكتوب في رق يعني الأديم الذي يكتب فيه المصحف منشور أي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى عليه السلام من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والأهل وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض وفي حديث المعراج من أفراد مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه وفي رواية أخرى فانتهيت إلى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يقدسون الله ويسبحونه ولا يعودون فيه وفي أفراد البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي أن الله تعالى يجعل البحار

قف

كلها يوم القيامة نارا ويزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن البحر رجل الا غازيا او معتمرا او
حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو الباحر الذي
ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المنفلق العذب بالملح وروي عن علي انه قال في البحر
المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سماوات الى سبع ارضين فيه ماء
غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون
في قبورهم اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم
قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع يعني انه حق وكائن ونازل بالمشركين في الاخرة ما
له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في اسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد
فسمعته يقول والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي
حين سمعته ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن ان
اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى يوم تمور السماء
مورا اي تدور كدور الرحا وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجز
اؤها بعضها في بعض وتضطرب وتسير الجبال سيرا اي تزول عن اماكنها وتصير
هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الاخبار والاعلام بان لا رجوع ولا
عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما
خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني ادم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازال الله
تعالى ذلك وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة فويل اي فشدة العذاب يومئذ
للمكذبين اي يوم القيامة الذين هم في خوض اي يخوضون في الباطل يلعبون يعني غا
فلون لاهين عما يراد بهم يوم يدعون اي يدفعون الى نار جهنم دعا يعني دفعا
بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون
نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم
حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي
في الدنيا افسحر هذا وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر والى
يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها يعني
قاسوا شدتها فاصبروا او لا تصبروا اي على العذاب سواء عليكم اي الصبر
والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى
ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم اي معجبين بذلك ناعمين
ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا مامونين العاقبة من التخمة والسقم
بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الايمان والطاعة متكئين على سرر مصفوفة اي موصو
لة بعضها الى بعض وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم
بايمان يعني اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغا
ر بايمان ابائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الوالدين الحقنا بهم ذريتهم
يعني المومنين في الجنة بدرجات ابائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات ابائهم

ترحمته لا بائهم

بهم بدرجات وان لم يبلغوا باعمالهم درجات ابائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم
هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه ان معنى الاية والذين امنوا واتبعتهم ذر
يتهم يعني البالغين بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان ابا
يهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المومن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان
يجتمعوا اليه فيدخلهم الله الجنة بفضله ويلحقهم برحمته بعمل ابيهم من غير ان ينقص
الاباء من اعمالهم شيئا وذلك قوله تعالى وما التناهم من عملهم من شيء يعني وما
نقصنا الاباء من اعمالهم من شيء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع درجات المومن في درجاته وان كانوا دونه في العمل لتقر
بهم عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم الاية عن
علي قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما
لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم اخرجه
البغوي باسناد الثعلبي كل امرئ اي هالك بما كسب اي عمل من الشرك رهين اي مر
تهن بعمله في النار والمومن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة
الا اصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم من الخير والنعمة فقال تعالى وامددناهم بفاكهة
يعني زيادة على ما كان لهم ولحم مما يشتهون اي من انواع اللحمان يتنازعون اي يتعاطون
ويتناولون فيها اي في الجنة كاسا لا لغو فيها اي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخا
صم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ولا تاثيم اي لا يكون منهم ما يوثمهم ولا يجري بينهم
ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا ياثمون في شربها ويطوف
عليهم اي للخدمة غلمان لهم كانهم اي في الحسن والبياض والصفاء لولو مكنون اي مخزون
مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من احد من اهل الجنة الا يسعى
عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا
قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يعني يسال
بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف
في الدنيا قالوا انا كنا قبل في اهلنا اي في الدنيا مشفقين اي خائفين من العذاب
فمن الله علينا اي بالمغفرة ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار وقيل السموم اسم
من اسماء جهنم انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه اي نخلص له الدعاء والعبا
دة انه هو البر قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل
البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع خلقه الرحيم قوله عز وجل
فذكر اي فعظ يا محمد بالقران كفار مكة فما انت بنعمة ربك يعني برحمته و
عصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة بكاهن ولا مجنون وهو الذي يوهم
انه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار

مكة انه كاهن ومجنون انما نطقوا بالوحي نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون ام يقولون يعني هؤلاء
المقتسمين شاعر اي هو شاعر نتربص به اي ننتظر به ريب المنون يعني حوادث الد
هر وصروفه فيموت كما هلك من كان قبله من الشعراء او يتفرق عنه اصحابه وان اباه مات
وهو شاب ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون اسم للموت وللدهر واصله
القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل قل تربصوا اي انتظروا بي الموت فاني معكم
من المتربصين اي من المنتظرين حتى ياتي امر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي
ام تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول
فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ام هم قوم طاغون
اي متجاوزون الحد في الطغيان والكفر ام يقولون تقوله اي اختلق القرآن من تلقاء نفسه
والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون اي
بالقرآن نخوة وحسدا وبغيا فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين يعني ان محمدا تقوله من تلقاء
نفسه ام خلقوا من غير شيء قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى اخلقوا من
غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من
ضرورات الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون اي لانفسهم
وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة
عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل معنى الاية اخلقوا
باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ام هم الخالقون اي لانفسهم فلا يجب عليهم
لله امر ام خلقوا السموات والارض يعني ليس الامر كذلك بل لا يوقنون اي بالحق وهو
توحيد الله وقدرته على البعث وان الله هو خالقهم وخالق السموات والارض فيؤمنوا
به ويوقنوا انه ربهم وخالقهم ام عندهم خزائن ربك يعني النبوة ومفاتيح الرسالة
فيضعونها حيث شاءوا وقيل خزائن المطر والرزق ام هم المصيطرون اي المسلطون
الجبارون وقيل الارباب فلا يكونون تحت امر ونهي يفعلون ما يشاءون ام لهم
سلم يعني مرقى ومصعدا الى السماء يستمعون فيه اي عليه الوحي فليات مستمعهم بسلطان مبين
اي بحجة بينة ام له البنات ولكم البنون هذا انكار عليهم حين جعلوا لله
ما يكرهون لانفسهم ام تسالهم اجرا اي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم
اليه من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني اثقلهم ذلك المغرم الذي سالتهم
فمنعهم عن الاسلام ام عندهم الغيب اي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا
ان ما يخبرهم به الرسول من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب قولهم نتربص به ريب
المنون والمعنى ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون اي يحكمون وقال ابن عباس معناه
ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ام يريدون كيدا
اي مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون اي المجزيون بكيدهم
والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم مكروا به
في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا يوم بدر ام لهم اله غير الله اي يرزقهم وينصرهم
سبحان الله عما يشركون والمعنى تنزيه نفسه عما يقولون قوله عز و

كسفا

وان يروا كسفا اي قطعة من السماء ساقطا هذا جواب لقولهم فاسقط
علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم
ينتهوا عن كفرهم ويقولوا لمعاندتهم وطغيانهم سحاب مركوم اي بعضه على
بعض يسقينا فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يموتون
ويهلكون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون اي لا ينفعهم
كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا
دون ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر
وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر ولكن اكثرهم
لا يعلمون اي ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل واصبر لحكم ربك اي الى ان يقع بهم
العذاب الذي حكمنا عليهم به فانك باعيننا اي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل
بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه وسبح بحمد ربك
حين تقوم اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس
خيرا ازددت به احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه
فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك الا كان كفارة لما بينهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال
ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان حين تقوم من
الفراش الى ان تدخل في الصلاة عن عاصم بن حميد قال سالت عائشة رضي الله عنها
باي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح قيام الليل فقالت سالتني عن شيء
ما سالني عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا
وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني
وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائي وقيل اذا
قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله
عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك اخرجه الترمذي وابو داود وقال
فيه كلام في احد رواته ومن الليل فسبحه اي فصل له يعني صلاة المغرب
والعشاء وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي
تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هو فريضة الصبح وعن جبير بن
مطعم رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النجم وهي مكية

وهي اثنتان وستون اية وثلاث مائة وستون كلمة والف واربع مائة
وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنجم اذا هوى يعني

والثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشيا ابتغى
الراعي كساء. وجاء في الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض
من العاهة شيء الا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها
فهو في اللفظ واحد ومعناه الجمع وفيه روي عن ابن عباس انه قال الرجوم من النجوم
وهو ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هو النجوم اذا انتثرت يوم القيامة
وقيل اراد بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن
عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل
النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء. وجواب القسم قوله
ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى اي
ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا
اصلا والغواية ان لا يكون له الى مقصده طريق مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية
وما ينطق عن الهوى اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول
القرآن من تلقاء نفسه ان هو اي ما هو يعني القرآن وقيل نطقه في الدين الا وحي
من الله عز وجل يوحى اليه علمه شديد القوى يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه
وسلم ما اوحى الله عز وجل اليه وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على
جناحه حتى بلغ بها [illegible] ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه
بالوحي على الانبياء اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس
ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن فاستوى يعني جبريل عليه السلام
وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق
الاعلى عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا ان قام في صو
رته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان يأتي
محمدا صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة
في السماء فاما التي في الارض ففي الافق الاعلى من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل
يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى واما التي في السماء فعند سدرة
المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اختلف العلماء في معنى
هذه الآية فروى مسروق قال ابن الاجدع قال قلت لعائشة رضي الله عنها فاين قوله ثم دنا
فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه اتاه هذه
المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق اخرجه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في
قوله فكان قاب قوسين او ادنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفي قوله لقد رأى من آيات
ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح
زاد في رواية رأى جبريل عليه السلام في صورته اخرجه مسلم وللبخاري في قوله تعالى فكان

قاب قوسين

قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فلعل هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل
بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين
او ادنى بل ادنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير
تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلي سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد
صلى الله عليه وسلم فتدلى اي تقرب منه حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد في
الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن انس ودنا
الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس
والتدلي هو النزول الى الشيء حتى يقرب منه قال الحافظ عبد الحق في كتاب الجمع بين
الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه
بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب
وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى به شريك في روايته
[illegible] وقدم واخر وزاد ونقص [illegible] شريك في الحديث وقال
الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اي فاهوى للسجود فكان
منه قاب قوسين او ادنى والقاب والقوس هو الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس
وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل وبين محمد صلى الله عليه
وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب
كانا اذا ارادا عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما والصقا بينهما يريدان
بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن
مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس
او ادنى بل اقرب فاوحى الى عبده ما اوحى اي اوحى الله عز وجل الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى قال
ابن عباس في رواية عنه وقال اوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه
ربه عز وجل قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا
لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى
تدخلها امتك قوله عز وجل ما كذب الفؤاد ما رأى قرئ بالتشديد اي ما كذب
قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف
اي ما كذب فؤاد محمد الذي رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا في
الذي رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل واختلفوا
في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس وعن ابن عباس ما كذب
الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة اخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى انه رآه
بعينه حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز
وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية
وقال كعب ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى مرتين ورآه
محمد صلى الله عليه وسلم مرتين اخرجه الترمذي وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة

تعالى يغشيها بالأمثال هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من
حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار وهو يدرك
الأبصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب
ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك
ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين أخرجاه في الصحيحين م عن أبي ذر قال سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه قوله عز وجل أفتمارونه على ما يرى
يعني أفتجادلونه على ما يرى وذلك أنهم جادلوه حين أسري به فقالوا صف لنا بيت
المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه
لا ترمرية في قطعه ما رآه وعلمه ولقد رآه نزلة أخرى يعني رأى جبريل في صورته التي
خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك أنه رآه في صورته مرتين مرة في الأرض ومرة
عند سدرة المنتهى م عن أبي هريرة رضي الله عنه ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى
قول ابن عباس معنى نزلة أخرى هو أنه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات
لمسألة التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل في
بعضها وروي عن ابن عباس أنه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رآه بعينه عند سدرة
المنتهى م عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى
به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها
وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب وفي رواية للترمذي إليها ينتهي علم الخلائق لا علم لهم بما فوق
ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعد بي إلى السماء السابعة ثم قال ثم
رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال
هذه سدرة المنتهى وفي أفراد مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا إلى السماء
السابعة وذكره إلى أن قال فيه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان
الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما
أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس
كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس
حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل وعن أسماء
بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى فقال يسير
الراكب في ظل غصن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش من ذهب
كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع
الثمار والألوان ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله
في سورة الرعد عندها جنة المأوى قال ابن عباس جنة المأوى يأوي إليها جبريل والملائكة
وقيل تأوي إليها أرواح الشهداء إذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن مسعود فراش من ذهب
وقيل يغشاها ملائكة مثل الغربان وقيل طيور خضر حتى يقعن عليها وقيل يغشيها نور

الخلاق

ثم قرأت

يغشاها نور الخلائق وغشيها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها
وقيل نور رب العزة فأشرقت و روي في الحديث قال رأيت في كل ورقة منها ملكا يسبح الله
عز وجل ما زاغ البصر وما طغى أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك
الحضرة المعظمة يمينا وشمالا وما جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا
وصف أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف إذ لم يلتفت إلى شيء سوى ما أمر به وقيل
في معنى الآية إن قلنا الذي يغشى السدرة جراد من ذهب أي لم يلتفت إليه ولم يشتغل به وفيه
بيان أدبه صلى الله عليه وسلم إذ لم يقطع بصره عن المقصود وإن قلنا الذي يغشى السدرة
هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إليه بصفة ولا
ببصره ولم يشتغل بغيره عن مطالعته لذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية
كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك أنه لما تجلى الرب العزة وكشف نوره على
الجبل فإنه فجع بنظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم
الذي يحار فيه العقول [illegible] الأفهام وتحار فيه الأبصار فوصف السمع وجل
صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام بقوله ما زاغ البصر وما طغى قوله تعالى لقد رأى من آيات
ربه الكبرى يعني رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك
الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى م عن عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى رأى جبريل في صورته له ستمائة
جناح ح عن علقمة عن عبد الله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء

فصل من كتاب الشفاء مما يتعلق بهذه الآية من النوادر في معنى قوله تعالى ولقد
رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم في الإسرا **قال القاضي عياض** اختلف
السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسرا فأنكرته عائشة كما وقع في
صحيح مسلم وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة
من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب و
الحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب
المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه وتوقف بعض مشايخنا في هذا وقال
ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها
دليل على جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا في أن نبينا صلى
الله عليه وسلم هل كلم ربه عز وجل بغير واسطة أم لا فحكي عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه
وعزا بعضهم هذا القول إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله
ثم دنا فتدلى فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم
أو مختص بأحدهما من الآخر ومن سدرة المنتهى وذكر عن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب و
جعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه أو من الله عز وجل وعلى هذا
القول يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله
لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم
منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته

ربه بعينه

على ما لا يطيق سواء عليه والحق من الله تعالى الظاهر له لا اله وعظيم جرمه وفضله العظيم لربه وبكرمه
زعموا تعالى قاب قوسين او ادنى عن هذه العبارة لطف المحبة بيضاح المعرفة والاشراف على
الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا اه انتهى كلام
القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين النواوي في ملخص التحرير والله اجاز اثبات الرؤية
قال والحجج في المسألة وان كانت كثيرة ولاكنا لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث
ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه
وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة سئل ابن عباس هل راى محمد ربه قال نعم وقد روي باسناد
لا باس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال راى محمد ربه وكان الحسن يحلف لقد راى محمد ربه
والاصل في المسألة حديث ابن عباس حبر الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد
راجعه ابن عمر في هذه المسألة هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره انه راه
ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر بانها سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت ما ذكرته متاولة لقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال
قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم
في هذه المسألة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك
بالعقل ويوخذ بالظن وانما تتلقى بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه
المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس
ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس اثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي
هذا كلام صاحب التحرير قال الشيخ محيي الدين فالحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بعيني راسه في تلك الليلة لحديث ابن عباس وغيره
مما تقدم واثبات هذا لا ياخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي
ان يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان معها
حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الايات وسنوضح الجواب عنها اما
احتجاج عائشة بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله
تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب
في نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
الاية فالجواب عنه من اوجه احدها انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله
بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور
على ان المراد بالوحي هنا الالهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا واما قوله او من
وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلام الله سبحانه
وتعالى من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد
المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب لم ير المتكلم وقول عائشة في اول الحديث لقد
قف شعري معناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول العرب عند انكار
الشيء قف شعري واقشعر جلدي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نور اني

اراه فهو

اراه فهو وبفتح الهمزة في اني وتشديد النون المفتوحة ومعنى حجابه
نور فكيف اراه قال الامام الضمير في اراه عائد على الله تعالى ومعناه ان النور يمنعني
من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حالت بين الرائي وبينه
وفي رواية رايت نورا معناه رايت النور فحسب ولم ار غيره وفي رواية اني اراه نورانيا اراه
معناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان تكون
ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله منزه عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة
المسلمين والله اعلم قوله عز وجل افرايتم اللات والعزى هذه اسماء اصنام اتخذوها
الهة يعبدونها واشتقوا لها اسماء من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن
العزيز العزى وقيل العزى تانيث الاعز واللات اخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها من دون
الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وقيل كانت اللات
بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد عن ابن عباس رضي
الله عنهما قيل كان اللات رجلا يلت سويق الحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه
وقيل كان في راس جبل له غنيمة يسلا منها السمن وياخذ منها الاقط ويجمع رسلها
ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات
وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة من غنم وكان يسلا السمن فيضعه على صخرة فتاتيه
العرب فتلت به سويقهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها فعمرت
الطائف على موضع اللات واما العزى فقيل هي شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالفاس ويقول
يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة نا
شرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رايت شيئا قال لا قال ما قطعت فعاودها
ومعه المعول واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقيل هي
صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة وراى
الصفا والمروة اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة
الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم
كما صنعوا فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي اخذ من الصفا
وقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار
فاسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة
الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم امر برفع الحجارة وبعث
خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف
وقوله ومناة قيل هي صخرة لخزاعة كانت بقديد قالت عائشة في الانصار كانوا
يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل بيت بالمشلل تعبده بنو كعب

وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة
كانت بجوف الكعبة يعبدونها الثالثة الاخرى الثالثة نعت لمناة اي الثالثة
للصنمين في الذكر واما الاخرى فقال الخليل فالعرب لا تقول للثالثة اخرى وانما الاخرى ههنا
نعت للثالثة قال الخليل فالها لتوافق رؤوس الاي كقوله مآرب اخرى ولم يقل اخر وقيل
الآية تقديم وتأخير تقديره افرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي
صفة لها كانه قال فلا منات الثالثة الاخرى الغاية في التركيبة فجمع هذا في الاصنام ترتيب
ومعنى لان اللات كان وثنا على صورة ادمي والعزى شجرة وبها نبات ومناة صخرة
وهي جماد فهي اخرية المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية
فان رأيتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل افرأيتم ان الذكر عند
ان اللات والعزى ومناة بنات الله الكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة
يقولون الاصنام والملائكة بنات الله كان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل
منكرا عليهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى قال ابن عباس اي قسمة جائرة
حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة ان هي
اي ما هي هذه الاصنام الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم والمعنى انكم سميتم
سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه
فلم تسموا بعضها عزى ولا عزة لها ولا يكون لها مسمى حقيقة ما انزل الله بها من سلطان اي
حجة بما تقولون انها آلهة ان يتبعون الا الظن اي في قولهم انها آلهة وما تهوى الانفس
يعني ما هو زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم
والذي ينبغي ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمقتضى هوى النفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى اي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل ان الاصنام ليست بآلهة وان
عبادتها لا تصلح الا لله الواحد القهار ام للانسان ما تمنى معناه ايظن
ان الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام اي ليس الامر كما يظن ويتمنى
فلله الآخرة والاولى اي لا يملك احد فيهما شيئا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار
معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله في الدنيا ان شاء الله
في الدنيا والآخرة وان شاء امهله الى الآخرة وكم من ملك في السموات اي ممن يعبدهم
هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا يعني ان الملائكة
مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم اخبر ان
الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال الا من بعد ان ياذن الله اي في الشفاعة لمن يشاء
ويرضى اي من اهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه وقيل
الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ان الذين لا
يؤمنون بالآخرة يعني الكفار والبعث ليسمون الملائكة تسمية الانثى اي بتسمية
الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث
قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبة رؤوس الآي
وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك انهم قالوا الملائكة بنات

الله جعلوهم

بنات الله جعلوهم سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بالله فيشر
كون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث ان يتبعون الا الظن في تسمية
الملائكة بالاناث وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي لا يقوم الظن مقام العلم الذي هو تحقيق
الشيء وحقيقته بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله عز وجل والمعنى ان الاوثان
وصاف الا تهيئة لانفسكم في الظن فاعرض عمن تولى عن ذكرنا يعني القرآن وقيل الايمان ولم
يرد الا الحياة الدنيا يعني انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى
انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك نهاية علمهم
وقلة عقولهم ان آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا قولهم الملائكة بنات
الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن والايمان ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو عالم بالفريقين فيجازيهم وله ما في السموات
وما في الارض وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله تعالى ليجزي
الذين اساؤوا بما عملوا والمعنى اذا كان اعلم بهم جازى كلا بما يستحقه فيجازي الذين اساؤوا
اي اشركوا بما عملوا اي من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي وحدوا ربهم بالحسنى يعني الجنة
وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله
ما في السموات وما في الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش قيل الاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال
المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر
وجمعه آثام والكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته والجمع
كبائر والفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هي
ما فحش من الكبائر الا اللمم اي الا ما قل وصغر من الذنب وقيل هو مقارفة المعصية من
غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية وقيل هو الاستثناء
صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب
او يقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن وفي رواية عن ابن عباس
قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز
وجل اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال
اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما
لا عادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه الا ان اللمم ولم يجعلوا اللمم من
الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم
الله به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمؤمنين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل
الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنو
ب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابي
هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس وعن ابن عباس قال ما رايت
شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر وزنى

وزنى اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال
كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما
الاستماع واللسان زناه الكلام واليدان زناهما البطش والرجلان زناهما الخطا و
القلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما
كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات
الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الثاني هو الذنب العظيم
يلم به المرء المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظرة من غير
عمد فهو مغفور فإن أعاد النظر فليس بلمم بل هو ذنب

فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو
ظاهر لا خفاء فيه لقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فأما ما عداهما
من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف
المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها
النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الأحوال
والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في واحدة منها هي أكبر الكبائر بالنسبة
إلى ما دونها وصح عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي فقال هي إلى السبعين
أقرب وفي رواية إلى السبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها
من الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الأستاذ أبو إسحاق
الإسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي
بالنسبة إلى جلال الله تعالى كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى
انقسام المعاصي صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال السلف
الأئمة فإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروي عن
ابن عباس أنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب
أو نحو هذا وقيل هي ما أوعد الله عليها بنار في الآخرة أو حد في الدنيا وعن الحسن
نحوه وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف
أو استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجرئ عليها اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف
والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج
به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة فليس بكبيرة وقال الشيخ
عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد إذا أردت الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض
مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر
فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهي من الكبائر فمن أمسك
امرأة محصنة لمن يزني بها وأمسك مسلما لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم
من أكل درهم من مال يتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورات المسلمين
مع علمه بأنهم يستأصلون من دلهم فإن نسبته إلى هذه المفسدة أعظم من تولية يوم
الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على إنسان كذبا يعلم أنه يقتله
بسببه ولو كذب على إنسان يعلم أنه يؤخذ منه تمرة بسببه كذبه لم يكن ذلك من الكبائر

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاواه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه أن
يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الإطلاق فهذا حد الكبيرة ولها أمارات
منها إيجاب الحد ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها
وصف فاعلها بالفسق أو بغضب الله عليه ونحو ذلك ... ونحو ذلك والله تعالى
أعلم قوله تعالى إن ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وروي عن عمر
بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار ومعناه أن الكبيرة
يمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار عليها وقيل في حد الإصرار
هو أن تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه وتم الكلام عند قوله إن
ربك واسع ثم ابتدأ فقال هو أعلم بكم أي قبل أن يخلقكم وهو قوله إذ أنشأكم
من الأرض أي خلق أباكم آدم من التراب وإذ أنتم أجنة جمع جنين في بطون أمهاتكم سمي
جنينا لاستتاره في بطن أمه قال ابن عباس من لا تجح حتى ... فلا تزكوا أنفسكم
على الله من عمل بعضا ما هي مانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم ولا تبرؤوها
من الآثام ولا تمدحوها بحسن الأعمال وقيل في معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون على حالكم من أول خلقكم
إلى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لا تعرفون حقيقته أنا خير
منك وأنا أزكى منك وأتقى منك فإن العلم عند الله وفيه إشارة إلى وجوب خوف العاقبة
فإن الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى هو أعلم بمن اتقى أي بمن بر وأطاع
وأخلص العمل وقيل في معنى الآية فلا تزكوا أي لا تنسبوها إلى الزكاء والعمل والزيادة في الخير
والطاعات وقيل لا تنسبوها إلى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها
فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقبل
أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت في أناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون
صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله هذه الآية قوله عز وجل أفرأيت الذي تولى نزلت
في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض
المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللتهم قال إني خشيت من عذاب الله
فضمن الذي عاتبه إن أعطاه كذا من ماله ورجع إلى الشرك أن يتحمل عنه عذاب الله
عز وجل فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيره بعض الذي ضمن له من المال
ومنعه تمامه فأنزل الله تعالى أفرأيت الذي تولى أي أدبر وأعرض عن الإيمان وأعطى أي
لصاحبه الذي عيره قليلا وأكدى أي بخل بالباقي وقيل أعطى الوليد قليلا أي من الخير بلسانه وأكدى
أي قطعه وأمسك ولم يقم بالعطية وقيل نزلت في العاصي بن وائل السهمي وذلك أنه كان ربما
يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وقيل نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال والله ما يأمرنا
محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى أي لم يؤمن به ومعنى أكدى أي قطع وأصله من
الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر أعنده علم الغيب فهو يرى أي ما غاب عنه
ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه أم لم ينبأ أي لم يخبر بما في صحف موسى يعني أسفار التوراة وإبراهيم
أي وبما في صحف إبراهيم الذي وفى أي كمل وتمم ما أمر به وقيل عمل بما أمر به وبلغ رسالة ربه
إلى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى

عن ابي امامة

ما طولب به من شعائر الاسلام وهو قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى من شأن
المناسك روى البغوي بسنده عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى
النهار عن ابي الدرداء وابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى اربع ركعات اول
في اربع ركعات من اول النهار اكفك اخره عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن ادم اركع لي
في مصحفهما قال تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **الا تزر وازرة وزر اخرى** ثم بين ما
اي لا تحمل نفس كاملة حمل نفس اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس
بذنب غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد ان المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم
يا خذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته وعبده حتى كان ابراهيم عليه
السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى **وان ليس للانسان الا ما سعى**
اي عمل وهذا في صحف ابراهيم وموسى قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى
الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الاباء وقيل ان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة
فلها ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا
حج قال نعم ولك اجر وعن ابن عباس ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت افينفعها
ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية ان سعد بن عبادة قال ان لي مخرفا واشهدك اني تصدقت به عنها اخرجه
البخاري وعن عائشة ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها واظنها
لو تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في الصحيحين وفي حديث
ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد وجماهير العلماء ان حج الصبي منعقد صحيح
يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو حنيفة لا يصح حجه
وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديث الاخر دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع
الميت ويصله ثوابها وهو باجماع العلماء وكذا اجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين عنه
من الوارث وغيره ويجزي الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى بحجة تطوع على الاصح عند الشافعي
واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الواردة
الصحيحة فيه والمشهور والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القرءان لا يصله ثوابها
وقال جماعة من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل واما الصلاة وسائر التطوعات
فلا تصل عند الشافعي والجمهور وقال احمد يصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل ان
ليس للانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه
في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الاخرة خير روي ان عبد الله بن ابي بن سلول
كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص
ليكفن فيه ولم يبق له في الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو
من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه **وان سعيه**
سوف يرى اي يرى في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى يريه اعماله
الصالحة ثم يجزيه عليها **ثم يجزاه** اي السعي **الجزاء الاوفى** اي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى بجزاء سعيه بالجزاء الاوفى قوله تعالى **وان الى ربك المنتهى** اي منتهى الخلق ومصيرهم في البعث الاخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي الخطاب بهذا وجهان احدهما انه على تقدير

الصالحات ليهم ...

جزاوان الى ربك المنتهى

وان الى ربك المنتهى ايها السامع او العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء
وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه
الثاني ان المخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى **وقيل في معنى** الاية منه ابتداء المنة واليه انتهاء
الامال وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله وان الى ربك المنتهى لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة **ومعنى** لا فكرة
في الرب اي انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت انه
لابد لها من موجد وهو الله تعالى فاذا وصلت اليه انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته
سبحانه وتعالى **وانه هو اضحك وابكى** اي هو القادر على ايجاد الضحك في محل واحد الضحك
والبكاء فيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضاء الله وقدره حتى الضحك والبكاء
قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء
بالمطر **وقيل** افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة
رضي الله عنه قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون
الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم
معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل وعن انس رضي الله عنه قال خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين
هو بالخاء المعجمة اي بكاء مع صوت يخرج من الانف **وانه هو امات واحيا** اي امات في الدنيا
واحيا للبعث وقيل امات الاباء واحيا الابناء وقيل امات الكافر بالنكرة واحيا المؤمن بالمعرفة
وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد
على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى ولا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه
وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة **من نطفة اذا تمنى** اي تصب في الرحم
وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شيء واحد يخلق الله منها الذكر
والانثى وهو من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا اكده بقوله وانه خلق لانه تنبيه
على ان احدا لا يقدر على ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيرها **وان عليه النشأة الاخرى** اي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة **وانه هو**
اغنى واقنى اي اغنى الناس بالاموال واقنى اي اعطى القنية وهو اصول الاموال وما يدخرونه
بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم
وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اي اعطى وارضى وقيل اغنى بعد فقر وقاجته
ولم يتركه محتاجا الى شيء لان الغنى ضد الفقر واقنى اي زاد فوق الغنى **وانه هو رب الشعرى**
اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من

رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى
تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له به لخلافه اياهم كما خالفهم
ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب مضيء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار
وهما شعريان يمانية وشامية يقال للاحدى هما العبور والاخرى الغميصاء
سميت بذلك لانها اخفى من العبور والعبور اكبر بينهما والمراد بها ها هنا الشعرى العبور
وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا
عادا الاخرى وقيل الاخرى ارم يعني اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح وثمود وهم قوم صالح
اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم احدا وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح
من قبل عاد وثمود بالغرق انهم كانوا هم اظلم واطغى يعني لطول دعوة نوح اياهم و
عتوهم على الله بالمعصية والتكذيب والمؤتفكة يعني قرى قوم لوط اهوى اي اسقطها
وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم اهواها فغشاها اي البسها الله ما غشى يعني
الحجارة المنضودة فباي آلاء ربك يعني نعم ربك تتمارى اي تشك ايها الانسان وقيل اراد
الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى اي تكذب هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل
انذر محمد كما انذرت الرسل من قبله ازفت الآزفة اي دنت القيامة واقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة اي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس
قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر
بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها
راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد
قوله تعالى افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون اي تنكرون وتضحكون اي استهزاء ولا
تبكون اي مما فيه من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون غافلون قال ابن عباس وعنه ان السمو
د هو الغناء بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا واصل السمود في
اللغة رفع الراس ماخوذ من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه وجد في سيره واللاهي
اللاهي والمغني وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له ما البر
طمة قال الاعراض فاسجدوا لله واعبدوا يعني ايها المؤمنون شكرا على الهداية
وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة واعبدوا اي اعبدوا الله
وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان
معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني
هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية قال اول سورة نزلت
فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو امية بن خلف (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والا
نس (ق) وعن زيد بن ثابت قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها

الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي واحمد وقال
عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء. وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع
وهو قول سفيان واصحاب الراي والسامع بمنزلته والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة القمر

وهي مكية

وهي خمس وخمسون اية
وثلاث مائة واثنان واربعون كلمة والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة اي دنت القيامة وانشق القمر قيل فيه تقديم وتاخير تقديره
انشق القمر واقتربت الساعة قيل انشق القمر آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليها ما روي عن انس رضي الله عنه ان اهل مكة
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري
ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقولون
ذاهب و(ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية اخرى قال بينما
نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دو
نه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا و(ق) عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال ان القمر انشق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فقالت
قريش سحر محمد اعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر النا
س كلهم اخرجه الترمذي زاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم راوه فيكذ
بونهم وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش هذا سحر ابن ابي كبشة فسالوا السفار
فقالوا نعم قد رايناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الا
حاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذ
لك فانه ادل دليل واقوى مثبت وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد اخبر عنه الصادق
فيجب الايمان به واعتقاد وجوده قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح
صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة
وذلك لما اعمى الله تعالى قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل
فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر امره واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا
لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في رؤيته ومعرفته ولم يختص بها اهل
مكة فاجاب العلماء بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والا
بواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها الا الشا
ذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في
الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس
ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية
عظيمة حصلت في الليل لقوم سالوها واقترحوا رؤيتها فلم يتاهب غيرهم لها قال العلماء
وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض

كما يكون ظاهر القمر غائبا عن قوم وكما يقع الكسوف لاهل بلد دون بلد والله اعلم وقيل
معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح والشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين
على خلافه ولان الله تعالى ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة
تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا دليل على وجود هذه الآية العظيمة
وقد كان ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى قوله وان يروا آية اي تدل على صدق
الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق بها ويقولوا
سحر مستمر اي دائم مطرد وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما راوا تتابع
المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر اي قوي محكم شديد يعلو
كل سحر وقيل مستمر اي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية
لانفسهم وتعليلا وكذبوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله تعالى
واتبعوا اهواءهم اي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر وكل
امر مستقر اي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة ف
فسيعرف وقيل وكل امر مستقر بالخير مستقر في الجنة باهله والشر مستقر باهله في النار
وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه
لكل حد ينتهي وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر
يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من امره مستقر وان امر محمد صلى الله عليه وسلم
سيبلغ الى غاية يتبين الله حق ولقد جاءهم يعني اهل مكة من الانباء اي من الاخبار
الامم المكذبة في القرآن ما فيه مزدجر اي متناهى وموعظة حكمة بالغة يعني
القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية فما تغن النذر اي غناء تغني النذر اذا خالفوه
وكذبوه فتول عنهم اي اعرض عنهم نسختها آية القتال يوم يدع الداع اي اذكر
يا محمد يوم يدع الداع وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس الى شيء
نكر اي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما خشعا وقرئ خاشعا ابصارهم
اي ذليلة خاضعة عن رؤية العذاب يخرجون من الاجداث اي من القبور كانهم
جراد منتشر مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فازعين مهطعين اي مسرعين
مادين اعناقهم مقبلين الى الداع اي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه
لا يقلعون ابصارهم يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد في اشارة الى ان
اي صعب شديد اشارة الى ان ذلك اليوم شديد على الكافر لا على المومن قوله تعالى
كذبت قبلهم اي اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني نوحا
... الكافر وقالوا مجنون وازدجر اي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم وا
والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا ربه يعني نوحا ربه
وقال اني مغلوب اي مقهور فانتصر اي فانتقم لي منهم ففتحنا ابواب السماء قيل هو
محمول على ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد ورد في الحديث ان للسماء
ابوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب بماء منهمر اي منصب
انصبابا شديدا لم يقلع اربعين وفجرنا الارض عيونا اي وجعلنا الارض كلها عيونا تنبع
بالماء فالتقى الماء يعني ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح اي سفينة ذات الواح وا

واراد بالالواح

ودسر اي مسامير التي تشد بها الا
واراد بالالواح خشب السفينة العريضة وفي الدسر اي مسامير ... واضلاعها وقيل الالواح
جوانب وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة تجري باعيننا اي بمرأى منا
جانبا السفينة واكد ... واصلها وطرفاها يعني السفينة
جزاء لمن كان كفر يعني فعلنا ذلك به وبهم من الانجاء ... نوح واغراق قومه ثوابا لنوح
لانه كفر به وجحد امره وقيل معنى ما لي جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الكافرين
عن قومه وقيل جزاء لما صنع بنوح واصحابه ولقد تركناها آية يعني الفعلة التي فعلنا
بهم آية يعتبر بهم وقيل اراد السفينة قال قتادة ابقاها الله تعالى بباقردى من ارض
الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي متذكر معتبر متعظ
خائف مثل عقوبتهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مذكر فردها علي مدكر وفي رواية اخرى سمعته يقول مدكر دالا فكيف كان عذابي
ونذر اي انذاري ولقد يسرنا القرآن اي سهلنا القرآن للذكر اي ليتعظ ويتذكر ويعتبر
به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا
الا القرآن فهل من مدكر اي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال
به لانه قد سهله الله ويسره على عباده بحيث يسهل حفظه على الكبير والصغير وا
لعربي والعجمي وغيرهم قوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري
لهم بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي شديدة الهبوب في يوم نحس اي يوم شوم
مستمر اي دائم الشوم استمر عليهم بنحوسته فلم يبق منهم احد الا اهلك فيه وقيل
كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر تنزع الناس اي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم
فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من قبورهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصول النخل منقعر
اي منقطع من مكانه ساقط على الارض وقيل كانت الريح تبين رؤوسهم من اجسامهم فتبقى
اجسامهم بلا رؤوس كعجز النخلة الملقاة فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر اي بالانذار الذي جاءهم به صالح فقالوا
ابشرا منا واحدا يعني آدميا واحدا نتبعه اي ونحن جماعة كثيرة انا اذا لفي ضلال اي خطا
وذهاب عن الصواب وسعر قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب
مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل في بعد عن الحق أألقي الذكر عليه يعني انزل عليه
الوحي من بيننا بل هو كذاب أشر اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعائه النبوة
سيعلمون غدا اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب
من الكذاب الاشر اي اصالح ام من كذبه انا مرسلو الناقة اي باعثوها ومخرجوها من الهضبة
التي سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء
فقال الله تعالى انا مرسلو الناقة فتنة لهم اي محنة واختبارا لهم فارتقبهم اي فانتظر ما
هم صانعون واصطبر على اذاهم ونبئهم اي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم اي بين النا
قة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب
اي نصيب من الماء محتضر اي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة فاذا جاء
حضروا اللبن فنادوا صاحبهم يعني قدار بن سالف فتعاطى اي تناول الناقة

الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة فكيف كان عذابي ونذر. ثم بين عذابهم
فقال تعالى إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة يعني صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر
قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط
من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه
الريح والمعنى أنهم صاروا كيبيس الشجر إذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة
وقيل هو التراب يتناثر من الحائط ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله عز و
جل كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا يعني الحصباء وهي الحجارة التي
دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى إنا أرسلنا عليهم
عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى إلا آل لوط يعني لوطا
وابنتيه نجيناهم يعني من العذاب بسحر نعمة من عندنا أي جعلناه نعمة منا عليهم
حيث نجيناهم كذلك نجزي أي كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي من شكر يعني
من وحد الله لم يعذبه مع المشركين ولقد أنذرهم أي لوط بطشتنا يعني أخذنا
إياهم بالعقوبة فتماروا بالنذر أي شكوا بالإنذار ولم يصدقوا ولقد راودوه عن ضيفه
أي طلبوا منه أن يمكنهم من أضيافه فطمسنا أعينهم وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط
عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل
ربك لن يصلوا إليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا يترددون
لا يهتدون إلى الباب فأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم
أي صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا
قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر أي ما أنذركم
به لوط من العذاب ولقد صبحهم بكرة أي جاءهم وقت الصبح عذاب مستقر أي دائم
استقر فيهم حتى يفضي بهم إلى عذاب الآخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل ولقد جاء آل فرعون النذر يعني موسى و
هارون عليهما السلام وقيل النذر الآيات التي أنذرهم بها موسى كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات
التسعة فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أي بالعذاب أخذ عزيز أي غالب في انتقامه قادر على إهلاكهم
لا يعجزه ما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أكفاركم خير من أولئكم يعني أقوى وأشد
من الذين حلت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام
إنكار أي ليسوا بأقوى منهم أم لكم براءة أي من العذاب في الزبر أي الكتب أنه لن يصيبكم ما
أصاب الأمم الخالية أم يقولون يعني كفار مكة نحن جميع أي أمرنا مجتمع منتصر أي من أعدائنا والمعنى
نحن جمع واحد على من عادانا منتصر ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي وقيل معناه
نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أي كل واحد منهم قال الله تعالى سيهزم الجمع
يعني كفار مكة ويولون الدبر أي الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي وقيل أراد الإفراد إشارة إلى
أنهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف
فهم في ذلك كرجل واحد خ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر اللهم إني
أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك

يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة
موعدهم والساعة أدهى وأمر وقال سعيد بن
المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري
أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع
ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة أدهى وأمر أي أعظم
داهية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر قوله عز وجل إن المجرمين يعني
المشركين في ضلال وسعر قيل في بعد عن الحق وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا
ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال أي ذهاب عن طريق الجنة وعذاب أي في الآخرة ثم بين عذابهم فقال يوم
يسحبون أي يجرون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا أيها المكذبون
بمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر أي مقدر ومكتوب في اللوح
المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس خلقنا لكل شيء
بقدر حتى وضعه فصل في سبب نزول هذه الآية وما
ورد في القدر وما قيل فيه م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء مشركو قريش إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية إن المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله
إنا كل شيء خلقناه بقدر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين
ألف سنة قال وعرشه على الماء م عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد
أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر
أخرجه الترمذي وله عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن
ليصيبه وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي
حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت تقدم في القدر عن حذيفة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون
لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على
الله أن يلحقهم بالدجال أخرجه أبو داود وله عن أبي هريرة فلينته زاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم
في الكلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي
ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا ينادي نداء يسمعه الأولون والآخرون أين خصماء الله
فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار يقول الله عز وجل ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه
بقدر قال ابن الجوزي وإنما قيل خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد

على العبد ثم يعذبه عليها وروي عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل
وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر
ثم قيل له ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال الشيخ محيي الدين ابو ...
رحمه الله تعالى اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في
القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في اوقات معلومات عنده سبحانه وتعالى وعلى صفا
ت مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت
انه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفات العلم اي انما يعلمها
سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن اقوالهم الباطلة علوا
كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب المقالات وقد
انقرضت القدرية القائلين بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه
وصارت القدرية في الازمان المتاخرة تعتقد اثبات القدر ولكن يقولون الخير من الله والشر من
غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى محمد بن قتيبة في كتاب غريب الحديث
وابو المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا
بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين وهذا
تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون
القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعي الشيء لنفسه
ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام
الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم
بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس الخير الى يزدان والشر
الى اهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه
الامة رواه ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود في سننه والحاكم
ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم
عن ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذ
هبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر
من فعل الظلمة فصاروا ثنوية كذلك القدرية يضيفون الخير الى الله تعالى والشر الى غيره
والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما
مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا
قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد
وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم
علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها و
شرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرت
بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن
سبع سماوات في يومين اي خلقهن وقد تظاهرت الادلة من الكتاب والسنة وا
جماع الصحابة واهل الحل والعقد من السلف والخلف على اثبات قدر الله تعالى وقد

قرر لها ايمة المتكلمين

وعلى

قدرا

ايمة المتكلمين احسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله
اعلم واما معنى الاحاديث المتقدمة منا بعول سجاء مشركوا قريش ... انا كل
شيء خلقناه بقدر الصراط ان القدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله تعالى وقضاه
وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب
الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء
قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او قال الكيس و
العجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتاخيره
عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في امور الدنيا والاخرة
والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق في الامور ومعناه ان العاجز قد قدر عجزه
والكيس كيسه قوله تعالى وما امرنا الا واحدة اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل
معناه وما امرنا للشيء اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة
فيه فمعنى هذا اذا اراد الله شيئا قال له كن فيكون فههنا شيئان الارادة والقول فعلى
الارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو على
اشارة الى نفاذ الامر كلمح البصر قال ابن عباس يريد ان قضائي في خلقي اسرع من لمح
البصر وعن ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف
البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظراءكم في الكفر في الامم الخالية
فهل من مدكر اي متعظ ان ذلك حق وعذاب فيعتبر وكل شيء فعلوه اي الاشياع
من الخير والشر في الزبر اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير
وكبير اي من الخلق والاعمال والاجال مستطر اي مكتوب قوله عز وجل ان المتقين
في جنات اي بساتين ونهر اي انهار وانما وحده لموافقة رؤوس الاي واراد انهار
الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومنه النهار و
المعنى لا ليل عندهم في مقعد صدق اي مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وقيل في مجلس حسن
وقيل في مقعد لا كذب فيه لان الله تعالى صادق ومن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو
في مقعد صدق عند مليك قيل معناه قرب المنزلة والشرف لا معنى المكان مقتدر
اي قادر لا يعجزه شيء وقيل معنى عند مليك امرائه في الملك والاقتدار ...
فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة
كلها والسعادة باسرها فان جمع الغايات وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد
فيه الا اهل الصدق والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة
الرحمن وهي مكية ذكر ابن الجوزي انها مكية في قول ... عن ابن عباس وهي ثمان
وسبعون اية وثلاث مائة واحدى وخمسين كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الرحمن علم القرآن قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن
قال كفار مكة وما الرحمن فانكروا وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله تعالى الرحمن يعني الذي
انكرتموه هو الذي علم القرآن وقيل هو جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر
فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن وقيل علم القرآن

بيسره للذكر لحفظ ويتلو ذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها
نعمة واعلاها مرتبة وهو القرآن العزيز لانه اعظم وحي الله الى انبيائه واشرفه منزلة
عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب
السماوية المنزل على افضل البرية خلق الانسان يعني آدم عليه السلام علمه البيان
يعني اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم عليه السلام يتكلم بسبعمائة
لغة افضلها العربية وقيل اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى
علمه البيان النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام
حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد
بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون لانه كان صلى الله عليه وسلم يبين
عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود
والاحكام الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها
وقيل يعني بهما تحسب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد
كيف يحسب ما يريد وقيل بحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور
الحجر بدورانه والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر
ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودهما سجود ظلهما وقيل هو الكوكب وسجوده طلوعه
والقول الاول اصح لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان في مقابلة
سماويين والسماء رفعها اي فوق الارض ووضع الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه
آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله الا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل
وقيل اراد به الآلة التي يوزن بها ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير الا
تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط
اي بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا اي
ولا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء
وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية
به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي
للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم
يتصرفون فوقها فيها اي في الارض فاكهة اي من انواع الفواكه وقيل ما يتفكهون به
من النعم التي لا تحصى والنخل ذات الاكمام يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون
في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شيء استتر فهو كم وقيل اكمامها ليفها
واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانها اعظمها واكثرها بركة والحب يعني جميع الحبوب
التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب
انفع من النخل واعم وجودا ذو العصف يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا
قطع راسه ويبس وقيل هو ورق الزرع وقيل العصف ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو اولا
ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان
يعني الرزق قال ابن عباس كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل

العصف التبن والريحان ...

والريحان ... ثم ذكر قوت الانسان والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى فبأي آلاء
ربكما تكذبان يعني ايها الثقلان يريد من هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه
السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها عدد على الخلق آلاءه
ثم فصل بين كل نعمتين بما نبههم عليه ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل
لمن احسن اليه وتابع عليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها الم تك فقيرا فاغنيتك افتنكر
هذا الم تك عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تك خاملا فعززتك افتنكر هذا و
مثل هذا شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك ان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما
يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض
الى غير ذلك مما انعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الاشياء
المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن
ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا
بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي
رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه ولا بشيء قوله تعالى خلق الانسان من صلصال
يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت اذا نقر كالفخار يعني الطين المطبوخ بالنار وهو
الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى
من تراب وقال من حمإ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار
قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من
تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما
يبس صار صلصالا كالفخار وخلق الجان وهو ابو الجن وقيل هو ابليس من مارج من نار يعني
الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر
والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين
يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس
ورب المغربين يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق
القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يعني ارسل البحرين
العذب والمالح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين الا اختلاط وهو قوله
يلتقيان لكن الله تعالى منعهما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله بينهما برزخ اي حاجز من قدرة
الله تعالى لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيا
ن على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر
فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام
فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما قيل انما يخرج من البحر المالح دون العذب فهو كقوله وجعل
القمر فيهن نورا وقيل انه يخرج من احدهما فهما بحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشيء
الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه
وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا مطرت السماء فتحت الاصداف افواهها

اهوالها بحيث ما وقعت قطرة كانت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله اللؤلؤ قيل
هو ما عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر
فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار يعني السفن الكبار المنشآت اي المرفوعات وهي
التي ترفع خشبها بعضها على بعض وقيل هو ما رفع قلعها من السفن واما ما لم يرفع قلعها
فليس من المنشآت المنشآت المخلوقات المسخرات في البحر كالاعلام اي كالجبال جمع
علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر فبأي آلاء ربكما تكذبان قوله عز وجل
كل من عليها اي على الارض من حيوان وانما ذكر بلفظ من تغليبا للعقلاء فان اي هالك
لان وجوده لا يصان في الدنيا فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان فيه الحث على العبادة وصرف
الزمان اليسير الى الطاعة ويبقى وجه ربك يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي الخطاب
وجهان احدهما انه مع كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه
الثاني يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال اي العظمة والكبرياء
ومعناه المنزه المستحق … عن التشبيه بخلقه والاكرام اي المكرم لانبيائه واوليائه
وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته فبأي آلاء ربكما تكذبان عن انس
بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام
اخرجه الترمذي وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا اي الزموا هذه
الدعوة واكثروا منها قوله تعالى يسأله من في السموات والارض يعني من ملك وانس
وجن والا يستغني عن فضله اهل السموات والارض قال ابن عباس اهل السموات يسألونه
المغفرة واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل احد يسأله الرحمة وما يحتاج
اليه في دينه ودنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو
عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى كل يوم هو في شأن قيل نزلت ردا على اليهود
حيث قالوا ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئا قال المفسرون من شأنه ان يحيي ويميت ويرزق
ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب
داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله واحداثه في خلقه ما يشاء سبحانه
وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة
بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة
يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال
بن عيينة الدهر كله عند الله عز وجل يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة
والشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة
والاعطاء والمنع والشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين
بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم
وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت
وقال ابو سليمان الداراني في هذه الاية له في كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شأنه
تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات و
عسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى فبأي

آلاء ربكما تكذبان

فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة
وليس هو فراغ من شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن وهو كقول القائل لمن يريد
تهديده لافرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر
الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في امركم وهذا قول العرب
لمن لا شغل له … وقيل معناه ان الله عز وجل وعد اهل التقوى واوعد اهل الفجور
وقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم فيتم ذلك
لكم ويفرغ منه … على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقل الارض احياء وامواتا
وقيل … وزنهما … ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين
كتاب الله وعترتي … وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن
ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا اي تخرجوا
من اقطار السموات والارض اي من جوانبها واطرافها فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان اي ان استطعتم
ان تهربوا من الموت والخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها … فحيثما كنتم يدرككم
الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض
فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا
من ملكي ومن سمائي وارضي فافعلوا … لا تقدرون على النفوذ والهرب من
… لا تنفذون الا بسلطان يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وانى لكم
ذلك لانكم حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم
ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان يعني ببينة من الله تعالى فبأي آلاء
ربكما تكذبان وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الاية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من
نار قال المفسرون هو اللهب الذي لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار ونحاس
قيل هو الدخان وهي رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهو الرواية الثانية عن ابن
عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان
يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر فلا تنتصران اي فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه فبأ
ي آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة
وقيل المراد منه خراب السماء وذلك انه قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ثم ذكر في هذه الاية بيان
حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على
… الجن وهو انشقاق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى فكانت وردة كالدهان جمع دهن
شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة وقيل ان
السماء تتلون يومئذ الوانا كلون الفرس الورد يكون في الربيع اصفر وفي اول الشتاء احمر واذا اشتد البرد
صار اغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل كالدهان كعصير
الزيت وقيل لانه يتلون في الساعة الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم و
قيل كالدهان كالاديم الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
قيل لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبت الملائكة عليهم وهذه

رواية عن ابن عباس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده
وعن ابن عباس أيضا في الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين قال لا
يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل إن مواقف القيامة
يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لا يسألون سؤال الاستعلام ورحمة
إنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم فبأي آلاء ربكما تكذبان
يعرف المجرمون بسيماهم يعني بسواد وجوههم وزرقة عيونهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام
قيل تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ظهورهم وقيل تجعل رؤوسهم على ركبهم ونواصيهم
في أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالأقدام ثم يلقون في النار فبأي
آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم أي يقال لهم إذا ألقوا فيها هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون يعني المشركين يطوفون بينها وبين حميم آن يعني قد انتهى حره والمعنى أنهم يسعون
بين الجحيم وبين الحميم فإذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآن الذي صار كالمهل قال
كعب الأحبار آن واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال
فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في
النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان فإن قلت
كيف قال في هذه الآيات فبأي آلاء ربكما تكذبان عقيب هذه الآيات وليس فيها نعمة
قلت المذكور في هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر العبد عن المعاصي بمنزلة نعم فحسن ختم كل آية منها
بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما أعد لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال عز من
قائل ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه
عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدع ذلك من مخافة الله
تعالى ويعمله من خيرا خالصه لله تعالى ولا يحب أن يطلع عليه أحد وقيل المؤمنون خافوا ذلك المقام فعملوا
لله بالإخلاص وأدوا الليل والنهار جنتان يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة لخوفه ربه وجنة
لتركه شهوته عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف
أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة أخرجه الترمذي
قوله أدلج الإدلاج بالتخفيف السير أول الليل ومثقلا السير آخر الليل والمراد من الإدلاج التشمير والاجتهاد
في أول الأمر فإن من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن أبي الدرداء
أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان
قلت وإن زنى وإن سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه
جنتان فقلت الثانية وإن زنى وإن سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه
جنتان فقلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يا رسول الله قال وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي الدرداء
فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال ذواتا أفنان
أي أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا أفنان أي ألوان وهو قول ابن عباس أيضا وعن الضحاك

وقال ابن عباس

وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعني ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن
فنون من الفواكه وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما
عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لأهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال إحداهما
التسنيم والأخرى السلسبيل وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان أي صنفان ونوعان وقيل معناه أن فيهما
من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي
في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش جمع فراش بطائنها
جمع بطانة وهي التي تلي الأرض من تحت الظهارة من إستبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن
مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقال سعيد بن جبير البطائن
من إستبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وقال أيضا
بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك
الظواهر لأنه ليس أحد في الأرض يعلم ما في الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج
الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف ... لأنه ذكر بطائنها من الإستبرق ولا بد أن تكون
الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر وجنى الجنتين دان يعني أن ثمرها قريب
يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فإنها لا تنال إلا بكد وتعب قال ابن
عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وقيل لا ترد أيديهم عنها
بعد ولا شوك فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن فإن قلت الضمير إلى ماذا يعود قلت
إلى الجنتين وإنما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على أماكن وقصور ومجالس قاصرات
الطرف أي غاضات قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم قيل
تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك
زوجي وجعلني زوجتك لم يطمثهن أي لم يجامعهن ولم يفترعهن والمعنى لم يمسسهن
بالجماع وقيل معناه لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق خرجن إلي لم يطمثن قبلي وهن
أصح من بيض النعام أي لم يمسسهن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن إنس قبلهم أي من قبل أزواجهن
ولا جان وقيل إنما نفى الجن لأن لهم أزواجا في الجنة منهم وفي الآية دليل على
أن الجن يغشى كما يغشى الإنس وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية
ثم قال الإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الآية إذا جامع ولم يسم
انطوى الجني على إحليله فجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثهن فقيل هن الحور
لأنهن خلقن في الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل هن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر
أبكارا ولم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر أحد وقيل من الآدميات اللاتي متن أبكارا ومعنى
الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن لأن في ذلك لذة لأزواجهن أنهم لم يغشهن أحد غيرهم فبأي
آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان
وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل تشبيه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت
لأن أحسن الألوان البياض المشرب بحمرة والأصح أنه تشبيههن بالياقوت لصفائه فإنه
حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو
بن ميمون إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب

الأحمر في الزجاجة البيضاء. يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لأن الله تعالى
يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لر
أيته من ورائه أخرجه الترمذي. قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة
صورهم على صورة القمر ليلة البدر. زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء
إضاءة لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب
ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من
الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري قلوبهم
على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الألوة يعني بخورهم العود فبأي
آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان
أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة قال ابن عباس هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا الجنة وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول
هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة وروى نعيم سمعت ابن عمر وابن عباس أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه
جنتي وحضرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بفعل الحسن إلا أن يؤتى
في مقابلته بفعل حسن وفي الآية إشارة إلى رفع التكليف في الآخرة لأن الله وعد
المؤمن بالإحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وترك العبد لاستحق العقا
ب على ترك العمل والعقاب يترك الإحسان إليه فلا تكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان [illegible]
لله عز وجل ومن دونهما جنتان أي ومن دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان قال ابن عباس
ومن دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه جنتان من ذهب
للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان للمقربين السا
بقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة
ونخل ورمان وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما
وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال
الكلبي ومن دونهما جنتان يعني أمامهما يريد عليه فوق الجنتين الأوليين من ذهب
وفضة والجنتان الأخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الأوليين فبأي آلاء ربكما تكذبا
ن ثم وصف الجنتين فقال تعالى مدهامتان أي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة
خضرتهما لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان
نضاختان أي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على
أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك وبالكافور على أولياء الله تعالى وقال أنس
بن مالك ينضخان بالمسك وبالعنبر في دور أهل الجنة كنضح المطر فبأي آلاء ربكما تكذبا
ن فيهما فاكهة ونخل ورمان أي فيهما من أنواع الفواكه كلها وإنما عطف النخل

والرمان بالواو

بالواو وإن كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه
وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا إنما فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل
فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال بل فضلهما إذ كانا من
جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لأن ثمرة
النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو
حنيفة إذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطبا أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا
القول خلاف أهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفا
قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها
حللهم وثمرها مثل القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له
عجم وروي أن الرمانة من رمان أهل الجنة كجلد البعير المقتب وقيل إن نخل الجنة نضيد
ثمرها كالقلال كلما نزعت عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيهن أي في الجنان الأربع خيرات حسان روي عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه فبأي آلاء ربكما
تكذبان حور مقصورات أي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت لأهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما
ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقال ابن عمر إن أدنى أهل الجنة من يجد
ما له خادم كل واحد على عمل ما عليه الآخر وروي عن ابن مسعود أن أهل الجنة فيه يجتمع الحور
العين في الشيء بزيادة ما أخذه ما شاء وقيل قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين
بهم بدلا في الخيام قيل هي الياقوت قال ابن الأعرابي الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ثم
تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة إذا بناها من جريد النخل وخيم بها إذا أقام بها وتظلل
فيها وقيل هي بيوت من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف إلى القصور في الجنة عن أبي موسى
الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة
مجوفة طولها في السماء وفي رواية ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤ
من فلا يرى بعضهم بعضا فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر
قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى
هذا عن ابن عباس وقيل الرفارف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المحابس والفرش منه
وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب
فهو رفرف وعبقري قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس المخملة إلى الرقة
ما هي وقيل كل ثوب موشى عند العرب عبقري قال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغ
يرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقريا يفري فريه
وأصل هذا أنه قيل إنه نسب إلى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب
إلى شيء رفيع عجيب وفي لسان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل
أمر عجيب بديع فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام قيل لما
ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وفيه إشارة إلى الباقي هو

هو الله تعالى وان الدنيا فانية فيختم بعد الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تسبيحه وتحميده عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي وغيرهما ولم يقعد الا مقدار ما يقول والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الواقعة

قف

وهي مكية وتسعون وتسع آية وثلاثمائة وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف روى البغوي بسنده عن ابي طيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا قال وكان ابو طيبة لا يدعها ابدا اخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول بغير اسناد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة ليس لوقعتها كاذبة اي ليس لها كذب والمعنى انها تقع صدقا وحقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة اي كل من اخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة اي كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها خافضة رافعة اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا متواضعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة اذا رجت الارض رجا اي حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من الجبال وغيرها وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهبت فكانت هباء منبثا اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء وكنتم ازواجا ثلاثة اي اصنافا ثلاثة ثم فسر الازواج فقال تعالى فاصحاب الميمنة يعني اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله تعالى وهم التابعون باحسان ما اصحاب الميمنة تعجب من حالهم في السعادة والمعنى اي شيء هم واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة هم اصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم حين اخرجت الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا ابالي وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى والسابقون السابقون قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة

السابقون

والسابقون الى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعى الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم الانبياء المتوجون يوم القيامة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر اولا الصورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا للعبيد فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسيء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى اولئك المقربون اي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله تعالى في جنات النعيم قوله تعالى ثلة اي جماعة غير محصورة العدد من الاولين اي من الامم الماضية من لدن آدم الى زمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوا بهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل الاولين هم المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين من جاء بعدهم من الصحابة على سرر موضونة اي منسوجة بالذهب والجوهر وقيل موضونة يعني مصفوفة متكئين عليها متقابلين يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في اهل الجنة وقيل لانهم صاروا ازواجا نبية صافية ليس لهم ادبار ولا ظهور يطوف عليهم اي للخدمة ولدان اي غلمان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون اي مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم اولاد المؤمنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله تعالى اخبر انه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له وقيل هم اولاد الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول اقرب من الاول لانه قد اختلف في اولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقفت فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يقول بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله تعالى انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وهم وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا لقرب عهده بالولادة وان اسنت باكواب جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرى واباريق جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يبرق باطنها كظاهرها وكأس من معين اي من خمر جارية لا يصدعون عنها اي لا تنصدع رؤوسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها ولا ينزفون اي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم وفي كيفية

أي يأخذون خيارها ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل إنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يصير طيرا فإن قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضر عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم وإذا حضر عند الشبعان تميل نفسه إلى الفاكهة والجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة إنما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم إلى الفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم وإذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه إليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم ﴿وحور عين﴾ أي ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء في تفسير حور أي بيض عين أي ضخام العيون ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الأيدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء وروي أنه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا فقيل ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها وروي أن الحوراء إذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الأسورة من ساعديها وإن عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا ﴿لا يسمعون فيها﴾ أي في الجنة ﴿لغوا﴾ قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع ﴿ولا تأثيما﴾ قيل معناه أنه لا يلغو بعضهم لبعض لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأثمون تأثيما أي ما هو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح ﴿إلا قيلا﴾ معناه لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا ﴿سلاما سلاما﴾ يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم ويرسل الرب بالسلام إليهم وقيل معناه أن قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود﴾ أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل إنما ذكر لأن المسلمين نظروا إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية ﴿وطلح﴾ قيل هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بما يحبون ويعرفون إلا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على النار ﴿منضود﴾ أي متراكم قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه إلى أغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز هو هنا بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه ﴿وظل ممدود﴾ أي دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا ولأن الجنة لا أرض لها كلها لا شمس فيها وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرءوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾ وعن ابن عباس في قوله ﴿وظل ممدود﴾ قال شجرة على ساق يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا

فيرسل الله عز وجل

الخلاخل

والعجب من شأنهم فقال ما أصحاب اليمين

١٠٠

فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك الشجرة بكل لهو في الدنيا ﴿وماء مسكوب﴾ أي مصبوب يجري دائما في غير أخدود لا ينقطع ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ قال ابن عباس لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد إذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل إليها إلا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال علي مرفوعة على الأسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث وارتفاعها كما بين السماء والأرض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة يعني رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله عقبه ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر ﴿فجعلناهن أبكارا﴾ يعني عذارى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أنشأناهن إنشاء من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكي فقال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل وروي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إنا أنشأناهن إنشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلهن أبكارا قال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل إنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع ﴿عربا﴾ جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام ﴿أترابا﴾ يعني أمثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿لأصحاب اليمين﴾ يعني أنشأناهن لأصحاب اليمين وقيل هذا التخصيص لا يكون إلا لأصحاب اليمين ﴿ثلة من الأولين﴾ يعني من مؤمني الأمم الخالية قبل هذه الأمة ﴿وثلة من الآخرين﴾ يعني من مؤمني هذه الأمة يدل عليه ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبي الله آمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلينا ثلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها إلا السودان من رعاة الإبل ممن قال

قال لا إله إلا الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت
علي الأمم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس
معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن
انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة
بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة
بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم ولعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ولعلهم الذين ولدوا في
الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي
تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر
فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة. تصغير رهط وهو دون العشرة
وقيل إلى الأربعين. وعن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحو
من أربعين فقال أترضون أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس
مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة
السوداء في جلد الثور الأحمر. وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون
ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن. وذهب جماعة إلى أن الثلتين جميعا من هذه الأمة وهو قول أبي العالية ومجاهد
وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابقي هذه الأمة وثلة من الآخرين من
هذه الأمة أيضا في آخر الزمان يدل عليه ما رواه البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس
في هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا
من أمتي وهو القول اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم
وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه. فإن قلت كيف
قال في الآية الأولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين. قلت الآية الأولى
في السابقين الأولين وقليل من يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في أصحاب اليمين وهم كثيرون
من الأولين والآخرين. وحكى بعضهم أن هذه ناسخة للأولى واستبعده عروة بن رويم
ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لأن الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ. قوله تعالى
وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال قد تقدم أنه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون
كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى في سموم في حر النار
وقيل ريح شديدة الحرارة وحميم أي ماء حار يغلي وظل من يحموم يعني ظل من دخان شديد
في السواد وقيل النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقيل اليحموم اسم
من أسماء النار لا بارد ولا كريم يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذكر أن فائدة الظل
ترجع إلى أمرين أحدهما رفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الإنسان فيه مكرما وظل
أهل النار بخلاف هذا لأنهم في ظل من دخان أسود حار ثم بين جنايتهم التي استحقوا بها ذلك فقال تعالى
إنهم كانوا قبل ذلك مترفين يعني في الدنيا منعمين وكانوا يصرون على الحنث العظيم

يعني عن الذنب الكبير

يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس ومعنى ذلك
أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى
وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون فرد الله
تعالى عليهم بقوله قل إن الأولين والآخرين يعني الآباء والأبناء لمجموعون إلى ميقات يوم
معلوم يعني أنهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب ثم إنكم أيها الضالون المكذبون
أي بالبعث والخطاب لكفار مكة ومن كان على مثل حالهم لآكلون من شجر من زقوم
فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب
الهيم يعني الإبل العطاش وقيل إن الهيم داء يصيب الإبل فلا تروى معه ولا تزال تشرب
حتى تهلك وقيل الهيم الرمل التي لا تروى بالماء فيقال يلقى على أهل النار العطش
فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم وا
لحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم يوم الدين يعني يوم يجازون بأعمالهم
ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى نحن خلقناكم يعني ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون ذلك
فلولا أي فهلا تصدقون يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل أفرأيتم ما
تمنون يعني ما تصبون في الأرحام من النطف أأنتم تخلقونه أي أأنتم تخلقون ما تمنون
أم نحن الخالقون أي الله خلق النطفة وصورها وجعلها فلولا تصدقون بأن الله واحد
فاعترفوا أن يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق نحن
قدرنا بينكم الموت يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت
صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه أنه جعل أهل
السماء وأهل الأرض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا
قضينا وما نحن بمسبوقين يعني لا يعجزني شيء أريده ولا يمتنع مني أحد وقيل
معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم وهو قوله تعالى
على أن نبدل أمثالكم أي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في أسرع حين وننشئكم
أي نخلقكم فيما لا تعلمون أي من الصور والمعنى نغير خلقكم إلى ما هو أشنع منها مثل
خلقنا شيئا وقيل فيما لا تعلمون في حواصل طير سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت
وهو واد باليمن وهذه الأقوال كلها على المعنى وعلى أنه لو شاء أن يبدل لهم
بأمثالهم من بني آدم فعل ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم فعل وقال بعض أهل المعاني
هذه الآية على النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون
كيفيته كما يعلمون الإنشاء الأول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما
نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمونه يعني وقت البعث والقيامة وفيه فائدة
وهي التحريض على العمل الصالح لأن التبديل والإنشاء هو الموت والبعث فإذا كان
في زمن لا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن الاستعداد
للعدة ولقد علمتم النشأة الأولى أي الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا وفيه تقرير
للنشأة الثانية يوم القيامة فلولا تذكرون أي تعلمون بأني قادر على إعادتكم كما

فقدرنا على إبداء أيكم أول مرة قوله تعالى أفرأيتم ما تحرثون لما ذكر الله عز
وجل ابتداء الخلق وما يجيء من بعده إلى الوحدانية ثم ذكر بعده الرزق لأن به البقاء وذكر
أمورا ثلاثا المأكول والمشروب وما به إصلاح المأكول ورتبها ترتيبا حسنا فذكر
المأكول أولا لأنه هو الغذاء ثم أتبعه بالمشروب لأن به الاستمراء ثم النار التي بها
الإصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لأنه هو الأصل ومن المشروب الماء لأنه أيضا هو
الأصل وذكر من المصطلحات النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية فقوله أفرأ
يتم ما تحرثون أي تثيرون من الأرض وتلقون فيها البذر أأنتم تزرعونه أي تنبتونه و
تنمونه حتى يصير شيئا ويقوم على سوقه أم نحن الزارعون معناه أأنتم تفعلون ذلك
أم الله عز وجل ولا شك في أن إنبات الحب في السنبل لا يقدر يفعله أحد غير الله تعالى وإن
كان إلقاء البذر من فعل الناس لو نشاء لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه البذر حطاما
أي تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعنى
نحن بقولنا نحن الزارعون وهو بعيد من يصيره زرعا لا يفعلنا ولا يفعل غيرنا فرد الله على هذا المعنى
ثم بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون أي فصرتم على حطمه أي هو في بقع على نفسه
بنفسه تلك الآيات التي تصيبه ولا تحيك أحدا إن يقع الآفات لحصة الآيات إلا الله وحفظه وفظلتم
تفكهون أي تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما أسلفه
منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو التفكه على
ما فاتكم إنا لمغرمون أي وتقولون إنا لمغرمون لمعذبون في الغرم ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقال
ابن عباس لمغرمون يعني أنهم غرموا أثمان أموالهم بغير فائدة والمعنى إنا غرمنا
الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض بل نحن محرومون أي ممنوعون والمعنى أحرمنا الغلة كنا نطلب
من الريع في الزرع أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن يعني السحاب ذكرهم
الله تعالى نعمه عليهم بأن الإنسان الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى لو نشاء جعلناه أجاجا قال
ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يقدر على شربه فلولا تشكرون يعني نعمه عليكم أفرأيتم
النار التي تورون يعني التي تقدحونها من الزناد أأنتم أنشأتم شجرتها يعني التي تقدح منها
النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما خضراوان وقيل أراد جميع الشجر
التي يوقد بها النار أم نحن المنشئون نحن جعلناها يعني نار الدنيا تذكرة يعني للنار الكبرى إذا
رآها الرائي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله عز وجل ويخاف عقابه وقيل موعظة
يتعظ بها المؤمن وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم
ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية
يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها ومتاعا أي بلغة
ومنفعة للمقوين يعني المسافرين والمقوي النازل في الأرض القوي وهي القفر الخالية البعيدة من
العمران والمعنى أنه ينتفع بها المسافرون والحاضرون لكن منفعتهم أكثر من المقيم فإنهم يوقدونها
بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضلال إلى غير ذلك من المنافع وهذا قول أكثر المفسرين
وقيل المقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها في البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز إلى غير

ذلك من المنافع

من المنافع وقيل المقوين من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد
والمعنى فيها متاع ومنفعة للفقراء والأغنياء جميعا لا غنى لأحد عنها فسبح باسم ربك ال
عظيم لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقدرته وإنعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم
والمراد به الخلق وقيل خطابا لكل واحد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم أي برئه ونزهه عما يقول
المشركون في صفاته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح ربك العظيم قوله عز وجل
فلا أقسم قال أكثر المفسرين معناه فأقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على أصلها وفي معناها
وجهان أحدهما أنها ترجع إلى ما تقدم ومعناها النهي تقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكر
ته من النعم والحجج والوجه الثاني أن لا رد لما قاله الكفار في القرآن من أنه شعر وسحر وكهانة والمعنى
ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى والله لا صحة لقول الكفار وقيل إن
لا هنا معناها النفي كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الأمر لا النهي عن السؤال
بمواقع النجوم قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فإنه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم متفرقا قطعا نجوما وقيل أراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وا
نتشارها يوم القيامة وقيل مواقعها في أتباع الشياطين عند الرجوم وإنه لقسم
لو تعلمون عظيم قيل هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى أن القسم بموا
قع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون لو علمتم عظمته
وقيل إنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم
أي إن الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآن كريم أي عزيز مكرم لأنه كلام الله عز و
جل ووحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شأنه أن يعطي الكثير وسمي
القرآن كريما لأنه يفيد الدلائل التي تؤدي إلى الخير في الدين والدنيا وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد
والقرآن كريم يحمد فيه الأديب ويستفيد منه ويتعلم منه فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل
سمي كريما لأن كل أحد ينال منه ويعطيه من صغير وكبير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب
وقيل إن الكلام إذا أكثر مراراه هان في الأسماع ويهون في الأعين فتمله الآذان والقرآن
كريم عزيز لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا
يثقل على الألسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك في كتاب مكنون أي مصون مستور
عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشياطين من أن ينال بسوء وقيل المراد بالكتاب ال
مصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الأول أرجح لا يمسه
أي ذلك الكتاب المكنون إلا المطهرون وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذ
نوب والأحداث وإنما يروى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتا
دة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني أن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا
يمسه إلا المطهرون أي من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن
قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به وقيل معناه لا يقرأه إلا الموحدون وقال قوم
معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز
للجنب والحائض والمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم

واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي واكثر الفقهاء ويدل عليه ما روي مالك في الموطا
عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه و
سلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرءان الا طاهر اخرجه مالك مرسلا **وقد جاء موصولا** عن ابي بكر بن عمرو
بن حزم عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا الكتاب وفيه لا يمس القرءان الا طاهر **ورو**
ى الدارقطني بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرءان الا طاهر
وكره السفر بالقرءان المصحف لئلا ينال(؟) قرءانا على قرب الجواب ولا انساع لما روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرءان الى ارض العدو واباح بعض(؟) المصحف ابو الحكم وحماد وابو حنيفة
يجوز للجنب والمحدث حمل المصحف ومسه بغلاف **فان قلت** اذا كان الاصح ان المراد
من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان المراد بلا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد
نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهير **فقلت** يجب(؟) من قال الشافعي لا يجوز للمحدث
مس المصحف **قلت** من قال ان الشافعي اخذه من صريح الاية حمله على التفسير الثاني
وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من صريح الاستنباط قال نفي المس
بغير الطهارة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا الاليق بجلالة المصحف
الكريم لانه اخوى من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله تعالى اعلم **وفوله**
تنزيل من رب العالمين صفة للقرءان اي منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة
يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرءان شعر وسحر وكهانة فقال
الله تعالى بل القرءان تنزيل من رب العالمين **فوله عز وجل** افبهذا الحديث يعني القرءان
انتم يا اهل مكة مدهنون **قال ابن عباس** مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن
الكذاب المنافق وهو الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكا
فر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم من القرءان انكم تكذبون
قال الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب **و**
قال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي بنعمة الله عليكم
وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك
الا من فضل الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال
الى النجم فقد كذب برزق الله ونعمه وقد كذب بما جاء به القرءان والمعنى تجعلون بدل الشكر التكذيب
عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر
سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم
قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب
واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب رواه مسلم عن ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون **وعن ابي هريرة** رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من
السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس كافرين بها ينزل الله الغيث فيقولون من الكواكب
كذا وكذا **وعن علي** بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي
شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا او كذا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

فوله

فوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس الروح الحلقوم عند الموت وانتم
حينئذ تنظرون يعني الى الميت متى تخرج نفسه **وقيل** تنظرون الى امري
وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا ونحن اقرب اليه منكم اي بالعلم والقدرة والرؤية
وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم ولكن لا تبصرون اي الذين يحضرونه من
الملائكة لقبض روحه **وقيل** لا تبصرون اي لا تعلمون ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين اي مملو
كين وقيل محاسبين ومجزيين ترجعونها ان كنتم صادقين اي تردون نفس هذا الميت
الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم **وعن** قوله فلو
لا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وقوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه
لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا
لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فامنوا به ثم ذكر طبقات الخلق
عند الموت وبين درجاتهم **فقال تعالى** فاما ان كان من المقربين يعني السابقين فروح
يعني فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة وريحان يعني وله استراحة **وقيل**
رزق **وقيل** هو الريحان الذي يشم **قال ابو العالية** لا يفارق واحد من المقربين الدنيا
حتى يوتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فيقبض روحه وجنة نعيم اي وله جنة نعيم يعني
في الاخرة **قال ابو بكر** الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار واما ان
كان يعني المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلامة لك يا محمد
منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله وانك ترى فيهم ما تحب من السلامة

وقيل هو ان الله فيحا وزعم سيا انتهى وقيل حسنا انتهى وقيل معناه مسلم لك انك من اصحاب اليمين فيقال اصحاب اليمين مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين اي عن الهدى وهم اصحاب الشمال فنزل من حميم اي الذي يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم اي ادخال في عظيمة ان هذا يعني ما ذكر من قصة المحتضرين لهو حق اليقين اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصنا عليك هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله تعالى لاوليائه من النعيم وما اعد لاعدائه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود عن حذيفة رضي الله عنه انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على آية رحمة الا وقف وسال وما اتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة عن ابي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخرجه في صحيح البخاري والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

سورة الحديد مكية في قول

وهي تسع وعشرون آية وخمسماية واربع واربعون كلمة والفان واربعماية وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله تعالى عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد فاختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم والصواب ان التسبيح هو القول الذي لا يبصر الامن الهما فالعارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انه يدل على تعظيمه وتنزيهه الثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله في السموات من في السموات وهم الملائكة ويسبحون في الارض هم المؤمنون العارفون

بالله تعالى وان حملنا

وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال الله تعالى منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء. فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة في المستقبل وهو العزيز اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء. الحكيم اي الذي جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب له ملك السموات والارض اي انه الغني عن جميع خلقه وهم محتاجون اليه يحيي ويميت اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وهو على كل شيء قدير. قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن يعني هو الاول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجودا والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالادلة الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذي سبق وجوده كل موجود والآخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر الباقلاني معناه ان الله تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرتهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعني اهل السنة خلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقول آخر من بقي من بني فلان يريد به حياته ولا يريد فناء اجسام موتاهم وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهد العلامات الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا تستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيته يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شيء عليم عن سهيل بن ابي صالح قال كان ابو صالح يأمرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن

ثم يقول اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء. فالق الحب
والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته وفي رواية
من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء. وأنت
الآخر فليس بعدك شيء. وأنت الظاهر فليس فوقك شيء. وأنت الباطن فليس دونك
شيء. اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وكان يروي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه
إذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله
أعلم قال هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقها الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه
ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الرقيع سقف
محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله
أعلم قال بينكم وبينها مسيرة خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا
الله ورسوله أعلم قال سماءان بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات
ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله
ورسوله أعلم قال فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال
هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الأرض ثم قال هل تدرون
ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمس
مائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده
لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الأول والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب. قال الترمذي
قال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث إنما أراد على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته
وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه. العنان اسم للسحاب
ومعنى روايا الأرض حوامل الماء. الرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا. قوله عز
وجل هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في
الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها تقدم تفسيره وهو معكم أينما
كنتم أي بالعلم والقدرة فليس ينفك أحد من تعلق علم الله تعالى وقدرته به في كل أرض و
سماء برا وبحرا وقيل هو معكم بالحفظ والحراسة قوله والله بما تعملون بصير يدل على
صحة القول الأول له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور تقدم تفسيره قوله تعالى آمنوا بالله ورسو
له لما ذكر الله أنواع الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب
كفار قريش ويأمرهم بالإيمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والإعراض عنها والنفقة
في جميع وجوه البر وهو قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني المال الذي
كان بيد غيركم فأهلكهم وأعطاكم إياه فكنتم في ذلك المال خلفاء عمن مضى والعاقل

منكم

منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم يعني
وأي عذر لكم في ترك الإيمان بالله والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق
بالبرهان والحجج وقد أخذ ميثاقكم أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله
ربكم لا إله لكم سواه، وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة والبرا
هين والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول إن كنتم مؤمنين أي يوما ما، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام
الحجج والإعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن وهو قوله تعالى هو الذي ينزل على
عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم آيات بينات يعني القرآن ليخرجكم يعني الله تعالى بالقرآن وقيل الرسول
بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان وإن الله بكم لرؤوف رحيم قوله تعالى
وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض يقول أي شيء لكم في ترك الإنفاق
فيما يقرب من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالأولى أن تنفقوها أنتم فيما يقربكم إلى
الله تعالى ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى لا يستوي
منكم من أنفق من قبل الفتح يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا
يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق
ماله وقاتل بعد الفتح أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي نزلت هذه الآية
في أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر إسلامه بسيفه سبعة منهم النبي صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنه قال كنت عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالي أرى أبا بكر عليه
عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فإن الله عز وجل يقول اقرأ عليه
السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن الله يقرأ
عليك السلام ويقول لك أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي أنا عن ربي راض
أنا عن ربي راض وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل
الفتح في أفضلها والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا أي صادقا محتسبا بالصدقة
طيبة بها نفسه وسمي هذا الإنفاق قرضا من حيث إن الله وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء
القرض لا يكون حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود المال
وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها وأن تكتم الصدقة ما أمكنك
وأن لا تتبعها بالمن والأذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وأن تستحقر ما تعطي وتتصدق
به وإن كان كثيرا وأن يكون من أحب أموالك إليك وأن ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه
عشرة أوصاف إذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا فيضاعفه له يعني يعطيه أجره على
إنفاقه مضاعفا وله أجر كريم يعني ذلك الأجر كريم في نفسه قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يعني على الصراط أي عن أيمانهم وقيل أراد
جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله
عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن وصنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين

من بين يديه نوره إلا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره
كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الآية
يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم بأيمانهم ويقولون لهم أهل الجنة بشراكم اليوم جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا
انظرونا أي انتظرونا نقتبس من نوركم أي نستضيء من نوركم قيل يغشى الناس كلهم ظلمة يوم القيامة
فيعطي الله المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون على الصراط ويعطي المنافقين نورا خديعة لهم بينا
هم يمشون إذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين
آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا نور
هم كما سلب نور المنافقين وقيل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون
بقوا في الظلمة فقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم قال ابن عباس
يقول لهم المؤمنون وقيل معناه لا نور لكم وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث
جئتم وقيل ارجعوا إلى الدنيا فاعملوا أعمالا يجعل الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا
وراءكم فالتمسوا أي اطلبوا لأنفسكم هناك نورا أي لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا فيرجعون
في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم ليلحقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين وهو قوله تعالى
فضرب بينهم بسور أي بين المؤمنين والمنافقين بسور وهو حائط بين الجنة والنار له أي لذلك
السور باب باطنه فيه الرحمة أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله العذاب
أي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروي عن عبد الله بن عمر قال إن السور الذي ذكر الله في
القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم
وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى في بيت المقدس باب الرحمة الذي قال الله عز وجل فضرب
بينهم بسور له باب الآية ينادونهم يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز
بينهم وبقوا في الظلمة ألم نكن معكم أي في الدنيا نصلي ونصوم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم أي أه
لكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم أي بالإيمان
والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه وارتبتم أي شككتم
في نبوته وفيما أوعدكم به وغرتكم الأماني أي الأباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤ
منين حتى جاء أمر الله يعني الموت وقيل هو إلقاؤهم في النار وغركم بالله الغرور يعني
الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية أي عوض وبدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم إيمان ولا توبة ولا من الذين
كفروا يعني المشركين وإنما عطف الكفار على المنافقين وإن كان المنافق كافرا في الحقيقة لأن المنافق أبطن
الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق مأواكم النار أي هي مصيركم هي
مولاكم أي أولى بكم وقيل هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تتولى عقابكم لأنها ملكت أمركم
وأسلمتم إليها فهي أولى بكم وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لأن من كانت النار مولاه فلا مولى له وبئس
المصير قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قيل نزلت في المنافقين
بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فإن فيها

العجائب

ربع

نحن نقص عليك أحسن القصص وأخبرهم أن القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا
فسألوا مثل ذلك فنزلت هذه الآية الله نزل أحسن الحديث فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فسألوا
فنزلت هذه الآية يعني فيها القرآن وقيل قوله ألم يأن للذين آمنوا في العلانية باللسان ولم يؤمنوا با
لقلب وقيل نزلت في المؤمنين وذلك أنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا
عليه فعوتبوا ونزل فيهم ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا
الله بهذه الآية إلا أربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس إن الله عز وجل استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم
على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم أي ترق
وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله أي لمواعظ الله وما نزل من الحق يعني القرآن ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى فطال عليهم الأمد أي الزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم فقست
قلوبهم قال ابن عباس مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى أن الله نهى المؤمنين أن يكونوا
في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر وروي عن أبي موسى الأشعري أنه
بعث إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤ
هم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم فاسقون
يعني الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل اعلموا أن الله يحيي الأرض أي بالـ
مطر بعد موتها أي يخرج منها النبات بعد يبسها وكذلك يقدر على إحياء الموتى وقال ابن عباس
يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة وإلا فقد علم إحياء
الأرض بالمطر مشاهدة قد بينا لكم الآيات أي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون إن الـ
مصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا أي بالصدقة والنفقة في سبيل الله يضاعف
لهم [illegible] ذلك القرض ولهم أجر كريم أي ثواب حسن وهو الجنة والذين آمنوا بالله ورسله أولئك
هم الصديقون أي الكثير الصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية يعني
هذه الآية عامة في كل من آمن بالله ورسله وقيل إن الآية خاصة في ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل
الأرض في زمانهم إلى الإسلام وهم أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم
عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند ربهم قيل أراد بالشهداء المؤ
منين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم
ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الأنبياء
الذين يشهدون على الأمم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله لهم أجرهم
أي بما عملوا من العمل الصالح ونورهم أي على الصراط والذين كفروا وكذبوا بآ
ياتنا أولئك أصحاب الجحيم لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بحال المكذبين قوله عز وجل اعلموا
أنما الحياة الدنيا أي [illegible] الحياة في هذه الدار الدنيا [illegible]
[illegible] كما تقول لعب ولهو أي [illegible]
أي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو أي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب وزينة أي منظر
يتزينون به وتفاخر بينكم يعني أنكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض وتكاثر
في الأموال والأولاد [illegible] مباهاة بكثرة الأموال والأولاد وقيل [illegible] فيتطاولون بماله وخدمه

مع ولده على اولياء الله واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار
اي الزراع انما سمي الزراع كفارا لانهم يكفرون البذر في الارض نباته اي ما نبت بذلك الغيث فتراه مصفرا اي
بعد خضرته ثم يكون حطاما اي يحطم ويتكسر بعضه ببعضه ويفنى وفي الآخرة عذاب شديد اي لمن يؤثر
دنياه على آخرته الصعبة قال اهل المعاني هو ما لله تعالى ذمه في الآية في العمل للدنيا وهي حياة
حياة الكافر وحياة من يشتغل باللهو واللعب ورغب في العمل للآخرة بقوله ومغفرة
من الله ورضوان اي لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة من الله و
رضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن عمل
لها ولم يعمل للآخرة وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة فمن اشتغل في
الدنيا بطلب الآخرة فهو له بلاغ الى ما هو خير منه قوله عز وجل سابقوا الى مغفرة من
ربكم معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم
في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة اي الى ما يوجب المغفرة
وهو التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فيدخل فيه التوبة
وغيرها وجنة عرضها كعرض السماء والارض قيل ان السماوات السبع والارضين
السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال
ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض
الجنة بعرض السماوات والارضين ولا شك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على
ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم
واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السماوات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السماوات
والارض على ما يعرفه الناس اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه اعظم رجاء واقوى امل
لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر يدل عليه قوله في
سياق الآية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فبين انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله والله ذو الفضل
العظيم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم
عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة وقد تقدم
الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير
سورة النحل قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار
ولا في انفسكم يعني الامراض وفقد الاولاد الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل ان نبرأها
اي من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة ان ذلك على الله يسير
اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله ثم قال لكيلا تأسوا اي تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا
ولا تفرحوا اي تبطروا بما آتاكم اي اعطاكم قال عكرمة ليس من احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن
اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده
اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت والله لا يحب كل مختال فخور اي متكبر بما اوتي من الد
نيا فخور به على الناس الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل قيل هذه الآية غير
متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون بما في ايديهم مما لا حق لهم فيه و

من لم ينفق عليهم الله وعن ذلك عنده فيبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه ا
الخير لا يكفيهم انهم يبخلوا بل يامرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف
لا تعلق له بما قبله انها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وبخلوا ببيان نعته ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله هو الغني اي عن عباده الحميد الى اوليائه
قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالآيات والحجج والدلالات وانزلنا معهم
الكتاب اي المتضمن للاحكام وشرائع الدين والميزان يعني العدل اي وامرنا بالعدل
وقيل الميزان هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ليقوم
الناس بالقسط اي ليتعاملوا بالعدل وانزلنا الحديد قال ان الله تعالى انزل مع آدم عليه السلام حين
اهبطه الى الارض الحديد والماء والنار والملح والكلبتين وروي عن ابن عمر رفعه ان الله
انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلناها بمعنى انشأنا
ها واحدثنا الحديد وقيل ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته
بوحيه والهامه فيه بأس شديد اي قوة شديدة فمنه جنة وهو آلة الدفع و
منه سلاح وهو آلة الضرب ومنافع للناس ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم
كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة ولا غنى لاحد عنه وليعلم الله من
اي وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله
من ينصره اي ينصر دينه ورسله اي وينصر رسله بالغيب اي الذين لم يروه والله ولا
الآخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقيل يبصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي
عزيز اي في امره منيع في ملكه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة
والكتاب يعني الا من نسلهما فمنهم اي من الذرية مهتد وكثير منهم فاسقون ثم
قفينا على آثارهم برسلنا والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت
الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل و
جعلنا في قلوب الذين اتبعوه اي على دينه رأفة ورحمة يعني انهم كانوا متوادين
بعضهم لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى انهم جاؤ
وا بها من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فلا
يبين مع العفة وحملوا انفسهم المشاق في العبادة الزائدة والشغل الخشن في
المطعم والمشرب والملبس مع التقليل منه ما كتبناها اي ما فرضناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق
رعايتها يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا
اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في ملوكهم واقام اناس منهم
على دين عيسى الى ان ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وذلك قوله تعالى فآتينا الذين آمنوا
منهم اجرهم وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح وكثير منهم فاسقون وهم
الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه السلام روى البغوي بسنده

بإسناده الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك
سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه السلام فأخذوهم
وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم
يدعوهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله
عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي
فأولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حمار فقال يا ابن أم عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية فقلت
الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي
فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم الله أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم
إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهم ولا أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا
نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله عز وجل النبي الذي وعدنا عيسى به يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم
من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها فآتينا الذين آمنوا منهم يعني من
ثبتوا عليها أجرهم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت
الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع
وروي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لكل أمة رهبانية ور
هبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد
عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرأون التورا
ة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم
فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراء
ة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون إلى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا
فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانا ثم ارفعونا فيها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا
وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشر
ب الوحوش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيا
في ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل إلا
له حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى عليه السلام
وخلف قوم من بعدهم ممن قد غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان
فنتعبد كما تعبد ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم
لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها
يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاءوا من بعدهم
فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ابتغاء رضوان

الله وكثير منهم

وكثير منهم فاسقون هم الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يبق إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره
فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسو
له يؤتكم كفلين من رحمته أي أجرين بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل وبإيما
نهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم قال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتبا
عهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ألا
يقدرون على شيء من فضل الله الآية أخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم
انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك لأنهم تركوا
الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما
رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا
منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا
الرهبانية ويكون معنى قوله إلا ابتغاء رضوان الله أي لاتباع ما أمر به دون الترهيب لأنه لم يأمر
به قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخطاب لأهل الكتابين من اليهود وا
لنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وآ
منوا به وهو قوله وآمنوا برسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين أي
نصيبين من رحمته يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى والإنجيل وبمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم
والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأد
بها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران
ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو ا
لهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به ويغفر لكم أي ما سلف
من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب
قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين
أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله
أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب أي ليعلم ولا صلة أهل الكتا
ب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين ألا يقدرون
على شيء من فضل الله والمعنى جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد صلى الله
عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به أن لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله وقيل لما نزل
في مؤمني أهل الكتاب أولئك يؤتون أجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر
فشق ذلك على المسلمين ليعلم أهل الكتاب يعني المؤمنين منهم ألا يقدرون
على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يعني الذي خصكم به فإنه فضلكم على جميع
الخلائق وقيل يجوز أن يكون الأجر الواحد أكثر من الأجرين وقيل قالت اليهود

فقالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي • فيقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب
ما كفروا به فانزل الله عز وجل هذه الاية فجعل هذه ان يكون فضل الله النبوة يؤتيه
من يشاء • يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه ملكه و
تصرفه يؤتيه من يشاء لانه فاعل مختار والله ذو الفضل العظيم عن عبد الله بن عمر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم في المنبر يقول انما بقاؤكم
فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التوراة
التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا واعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل
الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا
القرءان فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتاب
اي ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا
قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء
وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب
الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل
لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط
ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من
نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر
الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى
مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن اكثر عملا واقل
عطاء قال الله عز وجل هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي اعطيه
من شئت خ عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم
فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما
عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا و
تركوا واستاجر اخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم
من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت
لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فان ما بقي من النهار شيء يسير فابوا فاستاجر قوما
ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين
كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المجادلة وهي مدنية وهي اثنان وعشرون
اية واربع ماية وثلاثة وسبعون كلمة والف وسبعماية واثنان وسبعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها
اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكانت به لمم وكانت هي حسنة الجسم فراءاها

فابت عليه

فابت عليه فقال انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق الجا
هلية فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فاتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعائشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا
شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني
وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه
فقالت يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس
الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي
قد طالت له صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت
عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية
صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقو
ل اللهم اني اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك وهذا اول ظهار في الاسلام
فقامت عائشة تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله
فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه اخذه
مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية خ عن عائشة رضي الله عنها قالت الحمد
لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة تشكو الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في جانب البيت وما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك
وتشتكي الى الله الاية وقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك
اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها اي في امر زوجها وتشتكي الى الله اي
شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام
ان الله سميع اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير اي لمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى
الذين يظاهرون منكم من نسائهم يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم
اي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهم كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم ان امهاتهم
اي ما امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم يعني المظاهرين ليقولون منكرا من
القول يعني لا يعرف في شرع وزورا يعني كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزو
را لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم
صار ذلك منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة
عليهم

فصل في احكام الظهار وفيه مسايل المسئلة
الاولى في معناه اللغة فيل انه مشتق من الظهر وقيل انه مشتق من العلو وهو
العلو وليس هو من الظهر الذي هو العضو لانه ليس الظهر باولى من ساير الاعضاء التي هي مواضع التلذذ
والمباضعة فثبت بهذا انه ماخوذ من الظهر الذي هو العلو لان المراة مركوبة
له ويدل عليه قول العرب في الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي [illegible]

أي حذف وإضمار لا زنا وبلده لظهرك على حرام أي ملكي إياها وعلوي عليك حرام كما علوا
في وملكها على حرام
في التحريم وآكد ما يكون [illegible] الحكم **المسألة** الثانية كان الظهار من أشد طلاق الجاهلية لأنه
تلا تسمية للتحريم إنما يحتاج في الشرائع صار مفعولا في الشرع كانت [illegible] مختصة له ولا لم يعد
[illegible] في الشرائع لا في أحكام الجاهلية وعادتهم **المسألة**
الثلاثة في الألفاظ المستعملة بهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقهاء الأصل في هذه
قوله أنت علي كظهر أمي أو أنت مني ومعي وعندي كظهر أمي وكذلك لو قال أنت علي كبطن أمي أو كرأسها
أو كيدها أو قال بطنك أو رأسك أو يدك علي كظهر أمي وشبه عضوا منها بعضو
من أعضاء أمه يكون له ظهارا وقال أبو حنيفة إن شبهها ببطن أمه أو فرجها أو
فخذها يكون ظهارا وإن شبهها بعضو من غير هذه الأعضاء لا يكون ظهارا
ولو قال أنت علي كظهر أمي أو كروح أمي وأراد به الإعزاز والإكرام لا يكون
ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال أنت علي كظهر جدتي
يكون ظهارا وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت علي
كظهر أختي أو عمتي أو خالتي أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا
على الأصح **المسألة الرابعة** فيمن يصح ظهارها **قال الشافعي** الضابط في
هذا أن كل من صح طلاقه يصح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي **وقال أبو حنيفة**
لا يصح احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج أبو حنيفة
بأن هذا خطاب للمؤمنين فيدل على أن الظهار مختص بالمؤمنين **وأجيب** عنه
بأن هذا الخطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم أنه مختص بالمؤمنين و[illegible]
يظهرون من نسائهم يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ثم يعودون لما قالوا
اختلف العلماء في معنى العود في قوله ثم يعودون لما قالوا [illegible] أقوال أهل العربية ثم
بيان أقوال الفقهاء **فنقول** قال الفراء لا فرق في اللغة بين أن يقال يعودون لما
قالوا وفيما قالوا **وقال** أبو علي الفارسي [illegible]
[illegible] أوحى لها [illegible] قوله لما قالوا [illegible] أحدهما أنه لفظ الظهار والمعنى أنهم
يعودون إلى ذلك اللفظ [illegible] لما قالوا [illegible] وهو الذي حرموه على أنفسهم
بلفظ الظهار [illegible] منزلة [illegible] وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا أي
يعودون [illegible] وهو الذي قالوا فيه [illegible] ذلك القول ثم [illegible]
اللفظ بالوجه الأول [illegible] يكون المعنى [illegible] ويفعله مرة أخرى وعلى الوجه الثاني يجوز
أن يقال [illegible] نقض ما [illegible] من [illegible] ثم أراد أن يفعله ثانيا فقد عاد إليه وكذا
من [illegible] ثم أراد [illegible] فقد عاد إليه بالنقض فيه [illegible]
[illegible] لما قالوا **ويحتمل** أن يكون المراد ثم يعودون إليه بأن يفعلوا مثله مرة أخرى **ويحتمل**
أن يعودوا إليه [illegible] النقض و[illegible] وإلى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين ثم إنما
اختلفوا على وجوه الأول وهو قول الشافعي أن معنى العود لما قالوا هو السكوت [illegible]
[illegible] زمانا [illegible] من الطلاق [illegible] الكفارة عليه [illegible]

[illegible]

عن الظهار [illegible] بدل الله [illegible] التحريم [illegible] الكفارة و[illegible] العود بالنعم
فقال [illegible] إلى اللغة [illegible] وهو قول أبي حنيفة أنه عبارة عن استباحة
استباحة الوطء والاستمتاع [illegible] بالشهوة **وذلك** لأنه لما [illegible] حرمة الوطء [illegible]
ثم [illegible] ثم لذلك كان مناقضا [illegible] أنت علي كظهر أمي **الوجه** الثالث وهو قول مالك أن
العود [illegible] عبارة عن العزم على وطئها وهو قول [illegible] **الوجه** الرابع وهو قول الحسن
وقتادة وطاوس والزهري أن العود [illegible] عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها **قال**
المصنف والعود الذي ذكرناه [illegible] الجماع [illegible] عليه [illegible] ولأن الاستباحة [illegible] الشاذ
بعيد وأيضا [illegible] يتعلق الحكم عليه لأنه هو الذي يتحقق به [illegible] العود وأما الباقي
في [illegible] عليه **وأما** الاحتمال الأول في قوله ثم يعودون لما قالوا [illegible] مثل ما فعلوه
وعلى هذا الاحتمال في الآية وجوه أيضا **الأول** قال مجاهد والثوري العود هو الإتيان بالظهار في الإسلام
ويجب الكفارة بنفس الظهار والمراد بالعود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية كانوا يطلقون
يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الإسلام خلاف حكمه عندهم **و**معنى ثم يعودون لما
[illegible] الإسلام ثم يفعلون في الإسلام مثل ما يفعلون في الجاهلية فكفارته كذا **وكذا** **الوجه** الثاني
[illegible] أبو العالية إذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وإن لم يكرر لم يكن عودا وهذا قول أهل الظاهر
[illegible] عليه بأن [illegible] قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على إعادة ما فعلوه وهذا لا يكون إلا بالتكرير
ثم يكرر اللفظ ولا كفارة عليه **وقوله تعالى** [illegible] من قبل أن يتماسا أي بالتماس إلى
[illegible] للمظاهر [illegible] التي ظاهر منها ما لم يكفر **ذلكم توعظون به** يعني أن غلظ الكفارة
[illegible] حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه **والله بما تعملون خبير** [illegible] **فمن لم يجد**
[illegible] عن الرقبة [illegible] **فصيام شهرين متتابعين** [illegible] كفارته [illegible]
في شهرين [illegible] من قبل أن يتماسا **فمن لم يستطع** أي الصيام فكفارته **إطعام ستين**
مسكينا ذلك [illegible] **لتؤمنوا بالله ورسوله** أي لتصدقوا [illegible] و[illegible]
[illegible] **وتلك حدود الله** يعني ما وصف من الكفارة في الظهار **وللكافرين**
[illegible] **عذاب أليم** أي [illegible] يوم القيامة **فصل في أحكام** الظهار
الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسائل **المسألة** الأولى اختلفوا فيما يحرم الظهار فقال
[illegible] قولان أحدهما أنه يحرم الجماع فقط والقول الثاني أنه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول
أبي حنيفة **المسألة** الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال **الشافعي** وأبو حنيفة
لكل ظهار كفارة إلا أن يكون في مجلس واحد وأراد التكرار [illegible] عليه [illegible] واحدة **و**
قال مالك من ظاهر من امرأته في مجالس متفرقة فليس عليه إلا كفارة واحدة **المسألة** الثالثة
[illegible] الآية تدل على إيجاب الكفارة قبل المماسة سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام
وعند مالك إذا أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس
ولم يقل في الإطعام من قبل أن يتماسا [illegible] وعند الآخرين [illegible] الإطعام محمول على [illegible]
العتق والصيام وإن جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه إلا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك
وأبي حنيفة والشافعي وأحمد و[illegible] وقال بعضهم إذا واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول

عبد الرحمن ... المسألة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مومنة وقال
ابو حنيفة هذه الرقبة تجزئ سواء كانت مومنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة مطلق اللفظ فيجب العمل
في جميع الرقاب ... انا اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذلك هنا وحمل المطلق على المقيد
اولى المسألة الخامسة اذا عجز عن الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان
افطر يوما متعمدا او نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين
بالليل عامدا ... بطل التتابع لان الجماع على الكفارة ... يجب عليه استئناف الشهرين المسألة
السادسة من عجز عن الصوم لمرض او كبر او شهوة غالبة لا يصبر على الجماع يجب عليه اطعام ستين
مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر ونحو ذلك
وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا
من شعير ولو اطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عند الشافعي وقال ابو حنيفة يجزيه وحجة الشافعي
ظاهر الاية وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بانه لا يحصل
السرور على قلب ستين مسكينا ولو دفع الى واحد لحصل السرور على قلب مسكين واحد المسألة السابعة
ان كانت له رقبة لا ... او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم
قال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان واجد الرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو
حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة
لكنه محتاج اليه فله ان يصوم المسألة الثامنة قال اصحاب الشافعي ... والعبرة في
الحاجة ... الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرا
اصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيئا يتتابع
بي حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينا هي تخدمني ذات ليلة اذ تكشف لي
منها شيء فلم البث ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر فقلت
امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فقال انت بذاك يا سلمة قلت انا بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم في ما اراك
الله قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين
متتابعين قال قلت وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا
قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما لنا طعام قال فانطلق الى صاحب صدقة بني
زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها ف
رجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
السعة وحسن الراي وقد امر لي بصدقتكم ... اخرجه ابو داود ... قوله نزوت
عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله تتابع اي التتابع الوقوع في الشيء والتهافت فيه
والوسق ستون صاعا قوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا
جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله
فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض فقال يعتق

رقبة

قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فيصوم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله انه شيخ كبير
ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده من شيء يتصدق به قال فاني ساعينه
بعرق من تمر قلت يا رسول الله واني اعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين
مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي رواية قالت والعرق ستون صاعا وذكرت ان
به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان لي منه منافع وذكرت نحو العرق
ويقع العرق والزنبيل ... يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به
لمما اللمم ضرب من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون ولو كان به ذلك
لم يكن ... في تلك الحالة لم يلزمه شيء بل معنى اللمم هنا الالمام وشدة الحرص والتوق
الى النساء قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله ويخالفون
ويحاربون امرهما كبتوا اي خذلوا واخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم اي كما اخزي
من كان قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا ايات بينات يعني فرائض واحكاما وللكافرين عذاب مهين
يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا ... اي الذين ... بها وجحدوها
احصاه الله اي حفظ الله اعمالهم ونسوه اي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا والله على كل
شيء شهيد قوله تعالى ألم تر ان الله يعلم ما في السماوات وما في الارض يعني انه سبحانه و
تعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماوات ثم اكد ذلك بقوله
تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة اي من اسرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى ما من شيء
يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا
هو رابعهم اي بالعلم يعني يعلم نجواهم كالحاضر معهم والمشاهد لهم كما يكون نجواهم
معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ولا خمسة الا هو سادسهم فان قلت
لم خص الثلاثة والخمسة قلت اقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون
اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ
تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة ولا بد من واحد يكون
حكما بينهما مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة
والخمسة ثم قال تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر يعني ولا اقل من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من العدد
الا هو معهم اين ما كانوا اي بالعلم والقدرة ثم ينبئهم بما عملوا اي في يوم القيامة ان الله بكل
شيء عليم قوله عز وجل ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت في اليهود والمنافقين
وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين ...
وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم ... يوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزن المؤمنون
لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او هزيمة
فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى
اي المناجاة فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها ويتناجون
بالاثم والعدوان يعني ذلك القصد الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين
او شيء يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان ومعصية الرسول وذلك ان رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا إليها وقيل معناه أوصى بعضهم
بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم **وإذا جاءوك** يعني اليهود **حيوك بما لم يحيك به الله**
وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت
وهم يوهمونه أنهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم **ويقولون في
أنفسهم** يعني إذا خرجوا من عندك قالوا **لولا يعذبنا الله بما نقول** يريدون لو كان نبيا
لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال الله عز وجل **حسبهم جهنم يصلونها فبئس
المصير** والمعنى أن تقديم العذاب إنما يكون بحسب المشيئة والمصلحة وإذا لم تقتض
المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم **وعن عائشة**
رضي الله عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقالت
عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم **وللبخاري** أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب
عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت
أولم تسمع ما قالوا قال أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب
لهم في السام الموت **قال الخطابي** عامة المحدثين يروون إذا سلم عليكم أهل الكتاب
فإنما يقولون السام عليك فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم **وكان سفيا
ن** ابن عيينة يرويه بغير واو وقال وهو الصواب لأنه إذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه
مردودا عليهم بعينه وإذا ثبت الواو وقع الاشتراك معهم لأن الواو تجمع بين الشيئين والعنف
ضد الرفق واللين والفحش الرديء من القول **قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** في المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما
أنه خطاب للمؤمنين وفي ذلك أنه لما نهى اليهود والمنافقين عن التناجي بالإثم والعدوان
ومعصية الرسول أتبعه بأن نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم أو يفعلوا كفعلهم
فقال لا تتناجوا بالإثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي إلى الظلم ومعصية الرسول
وهو ما يكون خلافا عليه **والقول** الثاني وهو أن الخطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين
آمنوا بألسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كأنه قال لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول
وتناجوا بالبر والتقوى أي بالطاعة وترك المعصية **واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما
النجوى من الشيطان** أي من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الإثم والعدوان ومعصية الرسول
وتناجوا بالبر والتقوى أي بالطاعة وترك المعصية واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى
من الشيطان أي من تزيين وهو ما يأمرهم به من الإثم والعدوان ومعصية الرسول **ليحزن الذين
آمنوا** أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين **وعن ابن عمر** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في رواية فإن ذلك يحزنه هذه الزيادة
لأبي داود **وليس بضارهم شيئا** يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان ليس بضارهم شيئا **إلا بإذن الله**
أي إلا بإرادة الله تعالى وقيل إلا بأمر الله أي بقضائه وقدره **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** أي فليكل المؤمنون أمرهم

إلى الله

أي فليتوكل المؤمنون أمرهم إلى الله وليستعيذوا به من الشيطان فإن من توكل على الله لا يخيب أمله
ولا يبطل سعيه **قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا**
الآية قيل في سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار
فجاء ناس منهم وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم سلموا
عليه ورد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم
ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان
وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من
أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية **وقيل**
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات **وقيل** كانوا يتنافسون
في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجالسهم (?)
فأمرهم الله عز وجل أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان
ضيق والآية في أهل [illegible] مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فأمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في
المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس في الأخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس
لأن لكل واحد مجلسا ومعناه ليتفسح كل واحد في مجلسه **فافسحوا** أي أوسعوا في المجالس أمروا
بأن يوسعوا في المجالس لغيرهم **يفسح الله لكم** أي يوسع لكم في الجنة والمجالس فيها **وعن ابن
عمر** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ولكن توسعوا وتفسحوا
يفسح الله لكم **م عن جابر بن عبد الله** رضي الله عنه قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم
يخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا أخرجه مسلم [illegible]
[illegible] وقيل في معنى الآية إذا قيل لكم تفسحوا في مجالس الحرب ومواضع القتال كان الرجل يأتي
القوم وهم في الصف فيقول تفسحوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فأمروا
بأن يوسعوا لإخوانهم لأن الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الأول والحاجة داعية إلى تقدمه
فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقراءة والحديث والذكر
ونحو ذلك لأن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والسرور وسع الله عليه خير الدنيا والآخرة **وإذا
قيل انشزوا فانشزوا** أي إذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم فارتفعوا
وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة إذا نودي لها فأنزل الله هذه الآية والمعنى إذا
نودي إلى الصلاة فانهضوا إليها وقيل إذا قيل انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى كل خير فقو
موا مسرعين ولا تقصروا عنه **يرفع الله الذين آمنوا منكم** أي بطاعتهم لله ولرسوله
وامتثال أمره وقيامهم من مجالسهم وتوسعهم لإخوانهم **والذين أوتوا العلم** أي ويرفع الذين
أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم **درجات** أي على من سواهم في الجنة وقيل يقال
للمؤمن الذي ليس بعالم ادخل الجنة ويقال للعالم قف واشفع للناس مدح
الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم [illegible] وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما أتوا به

وان التفرس لهم بعد ربهم يخفون لما علموا به من الاكرام والله بما تعملون خبير قال الحسن قال ابن
مسعود في هذه الاية وقال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم فان الله يقول يرفع
الله المومن العالم فوق الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة
ما لا يحصل لغيره لانه يقتدي بالعالم في اقواله وافعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من
المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث بلغني انك تحدث
به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت لتجارة قال لا
ما جئت الا في طلب هذا الحديث قال نعم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من سلك طريقا يبتغي فيه العلم سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها
رضى لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل
العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينا
را ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي وابو داود ونحوه
وعن معاوية بن ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الله
ويرغبون فيه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من
صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء
افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقدموا امام مناجاتكم صدقة وفايدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره وينتفع
كثير من الفقراء بتلك الصدقة المتقدمة قبل المناجات قال ابن عباس ان الناس سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شقوا عليه واراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى
الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على المناجاة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله
عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة فلم
يجدوا شيئا واما الاغنياء واهل الميسرة فبخلوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجات حتى يتصدقوا فلم يناجه
الا علي بن ابي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول اية في كتاب الله
لم يعمل بها قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي اية المناجات وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم

صدقة

صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك
لزهيد فنزلت أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله تعالى
عن هذه الامة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله شعيرة يعني وزن
شعيرة من ذهب قوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك قلت
في هذه الاية منقبة عظيمة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره
وهو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا
بهذه الاية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا
ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجات فـ
يكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه اخر وهو ان
هذه المناجات لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا
هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجات ولما كانت هذه المناجات اولى بان تترك لم
يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم وقوله تعالى ذلكم خير لكم يعني تقديم
الصدقة على المناجات لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واطهر اي لذ
نوبكم فان لم تجدوا يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم يعني ان
الله تعالى عفا عنهم في ذلك أأشفقتم قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة
ان قدمتم وهو قوله تعالى ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا ما امرتم به
وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم ونسخ وقال فاقيموا الصلاة اي المفروضة وءاتوا الزكاة اي
الواجبة واطيعوا الله ورسوله اي فيما امر ونهى والله خبير بما تعملون اي انه محيط باعما
لكم ونياتكم قوله عز وجل الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنا
فقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المسلمين اليهم واراد بقوله غضب
الله عليهم اليهود ما هم منكم يعني المنافقين ليسوا من المومنين في الدين والولاية ولا منهم يعني
ولا من اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اي انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق
كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل
عبد الله بن نبتل وكان ازرق العينين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك
فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الاية
اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة يعني الكاذبة يستجنون بها
من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله يعني انهم صدوا المو
منين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله
وهو الاسلام فلهم عذاب مهين اي في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا يعني يوم
القيامة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين اي في الدنيا وقيل

اي في الدنيا وقيل كان الحلف بينهم لهم في الدنيا وظنوا انها تنفع في الآخرة ايضا و
يحسبون انهم على شيء يعني من ايمانهم الكاذبة الا انهم هم الكاذبون يعني في القول
والظهر وايمانهم استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى عليهم وملكهم فأنساهم
ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين
يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين اي في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة
لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية
كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم
من بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة ان الله قوي عزيز
اي على نصر رسله عزيز اي غالب على اعدائه قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بموالاة
الكافرين وان من كان مؤمنا لا يوالي من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه
قلت فقد اجتمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم
فما هذه المودة المحظورة **قلت** المودة المحظورة هي ضد محبتهم وارادة الخير
لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم ان الله تعالى بالغ في الزجر عن موادتهم
بقوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان الميل اليهم [illegible] من اعظم
وعلى هذا يجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب الدين قيل نزلت هذه الآ
ية في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة وسيأتي قصته في سورة الممتحنة
وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعني ابا عبيدة بن
الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه
يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير
يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر
وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر
اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقنة
مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح
منه اي قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به يحيا امرهم وقيل بالايمان وقيل
بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمة منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه
اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك الموالاة لاعداء
الله تعالى فقال اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والله اعلم بمراده
واسرار كتابه

تفسير سورة الحشر

قال سعيد بن جبير
قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية وهي اربع وعشرون
واربع مائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم **قوله عز وجل** سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم **قال** المفسرون نزلت هذه الآية
في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة
صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الامي
الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحا
لفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في ار
بعين من قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود الى المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض
الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل عليه السلام واخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان وامر بقتل كعب بن الاشرف فقتله
محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو
بن امية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن
فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل
كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير
وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على
كعب فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية فقال نعم فقالوا ذرنا نبكي
شجونا ثم ائتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت
اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحراب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن
ابي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولن
ننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا
الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك
وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان
صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه
وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض
كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ار
سلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من
علمائنا فيسمعوا منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم

وهو رجل مسلم من الاخطار فاخبرته بما ارادوا بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقبل اخوها مسرعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فسارّه بخبرهم قبل
ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد اغدا عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب
وايسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من
المدينة على ما يامرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من
اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال
ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاءوا من متاعهم وللنبي صلى الله
عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة
الى الشام الى اذرعات واريحا الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي
بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت في
المدينة قال ابن اسحاق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم
من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر قال
الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم
الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك ان المحشر في الشام
فليقرا هذه الاية فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم
اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الناس يوم القيامة الى الشام وقيل
انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم
اجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة
والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من ارض الشام في
ايام عمر وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من
المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم
ايها المومنون ان يخرجوا اي من المدينة لعزهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون
وعقار ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله وظن بنو النضير
ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله تعالى فأتاهم الله اي اتاهم امر الله وعذابه
من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم
وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم
كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين قال الزهري وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم
فيهدمونها وينزعون ما يستحسنون منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المو
منين باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب لئلا يسكنها
المومنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها و

ويخربونها اليهود

ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من
دورهم هدموها ليتسع لهم القتال وجعل اعداء الله ينقبون دورهم في ادبارها فيخرجون الى
التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فاعتبروا اي فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم يا اولي الابصار اي يا ذوي العقول
والبصائر ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء يعني الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني
بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك يعني الذي لحقهم
ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله
شديد العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن
الله الاية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع
نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح
عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون
في انفسهم من قولهم واخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا
فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فنزلت الاية بتصديق من نهى عن قطعه
وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى وعن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على
اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان
بن ثابت رضي الله عنه وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير قال ابن عباس
النخل كلها لينة ما خلا العجوة قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل
المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة والبرنية وقيل
اللينة النخل كلها من غير استثناء قال ابن عباس في رواية اخرى عنه لون من النخل وقيل كرام
من النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب
فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن
وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمومنين
انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل فانما هي لمن غلب عليها فاخبر الله
تعالى ان قطعها كان باذنه وليخزي الفاسقين يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود
اذن الله تعالى في قطعها احتج العلماء بهذه الاية على ان حصون الكفار وديارهم لا باس ان تهدم و
تحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها قوله عز وجل وما افاء الله على رسو
له اي رده الله على رسوله صلى الله عليه وسلم منهم اي من يهود بني النضير لما تركوا رباعهم وضياع
عهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين
الله تعالى في هذه الاية انها فيء لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا
نالوا مشقة ولم يلقوا حربا وانما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها
مشيا ولم يركبوا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل ولكن الله يسلط رسله على من
يشاء اي من اعدائه والله على كل شيء قدير فهي له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر
كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن
الصمة وعن مالك بن اوس بن الحدثان النصري ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك
يا امير المومنين في عثمان وعبد الرحمان بن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم
فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك في عباس وعلي يستاذنان قال نعم واذن لهما فلما دخلا قال العباس
يا امير المومنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم اجل يا امير المومنين اقض بينهما وارح
احدهما من الاخر قال مالك بن اوس يخيل الي انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا
انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على
العباس وعلي فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله كان خص رسوله صلى الله
عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم
عليه من خيل ولا ركاب الاية فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير
فوالله ما استاثرها عليكم ولا اخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها فيكم
حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه نفقته سنة ثم ما بقي يجعله
مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم بالله
الذي باذنه تقوم السماء والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عليا وعباسا
بمثل ما نشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر
انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه ابو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانتم حينئذ واقبل على علي وعباس وقال تذكران ان ابا بكر فيه كما تقولان والله يعلم فيه انه
لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله ابا بكر فقلت انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر فقبضته سنتين من امارتي اعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
والله يعلم اني فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة
وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة
فلما بدا لي ان ادفعه اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما
عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وما عملت
فيه منذ وليت والا فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان مني
قضاء غير ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا اقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة
فان عجزتما عنه فادفعاه الي فانا اكفيكماه قوله عز وجل ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى يعني من اموال الكفار قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة
فلله وللرسول ولذي القربى يعني بني هاشم وبني المطلب واليتامى والمساكين وابن
السبيل قد تقدم في سورة الانفال حكم الغنيمة وقسمتها واما حكم الفيء فانه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق على اهله منه نفقة سنته

ويجعل ما بقي

ويجعل ما بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف
مال الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه
قولان احدهما هو للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدا بالمقاتلة ثم الاهم فالاهم
من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم الى انه يخمس فخمسه لاهل خمس الغنيمة
واربعة اخماسه للمقاتلة او للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع
المسلمين فيه حق قرا عمر بن الخطاب وما افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء
المهاجرين الى قوله والذين جاءوا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال
وما على وجه الارض مسلم الا وله في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم كيلا يكون دولة
يعني كي لا يكون الفيء متداولة والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم بين الاغنياء
منكم يعني بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان اهل الجاهلية
كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد
المرباع منه ما شاء فجعله الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما امر به
وما اتاكم الرسول فخذوه اي من مال الفيء والغنيمة وما نهاكم عنه اي من الغلول
وغيره فانتهوا وهذا نازل في اموال الفيء وهو عام في كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم
او نهى عنه من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب او نهي عن محرم فيدخل فيه الفيء
وغيره وعن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب
وكانت تقرا القران فاتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا
وذكرته فقال عبد الله وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله عز و
جل فقالت المراة لقد قرات لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قراتيه لقد وجدتيه
قال الله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الواشمة هي
التي تغرز العضو من الانسان بالابرة ثم تحشي بالكحل والمستوشمة هي التي تطلب ان يفعل بها
ذلك والنامصات هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما
بين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تفلج في مشيها وكل ذلك منهي عنه وعن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من
عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وعن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين ا
حدكم متكئا على اريكته ياتيه امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما و
جدنا في كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن الاريكة
كل ما اتكي عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك واتقوا الله اي في امر الفيء ان الله شديد
العقاب اي على ترككم ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم او نهاكم عنه ثم بين من له
الحق في الفيء فقال عز وجل للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
يعني اخرجهم كفار مكة الى الخروج يبتغون فضلا من الله اي بانفسهم واموالهم والمراد
بالنصر نصر دينه واعلاء كلمته اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم قال هؤلاء المها

جزين الذين تركوا الديار والاموال والعشاير وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كان
فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ
حفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها. عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة با
ربعين خريفا. عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء
الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود. وقوله عز وجل والذين تبوءوا
الدار والايمان يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها مسكنا من قبلهم
يعني انهم اسلموا في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه
وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوأ
يحبون من هاجر اليهم وذلك انهم انزلوا المهاجرين في منازلهم واشركوهم في اموالهم
ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حزازة وغيظا وحسدا مما اوتوا اي اعطوا المهاجرين
دونهم من الفيء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير بين المهاجرين
ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر محتاجين فطابت بذلك نفوس الانصار بذلك ويؤثرون
على انفسهم اي ويؤثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم وانفسهم ولو كان بهم
خصاصة اي فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به. عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت
والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء. ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن
مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار
يقال له ابو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك
شيء فقالت لا الا قوت صبياني فعلليهم بشيء. ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نأكل
فاذا اهوى بيده ليأكل فقومي الى السراج كي تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا واكل الضيف
وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان
وفلانة زاد في رواية وانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة خ م عن ابي
هريرة فقالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا
تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا واطعنا خ عن انس رضي
الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار ليقطع لهم البحرين فقالوا لا الا ان تقطع
لاخواننا المهاجرين مثلها قال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم اثرة بعدي
وفي رواية ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الاثرة بضم الهمزة
والثاء والراء وضبط بفتح الهمزة والثاء واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الا
ستيثار وهو ان يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفيء والاستيثار الانفراد
بالشيء وقيل الاثرة الشدة والاول اشهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال

رسول الله

الانصار

باستيثار العز ويفضل عليكم غيركم ولا يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من الاثرة اي اعلى اراد انه يستأثر عليكم اهل

فقال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين
من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم
دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم
من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح
في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين الشح والبخل فقال البخل نفس
المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات
النفس لا جرم قال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الفائزون بما
ارادوا وروي ان رجلا قال لعبد الله بن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما
ذاك قال اني اسمع الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح
لا يكاد يخرج من يدي شيء. فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن الشح
ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح
ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد
الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه
ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه. م عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح
فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم. عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن
خالع اخرجه ابو داود. الهلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا
شديدا ويحزن على شيء يفوته او يخرج من يده. الخالع الذي يخلع فؤاده لشدة خوفه
وعنه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل
الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا اخرجه
النسائي قوله عز وجل والذين جاءوا من بعدهم يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون
ومن بعدهم الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اخبر
انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا اي غشا وحسدا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم فكل من كان في قلبه
غل على احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس
ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين
ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين بهذه الآية فمن لم
يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين وليس له في
المسلمين نصيب وقال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل الفقراء المهاجرين
والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من

١١٧

وبغضا

فلجنسهم ان لا تكون اخوانا جامع بينهم الثلاثة منازل في عراب سعيد الخدري رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن اختي امروا ان يستغفروا
لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه
الترمذي قال مالك بن انس من تنقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في
قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما افاء الله على رسوله من
اهل القرى الى قوله والذين جاءوا من بعدهم الى قوله رؤوف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي
يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل
ملتكم قالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حواريو عيسى
وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم قالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
اجمعين امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة
لا تقوم لهم راية ولا تثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من هؤلاء المضلة
وروي عن جابر رضي الله عنه قال قيل لعائشة رضي الله عنها ان ناسا يتناولون اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابا بكر وعمر فقالت اما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل
فاحب الله ان لا يقطع عنهم الاجر وروي عن ابن عباس انه سمع رجلا فقال من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين قال لا قال افمن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد
انك لست من التابعين لهم باحسان قوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يعني اظهروا
خلاف ما اضمروا وهو عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه يقولون لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب يعني اليهود من بني قريظة والنضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم
كفار مثلهم لئن اخرجتم اي من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني
ان سالنا احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعيننكم ولنقاتلن
معكم والله يشهد انهم لكاذبون يعني المنافقين يعني فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر
الله عز وجل عن حال المنافقين فقال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار يعني لو قدر وجود نصرهم لليهود لولوا منهزمين ثم لا ينصرون
يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم لانتم يعني يا معشر المسلمين
اشد رهبة في صدورهم من الله اي لانتم اهيب في صدورهم والرهبة الخوف اشد رهبة مع حزن واضطراب
والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم
لا يفقهون يعني عظمة الله لا يقاتلونكم يعني اليهود جميعا الا في قرى محصنة اي لا يبرزون

لقتالكم

لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى او من وراء جدر اي من وراء حيطان باسهم
بينهم شديد اي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم لبعض شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء
الحيطان والحصون شديد واذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي متفرقة
مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهادتهم وهم مجتمعون في
عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين يخالف دين اليهود واراد كلهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون
في حرب المسلمين فقال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال امرهم
يعني القتل يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني
قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ولهم عذاب اليم اي في الآخرة ثم ضرب
مثلا للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى كمثل الشيطان اي
مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآية وذكر
اهل التفسير وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة
له سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة
الشياطين فقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي تصدى
للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فجاء جبريل عليه
السلام فدفعه الى اقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة
الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في عشرة
ايام ولا يفطر الا في عشرة ايام مرة فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل الصومعة
فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فراى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان
فلما راى ذلك من حاله ندم في نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا
عنك فما حاجتك فقال الابيض حاجتي اني احببت ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع
على العبادة فتدعو لي وادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل
لك فيما ادعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلي فلم
يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها راه قائما يصلي فلما راى برصيصا شدة اجتهاده
قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا
يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا
اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق
فان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان من شدة اجتهاده فلما ودعه
الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفي بها
الله السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني اكره هذه المنزلة
لان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس شغلوني عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى
علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض
لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم

وعالجه فلم يغن فقال لهم اني لا اقوى على جنته ولكن هنا رجل يعني الى صومعته عدوا الله تعالى فيعافيه ا
نطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعي به اجاب فانطلقوا اليه فسالوه فدعا بتلك
الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعوا
لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان
ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه وكان عم تلك الجارية ملك بني اسرائيل فخنقها وعذبها
ثم جاء اليهم كما كان ياتي الناس في صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال لهم ان الذي عرض
لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا
لها فاذا علمتم انها قد عوفيت رددتموها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا
بان يجيبنا الى ذلك وهو اعظم شانا من ذلك قال انطلقوا فابتنوا صومعة الى جانب صومعته وا
لتكن جارية في صومعته ثم تشرفوا عليه فان قبلها والا فضعوها في صومعتها وقولوا هذه
امانة عندك فاحتسب فانطلقوا فسالوه ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم
الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا عندك امانة
فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما هي عليه من الجمال
فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك
الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها وكا
نت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان فقال ويحك واقعها فلن تجد
مثلها وستتوب بعد ذلك فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك
ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل
لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقدر عليه فقتلها
ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ
بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته
اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم فكانوا يجيئون في بعض الايام يسالون عنها ويوصونه
بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه
وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى الكبير في منامه فقال ويحك ان برصيصا
فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا فقال هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا
خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال
الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى الاصغر بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رايت
مثله فقال الاكبر وانا والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت
اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا
منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وان طرف ازا
رها خارج من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوا في النوم فمشوا في مواليهم وغلمانهم
معهم الفؤوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا

به الى الملك

امانتك

عليه

١١٩

فاقر له ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها وتكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة
فلما اعتبر قضى امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا
اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك ويحك اما اتقيت
الله في امانة خنت اهلها وزعمت انك اعبد بني اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه
حتى قال في اخر كلامه الم يكفك ما صنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت اشباهك من
الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك فقال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة وا
حدة حتى اخلصك مما انت فيه فاخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد
لي قال افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت عاقبتك ان كفرت بربك
فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين قال الله تعالى فكان عاقبتهما
يعني الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين قال ابن
عباس رضي الله عنه هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بني النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا
الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلوكم فانا معكم ولنجابوهم ودربوا على حصونهم و
تحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون
نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤوا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا وخذله وكان عاقبة الفر
يقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع
اهل الفسوق والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب فلما كان
براه الله مما رموه به انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصته في معنى
على ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى
بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلي فقالت
يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت
يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات
فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم
لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته
من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته
وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي فجاؤوا به
فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان
الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني صومعتك من ذهب قال
اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة
وشارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه فنظر
اليه فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم
يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابني

مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث
فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقال اللهم
لا تجعلني مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنت وسرقت فقالت
اللهم لا تجعل ابني مثلها فقال اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقال
اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون انها زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم
اجعلني مثلها اخرجه مسلم بطوله وهذا لفظه واخرجه البخاري منقطعا مختصرا
تعليقا وحديث المراة وابنها خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهي
المراة الفاجرة والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اي يعجب منه ويضرب
به المثل وقوله ذو شارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب
ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر القاهر للناس قوله عز وجل يا ايها الذين آ
منوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لينظر احدكم اي شيء
قدمه لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام سيئا يوبقه والغد يوم القيامة وقرب
به على الناس كان يوم القيامة ياتي غدا وكل ما هو آت فهو قريب واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون قيل كرر الامر بالتقوى تاكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله
في اداء الواجبات ومعنى الثاني اتقوا الله فلا تاتوا المنهيات ولا تكونوا كالذين نسوا
الله اي تركوا امر الله فانساهم انفسهم اي انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا
لها خيرا ينفعها غدا اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لما ارشد المومنين لما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله
لا يستوي اصحاب النار يعني الذين هم في العذاب الدائم واصحاب الجنة يعني الذين هم
في النعيم المقيم ثم اخبر بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من حصل النعيم
المقيم فهو فائز فوزا عظيما قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله قيل معناه لو جعل في الجبل تمييز وعقل كما جعل فيكم
وانزل عليه القرآن لخشع اي تطاطا وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى
ان الجبل مع صلابته ورزانته يتشقق من خشية الله وحذرا من ان لا يؤدي حق الله
تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر كان لم يسمعها وصفه
بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد
والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان وهو مع
علمه بهذا وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه
الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييزا وعقلا يدل عليه تمثيل قوله تعالى وتلك
الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد
قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظها كما يقع ولما وصف القرآن بالعظم اتبعه
بوصف عظمته فقال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة يعني انه
تعالى عليم بما غاب

يعني انه تعالى علم ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه
وعلموه وقيل السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال
الدنيا والآخرة هو الرحمن الرحيم اسمان اشتقا من الرحمة وهما صفتان
لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى
خلقه وقيل ان رحمان اشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمان الدنيا ورحيم
الآخرة لان الله تعالى احسانه في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص احسانه وا
نعامه بالمومنين هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المتصرف بالامر والنهي
في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وفي رقه وارادته القدوس
اي الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته السلام
الذي سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت هذا التفسير لا يبقى
بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت
الفرق بينهما ان كونه قدوسا فهو اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص
في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرا عليه شيء من العيوب والنقائص
في المستقبل فان الذي يطرا عليه شيء من ذلك فانه تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل
سلام اي سلم خلقه من ظلمه المؤمن قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من آمن به
من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمومنين بما وعدهم
من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب المهيمن قال ابن عباس اي الشهيد على عباده
باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد
في معناه الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه التاليه في العرف والنكر اي القائم
على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى
الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم
في ابيات منها حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وقيل
المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتاويله وانشد ثعلب في المهيمن عن
[illegible] عبيدة ولقد تعالى عن عقول اولي النهى امران عمي صفات مليكه والوصف
يعجز عن مليك لا يرى العزيز اي الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر الجبار
قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل
هو من الجبر يعني الغني ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى الذي
يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يقهر الخلق ويجبرهم على ما اراد وسئل
بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز
وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي
صفة الناس صفة ذم وكذلك المتكبر في صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر
من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس واما

المتكبر في صفة الله تعالى صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا المعنى
قال في آخر الآية سبحان الله عما يشركون كأنه قيل ان بعض الخلق قد يتكبر فيكون ذلك نقصا
في حقه اما الله تعالى فله العلو والعزة والكبرياء فان ظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن
عباس المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو المتكبر عن كل سوء وقيل هو
المتعظم عما لا يليق بجلاله وجماله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء
الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون نزه نفسه عما يصفون كمن ادعى الكبرياء
لانفسهم هو الله الخالق اي المقدر ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة
فهو راجع الى الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل المقدر المقلب للشيء بالتدبير
الى غيره البارئ اي المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود المصور اي الذي يخلق صور
الخلق على ما يريد وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل
الخالق ينبغي للخلق المخترع له على غير مثال سبق والبارئ اي المنشئ لما يريد خلقه فيخرجه
من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاءه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل
معنى التصوير التخطيط والتشكيل فالله تعالى يخلق الانسان ثم يبرأه ثم يصوره وانما قدم ذكر
الخالق على البارئ لان ترجيح الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد
الذوات مقدم على ايجاد الصفات له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث
آيات من آخر سورة الحشر وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في
ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الممتحنة

مدنية وهي ثلاث عشرة آية وثلاثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى اتينا
الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن
الكتاب او لنلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه
من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ
ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها
اموالهم واهليهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا
يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر

فقال اعملوا ما شئتم

ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل موضع
قريب من مكة والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لانها تظعن في الهودج
والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب بن ابي بلتعة كما في الحديث
وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت
لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالي
وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني
وتحملوني فقال لها واين انت من شبان مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد
وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوة وحملوها فاتاها
حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها
عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب
بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة
ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد وكانوا فرسانا فقال انطلقوا
حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين
فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها
في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله
ما معها من كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع
فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك
ولاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذؤابتها وكانت قد خبأته في
شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب
قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة
من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت
ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا
فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال دعني يا رسول الله اضرب
عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على
اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شأن حاطب يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء يعني اصدقاء وانصارا تلقون اليهم بالمودة
اي بالاسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالمودة التي

النبي بينكم وبينهم ودوا لو تكفرون اي وحالهم انهم كفروا بما جاءكم من الحق يعني القر
ان يخرجون الرسول واياكم يعني من مكة ان تومنوا اي لان تومنوا كانه قال يفعلون ذلك لايما
نكم بالله ربكم ان كنتم خرجتم هذا الشرط جوابه منفي والمعنى ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى تسرون
اليهم بالمودة اي بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم اي من المودة للكفار وما اعلنتم اي
اظهرتم بالسنتكم منها ومن يفعله منكم اي الاسرار والقاء المودة اليهم فقد ضل
سواء السبيل اي اخطا طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال ان يثقفو
كم اي يظفروا بكم ويدركوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسـ
نتهم بالسوء اي بالضرب والقتل والشتم والسب وودوا لو تكفرون اي تمنوا لو ترجعو
ن الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله تعالى لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا ينبغي
لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم انتم ولا تواددوهم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي لا
يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار ويامرهم بالاقتداء يدعونكم ولا يحملنكم ذوو
ارحامكم وقراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالات اعدائهم فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم
الذين عصيتم الله لاجلهم يوم القيامة يفصل بينكم اي يفرق فيدخل اهل طاعته الجنة واهل
معصيته النار والله بما تعملون بصير وقوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرا
هيم يخاطب حاطبا والمومنين ويامرهم بالاقتداء بابراهيم عليه السلام والذين معه
اي من اهل الايمان اذ قالوا لقومهم يعني المشركين انا برءاؤا منكم جمع بريء ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده والمعنى ان ابراهيم عليه السلام واصحابه تبرءوا
من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمومنين ان يتاسوا بهم الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك يعني لكم ان تتاسوا بابراهيم في جميع امره الا في استغفاره لابيه المشرك
فلا تتاسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له انه عدو لله
تبرا منه وما املك لك من الله من شيء هذه من قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك
ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلا
مه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المسلمين ربنا عليك توكلنا واليك انبنا
واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم
على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هولاء
على الحق ما اصابهم ذلك واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم
اي في ابراهيم ومن معه اسوة حسنة اي اقتداء حسنا لمن كان يرجوا الله واليوم
الاخر اي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي يعرض عن الايمان
ويوالي الكفار فان الله هو الغني اي عن خلقه الحميد اي الى اهل طاعته واوليائه فلما

امر الله المومنين

امر الله المومنين بعداوة الكفار عادى المومنين اقرباءهم المشركين واظهروا لهم
العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المومنين بذلك انزل الله عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم اي من كفار مكة مودة ففعل الله ذلك بان اسلم كثير منهم
فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة
بنت ابي سفيان ولان لهم ابو سفيان والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم
اي لمن تاب منهم واسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم
الله عن البر بالذين لم يقاتلوكم ان تبروهم وتقسطوا اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان
اليهم والبر ان الله يحب المقسطين اي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم وقال عبد
الله بن الزبير نزلت في اسماء بنت ابي بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت
عليها المدينة بهدايا ضبابا واقطا وسمنا وهي مشركة فقالت
اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالته فانزل الله هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها
وان تقبل هديتها وان تكرمها وتحسن اليها وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي
الله عنهما قالت قدمت علي امي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت
علي وهي راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الله عز وجل الذين نهى عن صلتهم
وبرهم فقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم
وظاهروا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم
الظالمون وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن
الاية عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ وكان فيما اشترط سهيل
بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم انه لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا
وخليت بيننا وبينه وكره المومنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله
عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال
الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المومنات مهاجرات وكانت
ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ وهي عاتق فجاء اهلها يسالون النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم
يرجعها لما انزل الله فيهن اذا جاءك المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله
اعلم بايمانهن الى قوله ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله

الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات
إلى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما بايعهن
إلا بقوله وقال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى إذا كان بالحديبية
صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى مكة من أصحابه
لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية
مسلمة بعد الفراغ من الكتاب وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن
الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا
من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم
المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها
أن تستحلف ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس
دنيا وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فإذا حلفت
على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها وأعطى
زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد
بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه
فكان يمسك من جاء من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن ويرد من جاءه
من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا أو عموما فقيل قد
كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع
منه وأبقى الرجال على ما كان وقيل لم يشترط ردهن لفظا صريحا وإنما أطلق العقد وكان
ظاهره العموم لاشتماله على النساء مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد
وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم الله أعلم بإيمانهن أي هذا الامتحان لكم والله أعلم
بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن يعني أنه لا فرق في الأمر فلا تردوهن إلى الكفار لأنه لا يحل مؤمنة لكافر
وآتوهم يعني أزواجهن الكفار ما أنفقوا أي عليهن من المهر الذي دفعوه إليهن
ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن أي مهورهن أباح الله تعالى
للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب إلى دار الإسلام وإن كان لهن أزواج
كفار في دار الحرب لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ووقعت الفرقة
على انقضاء عدتهن فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الأوزاعي
والليث بن سعد ومالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين
ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب نهى
الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وإن كانت له امرأة
كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري

لما نزلت هذه الآية

لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت
أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والأخرى
أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي أم ابنه عبد الله فتزوجها أبو جهم
بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الإسلام بينهما
فتزوجها بعده في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله
عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة وأسلم فردها إليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم واسألوا ما أنفقتم يعني إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة
فاطلبوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم وليسألوا يعني
المشركين الذين لحقت أزواجهم منكم ما أنفقوا أي من المهر ممن تزوجها منكم ذلكم
حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك كان
يصنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله
تعالى وأدوا ما أمروا به من أداء نفقات المسلمين فأنزل الله عز وجل وإن فاتكم أي أيها المؤمنون
شيء من أزواجكم إلى الكفار أي فلحقن بهم مرتدات فعاقبتم معناه غزوتم
فغنمتم وأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة
لكم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار مثل ما أنفقوا معناه أعطوا الذين
ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مرتدة مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم التي صارت
في أيديكم من أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين
ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري
وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد
عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة
بنت عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت أبي جهل بن هشام
وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم بنت جرول وكانت تحت عمر بن الخطاب
فكلهن رجعن عن الإسلام فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم
من الغنيمة واختلف القول في أن رد مهر من أسلمت من النساء إلى أزواجهن هل كان واجبا
أو مندوبا وأصل هذه المسألة أن الصلح هل كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان
أحدهما أنه كان وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روي أنه لا يأتيك منا أحد إلا
رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن إلى الكفار فعلى هذا
كان رد المهر واجبا والقول الثاني أن الصلح كان لم يقع على رد النساء لأنه روي عن علي رضي الله
عنه أنه قال لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إليك لأن الرجل لا يخشى

عليه من الشفقة في الدين ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اباها وانه لا يؤمن عليه
الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه بالحيلة
كلمة الحق مع التورية والاظهار للايمان مع طمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل
لقوته وهدايته الى التقية فعلى هذا كان الرد منسوخا واختلفوا في انه هل يجب به
العمل اليوم في رد المال اذا اشترط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الآية
منسوخة وقيل يرد عليهم ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مومنون قوله عز
وجل يا ايها النبيء اذا جاءك المومنات يبايعنك الآية قال المفسرون لما
فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء يبايعنه
وعمر بن الخطاب اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان
متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال النبيء صلى الله
عليه وسلم ابايعكن على ان لا يشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت
والله انك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ
على الاسلام والجهاد فقط فقال النبيء صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان
رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت
فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها
وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك فقال ولا
يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا
وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد
قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت هند والله ان البهتان لقبيح
وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك في معروف قالت هند ما
جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فاقر النسوة بما اخذ عليهن
من البيعة قال المفسرون وجملة من حضر من المبايعات اربعمائة وسبع وخمسون
امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام وعن عائشة رضي الله
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية لا يشركن
بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا يملكها واما
تفسير الآية فقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به واد البنات الذي كان يفعله
اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط
المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد
منه نهيهن عن الزنى لان النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ومعنى
ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف اي في كل ما

تأمرهن به او تنهاهن عنه

او تقدم امرتهن به وقيل في كل امر فيه رشد وقيل هو النهي
عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان
لا تحدث المرأة الرجال الا محرما ولا تخلوا برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم
قال ابن عباس في قوله تعالى ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله
تعالى على النساء اخرجه البخاري وعن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها
فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا فانطلقت ثم رجعت فبايعها وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا
بدعوى الجاهلية وعن اسيد بن ابي اسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما
اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف والذي اخذ علينا ان لا نعصيه
فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو
داود وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين
بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله ان نساء اسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام اخرجه النسائي
وعن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا
لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة
والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله تعالى فبايعهن يعني اذا بايعنك
على هذه الشروط فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم عن اميمة
بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن
واطقتن قلت الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان
يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة
واحدة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك ان ناسا
من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتوصلون بذلك فيصيبون
من ثمارهم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك قد يئسوا من الآخرة يعني اليهود وذلك
انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وصدقه وانه رسول الله فكذبوه فيئسوا
من ان يكون لهم ثواب او خير في الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور يعني
كما يئس الذين ماتوا من الكفار وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك
ان الكفار اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله وقيل معناه كما يئس
الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاندوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار

من اصحاب الفيل والله اعلم بمراده والسلام كمل تفسير سورة

سورة الصف

وفيها قولان الراجح منهما انها مدنية وهو قول ابن عباس
في قول الجمهور والثاني انها مكية وهي اربع عشرة اية ومائتان واحدى وعشرون
كلمة وتسعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السمو
ات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلو
ن في سبب نزولها ما روي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله عز وجل
لعملناه فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا
ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقراها علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال المفسرون ان المومنين قالوا لو علمنا احب الا
عمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذ
ين يقاتلون في سبيله صفا وانزل هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الاية فابتلوا
بذلك يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون
ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحا
بة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله تعالى بهذه الا
ية وقيل نزلت في شان القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم
يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم
كانوا يعدون النصر للمومنين وهم كاذبون كبر مقتا عند الله اي عظم بغضا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون معناه ان تعدوا من انفسكم شيئا ثم لم تفوا به
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزو
لون عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اي قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض فل
يس فيه فرجة ولا خلل وفي الحديث تراصوا في الصف والمعنى ان الله تعالى يحب
من يثبت في الجهاد في سبيله صفا ويلزم مكانه كثبوت البناء قوله تعالى واذ قال
موسى لقومه اي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل يا قوم لم توذونني
قيل انهم كانوا يوذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم
لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يعني
توذونني وانتم تعلمون علما قطعيا اني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم
ولا يوذى فلما زاغوا اي عدلوا ومالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي امالها عن الحق الى غيره
والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق خارج عن
طاعته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسول حتى ان ايذاءهم كان سببا الى الكفر وزيغ القلو
ب عن الهدى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم اي اني رسول
ارسلت اليكم بالوصف الذي وصفت في التوراة مصدقا لما بين يدي من التوراة
اي اني مقر ومعترف باحكام التوراة وبكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم

ومبشرا

ومبشرا برسول ياتي من بعدي اي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكانه قيل
له ما اسمه فقال اسمه احمد عن ابي موسى رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه ان ياتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال فسمعت النجاشي يقول اشهد
ان محمدا رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس
لاتيته حتى احمل نعليه وقال ابو مودود وقد بقي في البيت موضع قبر اخرجه الترمذي في
عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة
محمد صلى الله عليه وسلم حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله
باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل عن جبير بن مطعم رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده
نبي وقد سماه الله تعالى رؤوفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة
من الفاعل ومعناه ان الانبياء حمادون لله عز وجل وهو اكثر حمدا من غيره والثاني انه مبالغة
من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو
اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها من غيره فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم
ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن اقبح ظلما ممن بلغ افتراوه ان يكذب
على الله وهو يدعى الى الاسلام وهذا انهم علموا ان ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به
معنى الاية ان الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا
سحر مبين وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم منهم
عقوبة لهم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم يعني ارادوا ابطال الاسلام بقولهم
في القران ان هذا سحر مبين والله متم نوره اي مظهر للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال
ابن عباس مظهر دينه ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله اي ليعليه على الاديان المخالفة له وقد فعل ذلك فلم يبق دين
من الاديان وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم نزلت هذه الاية
حين قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يرجون
فيها رضى الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى تؤمنو
ن بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي امر
تكم به من الايمان والجهاد في سبيله خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم
هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر المعنى امنوا بالله
ورسوله وجاهدوا في سبيله اي اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنا
ت تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
يعني هذا الذي ذكر هو الفوز العظيم واخرى تحبونها اي ولكم تجارة اخرى تحبونها

اخرى وقيل ولكم خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة نصر
من الله وفتح قريب قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح فارس والروم وبشر
المومنين اي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد اعدائه
فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من
انصاري الى الله اي مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى
من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وكانوا اثني عشر رجلا واول من آمن بعيسى
عليه السلام وحواري الرجل صفيه وخاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وحواري
الزبير فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة قال ابن عباس يعني في زمن عيسى
عليه السلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة
قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المو
منون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على
المومنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المومنة على الكافرة
فذلك قوله تعالى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين وقيل
معناه فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم
ان عيسى روح الله وكلمته والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

في تفسير سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة و
عشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في
الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين يعني العرب
وكانت العرب امة امية لا تكتب ولا تقرا حتى بعث فيهم نبي الله صلى الله عليه وسلم
وقيل الامي هو الذي بقي على ما خلق عليه كانه منسوب الى امه رسولا منهم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اي مثلهم وانما كان الامي
لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة
بالكتابة على ما اتى به من الوحي والحكمة وليكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث
فيهم وذلك اقرب الى صدقه يتلو عليهم آياته يعني يبين رسالاته وقيل ادلته التي يتميز
بها الحلال من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك ويعلمهم
الكتاب يعني القرآن وقيل الفرائض والحكمة قيل هي السنة وان كانوا من قبل
اي من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم لفي ضلال مبين وآخرين منهم اي من المومنين
الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة
وقيل اراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سو
رة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤ
لاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان فقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا
لناله رجال من هؤلاء اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الا

سلام بعد النبي

في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة لما يلحقوا بهم اي لم يدركوهم
ولكنهم يجيئون بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأو
الصحابة وهو العزيز اي الغالب الذي قهر الجبابرة الحكيم اي الذي جعل كل مخلوق
بحسبه موجدا لحكمته ذلك فضل الله يوتيه من يشاء يعني الاسلام وقيل النبوة خص
بها محمدا صلى الله عليه وسلم والله ذو الفضل العظيم اي على خلقه حيث ارسل فيهم رسو
له صلى الله عليه وسلم قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة يعني اليهود حيث كلفوا القيام
بها والعمل بما فيها ليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل ثم لم
يحملوها اي لم يعملوا بما فيها ولم يودوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهي
الكتب العظام من الكتب سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى
لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة وبالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبه
اليهود اذا لم يعملوا بما في التوراة الدالة على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار
الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون
بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه
واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القرآن اتبعوا القرآن
قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى بئس مثل
القوم اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وما اتى به من آيات القرآن وقيل المراد بالآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها
حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من سبق
في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا انفسهم بتكذيب آيات الله وا
نبيائه قل يا محمد يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اي من
دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فتمنوا الموت اي ادعوا على انفسكم بالموت ان كنتم
صادقين يعني فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه
لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا
من الكفر والتكذيب والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم فلا ينفعكم الفرار منه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
فيه وعد ووعيد قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة اي لوقت
الصلاة من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على
المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى
الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا
جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر
الناس زاد النداء الثالث على الزوراء وزاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود
قال كان يوذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب
المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قرب المسجد وقيل كان

وسرها نعم نفعها كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله
تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات
وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب
بن لؤي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة
وكان يقال ليوم الجمعة يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة قالوا لليهود يوم يجتمعون
فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي
فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة ثم انزل الله تعالى في
ذلك بعد وعن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة
فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه
اول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له
كم كنتم يومئذ قال اربعون رجلا واما اول جمعة جمعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما ذكره اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين
امتد الضحى فاقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم
ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم
بن عوف في بطن واد لهم وقد اتخذ في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخطب وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا واعملوا له وليس المراد من
السعي الاسراع في المشي انما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرا فامضوا الى ذكر
الله وقال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلاة الا وعليهم
السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الاية
فاسعوا الى ذكر الله قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكا
ن يتاول قوله فلما بلغ معه السعي يقول فلما مشى معه (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا وعليكم السكينة والوقار ولا
تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية اذا اقيمت الصلاة
فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون عليكم السكينة وذكر زاد مسلم فان احدكم
اذا كان يعمد الى الصلاة فهو في صلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله وقال سعيد بن المسيب
هو موعظة الامام وذروا البيع يعني البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما جميعا
وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الا
مام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ذلكم اي الذي ذكرت من حضور
الجمعة وترك البيع خير لكم اي من المبايعة في ذلك الوقت ان كنتم تعلمون اي مصا
لح انفسكم

فصل في فضل الجمعة واحكامها

واثم تاركها وفيه مسائل المسألة الاولى في فضلها (م) عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم
وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد في رواية ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة (ق) عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله
شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل
يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثا
نية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في السا
عة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج
الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب
من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون
الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت
غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله
عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو عن عباية قال ادركني ابو
عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه
في سبيل الله حرمه الله على النار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرجت الى الطور فلقيت كعب
الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما
حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة
فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من
دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة
الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا اعطاه
اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرا كعب التوراة فقال
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي
مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اية ساعة
هي قال ابو هريرة فقلت اخبرني بها ولا تكرعني وفي نسخة ولا تضن علي فقال هي اخر ساعة
من يوم الجمعة قال ابو هريرة فقلت وكيف تكون اخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك ساعة لا يصلى فيها فقال
عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو
في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك في الموطأ والنسائي
(خ) عن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة
ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه او يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق
بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى
عن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل
وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل

وقوله ومس الحصى فقد لغا

وبين

عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه أبو داود والنسائي قال أبو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل فقال غسل رأسه وجسده.

المسألة الثانية في التشديد على تاركها عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين. عن أبي الجعد الضمري وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمعات تهاونا طبع على قلبه أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي. نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم.

المسألة الثالثة في ذكر وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة فرض من فروض الأعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم إذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لأنهما ليسا من أهل الفرض ولا جمعة على النساء بلا خلاف ويدل على ذلك ما روي عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض أخرجه أبو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء أخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وإنما أسنده قبيصة. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل إلى أهله أخرجه الترمذي. ولا تجب على المرأة ولا على العبد وقال الحسن وقتادة والأوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن أحمد في العبد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي إذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وإن لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق والمعتبر أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الأصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب بهذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا جمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة. دليل الشافعي ومن وافقه ما رواه البخاري عن ابن عباس قال إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين ولأبي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين.

المسألة الرابعة في تركها بالعذر وكل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس أنه خطب في يوم ذي ردغ فأمر المؤذن لما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم أنكروا فقال كأنكم أنكرتم هذا إن هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وإنها عزمة وإني كرهت أن أحرجكم وفي رواية فتمشون

في الطين والدحض

والدحض والزلق أخرجه البخاري ومسلم. وكل من لا تجب عليه الجمعة فإذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الجمعة إلا صاحب العذر فإنه إذا حضر يكمل به العدد.

المسألة الخامسة في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد بأقل من أربعين وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وقالوا لا تنعقد بأقل من أربعين رجلا من أهل الكمال وهو أن يكونوا أحرارا عقلاء بالغين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا إلا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي رضي الله عنه لا جمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد بأربعة والوالي شرط عنده وقال الأوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليهم الجمعة كالعبد والمسافر والمرأة والصبي ولا تنعقد إلا في موضع واحد من البلد وبه قال مالك والشافعي وأبو يوسف وقال أحمد تقام في موضعين إذا كثر الناس وضاق الجامع.

المسألة السادسة لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فإنه يجوز عند بعضهم إلا أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر حج أو غزو وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف وأصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك أن تغدو مع أصحابك فقال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم فقال لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم أخرجه الترمذي. وروي أن عمر رأى رجلا عليه هيئة السفر سمعه يقول لولا أن اليوم يوم جمعة لخرجت فقال عمر اخرج فإن الجمعة لا تحبس عن سفر. وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم.

قوله عز وجل فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض أي إذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا أمر إباحة قال ابن عباس إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر وقيل فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم. وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين. واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون.

قوله عز وجل وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما. عن جابر رضي الله عنه قال بينا نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما. وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام ...

وفيه الا اثني عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت
سويقة فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وفي هذا الحديث حجة لمن يرى صحة
الجمعة باثني عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه ابتدا بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة
لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن ابن ابي الحسن
لما اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي
صلى الله عليه وسلم يخطب فلما راوه قاموا اليه بالبقيع فلما خشوا ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه
وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تتابعتم
حتى لم يبق منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بن حيان بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام وكان اذا قدم لم يبق
بالمدينة عاتق الا اتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره فينزل عند احجار الزيت
وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم
ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يخطب فخرج اليه الناس
ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا
اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل
الله هذه الاية واراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قربت المدينة استقبلوها بالطبول
والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اليها اي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في اليها راجع الى التجارة
لانها اهم اليهم وتركوك قائما اتفق علماء الحديث على ان الخطبة كانت للجمعة قال علقمة سال ابن
مسعود اكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا فقال اما تقرا وتركوك قائما قال الفقهاء
الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائما
خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط
الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين واقل ما يقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعا ويجب ان يقرا في
الاولى اية من القران ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لم تصح خطبته
ولا جمعته عند الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزاه وهذا
القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مامور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل
الناس وان يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه قولان بين العلماء
والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب
خلافا لابي حنيفة ومالك

فصل في الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام

عن ابن عمر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية كان
يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم قال كما تفعلون الان عن جابر بن سمرة قال كانت
للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر الناس وفي رواية فمن حدثك
انه كان يخطب جالسا فقد كذب عن كعب بن عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد
وعبد الرحمن بن ام الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا
وقال الله

تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما عن جابر بن سمرة قال كنت
اصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود يقرا
ايات من القران ويذكر الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء اخرجه ابو داود والترمذي وله
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من
شرور انفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ور
سوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا وفي رواية ان يونس
سال ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال ومن
يعصهما فقد غوى ونسال ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه
ويجتنب سخطه فانما نحن به وله اخرجه ابو داود عن جابر رضي الله عنه قال كانت
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم
يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم و
مساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى
ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها
وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا
فالي وعلي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على
المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذي وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت عن نافع
ان ابن عمر راى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك
في الموطا وقال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام واما صفة صلاة الجمعة
فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ويجوز الجمعة خمس شرائط الوقت وهو وقت الظهر ما بين
زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه ال
شروط الخمس يجب ان يصلي ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدئ بالخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد
اربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة او انفضوا
حتى نقص من العدد لا يجوز ان يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا
فاصح اقوال الشافعي ان بقاء الاربعين شرط الى اخر الصلاة كما ان بقاء الوقت شرط الى اخر
الصلاة فلو انفض واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول انه
ان بقي معه اثنان اتمها جمعة وقيل ان بقي معه واحد اتمها جمعة وعند المزني
ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة لا يكمل العدد الذي يشترط اتمها جمعة وان بقي
وحده وان كان في الركعة الاولى اتمها اربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة

لا خلاف بين العلماء انه يشترط للمسبوق ان ادرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام
اتمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة اتمها اربعا عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس م عن عبيد الله بن ابي رافع قال استخلف مروان
ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا ابو هريرة الجمعة فقرا بعد الحمد سورة الجمعة في
الاولى وانا اذا جاءك المنافقون في الثانية قال فادركت ابا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرات بسور
تين كان علي بن ابي طالب يقرا بهما في الكوفة قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا بهما م عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي
الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة
في يوم واحد يقرا بهما في الصلاتين عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا في
الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائي.
قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اي ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة و
الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة اي التي جاء بها دحية والله خير الرا
زقين يعني ان الله تعالى خير من رزق واعطى فمنه فاطلبوا واسالوا ومنه فاطلبوا والله سبحا
نه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة المنافقون
وهي مدنية وهي احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة
وتسعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز
وجل اذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه قالوا نشهد انك لر
سول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال والله يعلم انك لرسوله اي هو الذي ارسلك فهو عالم
بك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم
اضمروا خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام
فمن اخبر عن شيء واعتقد خلاف ما اخبر به فهو كاذب
كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسموا كذبا لان قولهم خالف اعتقاد
هم اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة يستترون بها من القتل والمعنى ايمانهم فاخبر الله عز وجل
حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله فصدوا عن سبيل الله
اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وقيل منعوا الناس عن
الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا يعملون يعني حيث اثروا
الكفر على الايمان ذلك بانهم آمنوا اي في الظاهر وذلك اذا راوا المؤمنين قالوا آمنا
ثم كفروا اي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين والله يشهد انهم
لكاذبون فطبع على قلوبهم اي بالكفر فهم لا يفقهون اي الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن
واذا رأيتهم اي المنافقين مثل عبد الله بن ابي بن سلول تعجبك اجسامهم يعني ان لهم
اجساما ومناظر حسنة وان يقولوا تسمع لقولهم اي فتحسب انه صدق قال ابن عباس
كان عبد الله بن ابي جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم
قوله

كانهم خشب

خشب مسندة اي اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى
جدار وليست باشجار مثمرة ينتفع بها يحسبون كل صيحة عليهم يعني انهم لا يسمعون صوتا
في العسكر بان نادى مناد او انفلتت دابة او نشدت ضالة الا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم انهم
يرادون بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل لانهم على وجل وخوف من ان ينزل فيهم
امر يهتك استارهم ويبيح دماءهم ثم تم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى هم
العدو فاحذرهم يعني انهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم اي
لا تأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك قاتلهم الله
اي لعنهم الله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق قوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم اي مالوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار
ورأيتهم يصدون اي يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون اي عن استغفار رسول الله صلى
الله عليه وسلم سواء عليهم استغفرت لهم اي يا محمد ام لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ذكر القصة في سبب
نزول هذه الآية قال محمد بن اسحاق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن ابي ضرار وهو ابو
جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج الي
هم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف
الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بني المصطلق وامكن منهم وقتل من قتل منهم و
نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فافاءها عليه فبينما الناس
على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له
جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن
الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فاعان
جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي بن سلول لجعال وانك
لهناك فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبد الله بن ابي وعنده رهط من قومه
فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله افعلوها قد نافرونا وكاثرونا
في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتمو
هم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام
لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد
فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمان
ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن ابي اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغهم من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال
دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه

بلادنا

ولكن اغتر بالرجل ونفى لقيه سارع لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبرح فيها فإن نزل الناس
سروا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب الكلام الذي
بلغني فقال عبد الله والذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب وكان
عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى ان يكون
الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله وعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة
لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه
وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيى بعد ذلك ان يدنو
من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه اسيد بن حضير
فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال صاحبكم عبد الله بن أبي فقال أسيد وما قال قال زعم
انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت فهو
والله هو الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه
لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكه وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان
من أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله أبي لما
بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان
بها من رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل
عبد الله يمشي في الارض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قال وسار رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومه ذلك وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان
وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن أبي
الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له نقعاء فهاجت
ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ليلا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل من
هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان
ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته واخبر
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن
الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا
يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤوا بها فآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا
المدينة وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء
اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم
جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم
وتكذيب عبد الله بن أبي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال

يا زيد ان الله صدقك

صدقك يا زيد واوفى بأذنك قال الصحابي العبسي كان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها
جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي
قال له ابنه وراءك قال ما لك ويلك قال والله لا تدخلها ابدا الا باذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولتعلم اليوم من الاعز من الاذل فشكى عبد الله بن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع
ابنه فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبد الله اما اذا جاء
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه الآية السورة وبان كذب عبد الله بن أبي
قيل له يا ابا حباب انه قد نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى
رأسه ثم قال امرتموني ان أومن فقد آمنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد
لمحمد فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم الآية الى قوله هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه ولله خزائن السماوات و
والارض اي بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احد احدا شيئا الا باذن الله ولا يمنعه الا بمشيئته ولكن
المنافقين لا يفقهون يعني ان امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون يقولون لئن رجعنا الى المدينة
يعني من غزوة بني المصطلق ليخرجن الاعز منها الاذل فرد الله تعالى عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه
على الاديان وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك
ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال الصحابي العبسي فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن
سلول فما بقي الا ايام قليلة حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا
تشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما اشتغلت المنافقين عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
اي في تجارتهم حيث اشتروا العاجل فاولئك هم الخاسرون يريد زكاة الاموال قال ابن عباس
عن الباقي وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريدون زكاة الاموال من قبل ان يأتي
احدكم الموت اي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة فيقول رب لولا اخرتني اي هلا
امهلتني وقيل لو اخرت اجلي الى اجل قريب فاصدق اي فازكي مالي واكن من
الصالحين اي المؤمنين قيل هذه الآية نزلت في المنافقين وقيل هذا في المؤمنين ليس
له رجعة وقيل الآية نزلت في المؤمنين والمراد بالصالح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد
يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته واطاق الحج ولم يحج الا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه
الآية واكن من الصالحين اي احج وازكي ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها يعني انه تعالى لا
يؤخر من حضر اجله وانقضت مدته والله خبير بما تعملون اي انه عالم الى العبد واجب الى
ما سأل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل من عمله من خير او شر والله اعلم بمراده
واسرار كتابه

تفسير سورة التغابن وهي مدنية في

قول الاكثرين وقيل هي مكية وقيل الا ثلاث آيات من قوله يا ايها الذين آمنوا ان
من ازواجكم واولادكم الخ ثلاث آيات وهي ثماني عشرة آية ومائتان واحدى واربعون كلمة
والف وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

يسبح لله ما في السماوات وما في الارض له الملك وله الحمد يعني انه تعالى متصرف في
ملكه كيف يشاء. نص في اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو
هو الغني يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال الا هو وهو على كل شيء قدير يعني انه
سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء. فلا مانع ولا معارض هو الذي خلقكم فمنكم كافر و
منكم مومن قال ابن عباس ان الله تعالى خلق ابن ادم مومنا وكافرا ثم يعيدهم يوم ا
لقيامة كما خلقهم مومن وكافر عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم والله
بما تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن خلق السماوات والارض بالحق
وصوركم فاحسن صوركم اي انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والنظر من حسن
القامة والمناسبة في الاعضاء وقد علم ان صورة الانسان احسن صورة واكملها واليه ا
لمصير اي المرجع في القيامة يعلم ما في السماوات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون وا
لله عليم بذات الصدور معناه انه تعالى لا يخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن
هو بكل شيء عليم قوله تعالى الم ياتكم خطاب لكفار مكة نبؤا الذين كفروا من قبل يعني خبر
الامم الخالية فذاقوا وبال امرهم اي جزاء اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم
عذاب اليم اي في الاخرة ذلك اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا ولم ينكروا
هذا لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا فكفروا
اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم والله غني اي
عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن اي يوم القيامة ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك
على الله يسير اي امر البعث والحساب يوم القيامة فآمنوا بالله ورسوله لما ذكر حال الامم
الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما
نزل بهم من العقوبة والنور الذي انزلنا يعني القرآن وسمي نورا لانه يهتدى به في ظلمات
الضلالة كما يهتدى بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع على اعمالكم واحوال
كم جميعها فراقبوه وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيا
مة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السماوات واهل الارضين ذلك يوم التغابن من الغبن
وهو فوت الحظ والمراد في المجازات والتجارة وذلك اذا اخذ الشيء بدون قيمته وقيل الغبن
بالمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة وذلك لان كل كافر له اهل ومنزل في الجنة لو اسلم
فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مومن بتقصيره في الاحسان و
تبين ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن اعظم من هذا ومن يومن بالله اي
على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ويعمل صالحا اي في ايمانه الى ان يموت على ذلك
نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم و
الذين كفروا اي بوحدانية الله وقدرته وكذبوا باياتنا اي الدالة على البعث اولئك اصحاب النار
خالدين فيها

فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بقضاء الله وقدرته وارادته ومن يومن بالله
اي يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله تعالى وقدرته واذنه يهد
قلبه اي يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم
لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للاسترجاع عند المصيبة والصبر عند البلاء والله بكل
شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي فيما امر وفيما جاء به من عند الله وما امركم به
فان توليتم اي عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله
الا هو لا معبود ولا مقصود الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هؤلاء رجال اسلموا
من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا انا صبرنا على اسلامكم فلا نصبر على فراقكم
فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم اي ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة وان تعفوا و
تصفحوا وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فراى الذين قد سبقوه في
الهجرة قد فقهوا في الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به لم
ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فامره الله تعالى بالعفو عنهم والصفح وقال عطاء [illegible] عوف بن مالك
الاشجعي وكان ذا اهل وولد فكان اذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم
ويقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله تعالى
فاحذروهم اي ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اي فلا تعاقبوهم على خلافكم فان الله غفور
رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار [illegible] عن الاخرة وقد يقع الانسان بسببهم
في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر عظيم يعني
الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب الاولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم
قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لا يخلون عن الفتنة
واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من
الفتنة فانه ليس منكم احد يرجع الى اهل ومال وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ
بك من مضلات الفتن عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن وا
لحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما فوضعهما
بين يديه ثم قال صدق الله العظيم انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان
ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
قوله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم اي ما اطقتم وهذه الاية ناسخة لقوله اتقوا
الله حق تقاته واسمعوا واطيعوا اي لله ولرسوله فيما يامركم به وينهاكم

غير أن يقع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فمذهب أكثر أهل العلم أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وحكي عن عمر أنه تتربص تسعة أشهر فإن لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فإن لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كله في عدة الطلاق أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا وأما الحامل فعدتها بوضع حملها سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن (ق) عن سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي لفظ البخاري وفي لفظ مسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى بأسا أن تتزوج حين وضعت وإن كانت في دمها غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة ذلك أي الذي ذكر من الأحكام أمر الله أنزله إليكم أي لتعملوا به ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا قوله تعالى أسكنوهن يعني مطلقات نسائكم من حيث سكنتم من وجدكم أي من سعتكم وطاقتكم فإن كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وإن كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن أي لا تؤذوهن لتضيقوا عليهن يعني مساكنهن فيخرجن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن أي فيخرجن من عدتهن

فصل في حكم الآية اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكن فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكا للزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة وإن كانت عارية ورجع المعير فعليه أن يكتري لها دارا تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروي عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها إلا أن تكون حاملا وهو قول الحسن وعطاء والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق النفقة إلا أن تكون حاملا لقوله تعالى وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن والدليل عليه من جهة السنة ما روي عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير

فسخطته فقالت

والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي أسامة فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت أخرجه مسلم واحتج بظاهر الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كانت في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها وكان في لسانها ذرابة وأما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملا وأما المعتدة من وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروي عن علي أن لها النفقة إن كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان أحدهما أنه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة والثاني أن لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري وأحمد وإسحاق واحتج من أوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بي فنوديت له فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل إلي فسألني فأخبرته فاتبعه وقضى به أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي فمن قال بهذا القول قال إذنه لفريعة أولا بالرجوع إلى أهلها صار منسوخا بقوله آخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل فإن أرضعن لكم يعني أولادكم فآتوهن أجورهن يعني على إرضاعهن وفيه دليل على أن اللبن وإن خلق لمكان الولد فهو ملك للأم وإلا لم يكن لها أن تأخذ عليه أجرا وفيه دليل على أن حق الرضاع والنفقة على الأزواج في حق الأولاد وائتمروا بينكم بمعروف أي ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف وقيل يتراضى الأب والأم على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يأمرهم أن يأتمروا بالمعروف وما هو الأحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف هنا أن لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه وإن تعاسرتم أي في حق الولد وأجرة الرضاع فأبى الزوج أن يعطي المرأة رضاعها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه بل يستأجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته أي على قدر غناه ومن قدر عليه رزقه أي ضيق عليه رزقه فكان بمقدار القوت فلينفق مما آتاه الله

فكان يفعل ذلك حتى الموت {لينفق مما آتاه الله} أي على قدر ما آتاه الله من المال {لا يكلف الله نفسا} أي في النفقة {إلا ما آتاها} أي من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة {سيجعل الله بعد عسر يسرا} أي بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله تعالى {وكأين من قرية عتت} أي بالمناقشة والاستقصاء. وقيل حاسبها بعملها في الدنيا فجازاها النار وهو قوله تعالى {وعذبناها عذابا نكرا} أي منكرا فظيعا وقيل على الآية تقديم وتأخير مجازه فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر أنواع البلايا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا {فذاقت وبال أمرها} أي شدة أمرها وجزاء كفرها {وكان عاقبة أمرها خسرا} أي خسرانا في الدنيا والآخرة {أعد الله لهم عذابا شديدا} يخوف كفار مكة أن ينزل عليهم مثل ما نزل بالأمم الماضية {فاتقوا الله يا أولي الألباب} أي ذوي العقول ثم نعتهم فقال {الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا} يعني القرآن {رسولا} أي وأرسل إليكم رسولا {يتلو عليكم آيات الله مبينات} وقرئ مبينات بالخفض أي تبين الحلال من الحرام وقرئ بالنصب ومعناه أنها واضحات {ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور} أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم {ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا} يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل رزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة {الله الذي خلق سبع سماوات} يعني بعضها فوق بعض {ومن الأرض مثلهن} أي في العدد {يتنزل الأمر بينهن} أي الوحي إلى خلقه من السماء العليا إلى الأرض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته وينقله من حال إلى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا ويدبر في كل سماء من سمائه وأرض من أرضه وخلق من خلقه وأمر من أمره {لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما} يعني أنه سبحانه وتعالى يعلم بكل شيء ولا يخفى عليه خافية وأنه قادر على الإنشاء بعد الإفناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة في علمه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

{بسم الله الرحمن الرحيم} قوله عز وجل {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم} ذكر سبب نزولها (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء وكان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر واحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت منه النبي صلى الله عليه وسلم شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت إذا دخل عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير

فإنه سيقول لا

فإنه سيقول لا فقولي له ما هذه الريح التي أجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أباديه بالذي قلت وإنه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي (خ) وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت لم تحرم ما أحل الله لك إلى قوله إن تتوبا إلى الله لعائشة وحفصة وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن أعود وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا زاد في رواية تبتغي مرضات أزواجك عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية أخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول هذه الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي إسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية وأما التفسير فقوله يا أيها النبي {لم تحرم ما أحل الله لك} أي من العسل أو مارية على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها وبالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده أن ذلك حلال {تبتغي مرضات أزواجك} أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك {والله غفور رحيم} أي غفر لك ذلك التحريم {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم} أي بين وأوجب الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهي ما ذكر في سورة المائدة فأمر الله نبيه أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته فأعتق رقبة {والله مولاكم} أي وليكم وناصركم {وهو العليم} أي بخلقه {الحكيم} أي فيما فرض من حكمه

فصل اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فإن قال لزوجته أنت علي حرام أو قال حرمتك فإن نوى به طلاقا فهو طلاق وإن نوى به ظهارا فهو ظهار وإن نوى به تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقها عتقت وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وإن قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذه أقوال أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتا

والثاني بعينه واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيئا ففيه قولان للشافعي اصحهما
انه يلزمه كفارة يمين والثاني لا شيء عليه وانه لغو ولا يترتب عليه شيء من
الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال لزوجته او جاريته فلا يجب عليه الكفارة
ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطأها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف لا ياكله فلا كفارة
عليه ما لم ياكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض
ازواجه حديثا يعني ما اسر لحفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك
وهو قوله وهو قوله الغيره لا تخبري بذلك احدا وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده
لتا بعد حفصة قال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتين على امتي
من بعدي وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يترضاها فاسر اليها بشيئين تحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر فلما نبات به اي
اخبرت به حفصة عائشة واظهره الله عليه اي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
على قول حفصة لعائشة عرف بعضه قرئ بتخفيف الراء اي عرف بعض الفعل
حفصة فغضب من افشاء سره مجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لو
كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه
السلام وامره بمراجعتها وقيل هم رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم
بطلاقها فاتاه جبريل وقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك
في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض ذلك الحديث
واخبرها ببعض ما كان منها واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به
الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة
واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس فلما نباها
به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت يعني حفصة من انباك هذا اي
من اخبرك اني افشيت السر قال نباني العليم اي بما تكنه الضمائر الخبير اي
بخفيات الامور قوله عز وجل ان تتوبا الى الله خطاب لعائشة وحفصة اي من التعاون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن
الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك انهما سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو اجتناب مارية قوله تعالى وان تظاهرا عليه اي تتعاونا على اذى النبي صلى
الله عليه وسلم فان الله هو مولاه اي وليه وناصره وجبريل اي وليه وناصره ايضا
نعم امره وان كان في الظاهر داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته
ومكانته وصالح المومنين روي عن ابن مسعود وابي بن كعب وصالح المومنين ابو
بكر وعمر وقيل هم الخلصاء من المومنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء والملائكة بعد ذلك اي بعد نصر الله وجبريل وصالح المومنين ظهير اي اعوان للنبي
صلى الله عليه وسلم بنصرونه عسى ربه اي واجب من الله تعالى ان طلقكن يعني رسول

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم ان يبدله ازواجا خيرا منكن ثم وصف الازواج التي كان يبدله
وجه بهن فقال مسلمات اي خاضعات لله بالطاعة مومنات اي مصدقات بتوحيد
الله تعالى قانتات اي طائعات وقيل مصليات بالليل تائبات اي تاركات
الذنوب لنفسها عابدات اي كثيرات العبادات سائحات اي صائمات وقيل
مهاجرات وقيل يسحن معه حيثما ساح ثيبات جمع ثيبة وهي التي تزوجت ثم
بانت بوجه من الوجوه وابكارا اي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن
القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم الله انه لا يطلقهن واخبر عن قدرته انه
ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
قوا انفسكم قال ابن عباس اي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته
واهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك
نارا وقودها الناس والحجارة يعني الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا
عليها ملائكة يعني خزنة النار وهم الزبانية غلاظ اي فظاظ على اهل النار شداد
يعني اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق الله
الرحمة فيهم لا يعصون الله ما امرهم اي لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه ويفعلون
ما يومرون اي لا يتاخرون عنه طرفة عين ولا يتقدمونه او امر الله والانتقام من اعداء الله تعالى يا ايها
الذين كفروا لا تعتذروا اليوم يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار
شدة ذلك لانه قد لا ينفعهم الاعتذار والاعتذار لا ينفعهم الا عذر لا انه غير مقبول يعني
دخول النار انما تجزون ما كنتم تعملون يعني اعمالكم السيئات الزمتكم العذاب قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي ذات نصح تنصح صاحبها بترك
العود الى الذنب التي تاب منه قال عمر بن الخطاب وابي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب
ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما
على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب
ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال
محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع
بالابدان والاضمار على ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان قوله تعالى عسى
ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا اطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك
تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا
يخزي الله النبي والذين آمنوا معه اي لا يعذبهم بدخول النار نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم يعني على الصراط يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يعني يقولون ذلك اذا طفى
نور المنافقين واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير تقدم تفسيره قوله تعالى ضرب
الله مثلا اي بين شبها وحالا للذين كفروا امرات نوح واسمها واعلة وامرات لوط
واسمها واهلة وقيل اسمها والعة ووالهة كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم

خيانتهما قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما
كانت على غير دينهما وكانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا امن به احد اخبرت
به الجبابرة من قومها واما امراة لوط فكانت تدل قومه على اضيافه اذا نزل به ضيف
بالليل اوقدت النار واذا نزل به بالنهار دخنت ليعلم من قومها انه قد نزل به ضيف
وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اي
لم يدفعا عن امراتيهما مع نبوتهما عذاب الله وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهذا مثل
ضربه الله تعالى للصالحات والطالحات من النساء وان الله لا ينفع العاصي طاعة غيره
ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان الاقارب
كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل بالكافر نبيا كامراة نوح وامراة
لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امراتيهما شيئا فقطع بهذه الاية
طمع من يركب المعصية ان ينفعه صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بامي
المومنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ
وجه واشده ثم ضرب مثلا اخر يتضمن ان معصية الغير لا تضر اذا كان هو مطيعا
وان وصلة المعصية بالكافر لا تضر فقال تعالى وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون
يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة امنت به امرات
فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها
في الشمس وكانت تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة اذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله عن بيتها
في الجنة ونجني من فرعون وعمله يعني وشركه وقال ابن عباس عمله جماعه ونجني من القوم
الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها اي عن الفواحش وانما ذكر
لعصمتها العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية من روحنا
اضافة تمليك وتشريف وصدقت بكلمات ربها يعني
الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة تعالى لانبيائه وكتابه يعني
الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام وكانت من القانتين
يعني كانت من القوم القانتين اي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها
لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله تعالى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح
والله اعلم بمراده واسرار كتابه.

تفسير سورة الملك مكية

وهي ثلاثون اية وثلاثمائة وثلاثون كلمة والف وثلاث مائة وثلاثة عشر حرفا
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القران سورة ثلاثون اية
شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن … وعن ابن عباس قال ضرب بعض
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان

بعض اصحاب

يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا فيه قبر انسان يقرا سورة الملك
حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب
القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب. بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك
الذي بيده الملك اي الامر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء
وهو على كل شيء قدير اي من انشاء ما لم يكن الذي خلق الموت والحياة قيل اراد الموت
في الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الاخرة دار جزاء
وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى القهر ليبلوكم اي ليختبركم فيما بين الحياة
الى الموت ايكم احسن عملا روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع
عن محارم الله تعالى واسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه
وهو العزيز اي الغالب المنتقم ممن عصاه الغفور اي لمن تاب اليه ورجع عن اساءته
قوله تعالى الذي خلق سبع سماوات طباقا يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل
سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار السماء الدنيا
موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس و
قال الخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما
بين السماء السابعة الى الحجب صحاري من نور ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي ما ترى يا ابن ادم
فيما خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة
مستوية فارجع البصر اي كرر النظر هل ترى من فطور اي من شقوق وصدوع ثم ارجع
البصر كرتين قال ابن عباس مرة بعد مرة ينقلب اي ينصرف اليك البصر خاسئا
اي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى وهو حسير اي كليل منقطع لم يدرك ما
يطلب ولقد زينا السماء الدنيا اي التي تلي الارض وهي التي يراها الناس بمصابيح اي
بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور
قيل خلق الله تعالى النجوم لثلاثة زينة للسماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات
البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين
قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع واعتدنا لهم اي واعتدنا
للشياطين بعد الاحراق في الدنيا عذاب السعير اي في الاخرة وهي النار الموقدة
وللذين كفروا بربهم اي ما هذا العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من الجن
والانس عذاب جهنم وبئس المصير ثم وصف جهنم فقال تعالى اذا القوا فيها
سمعوا لها شهيقا هو اول صوت نهيق الحمار وذلك افظع الاصوات وهي تفور
اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل تكاد تميز
اي تتقطع من الغيظ اي من تغيظها عليهم كلما القي فيها فوج اي جماعة سالهم
خزنتها يعني سؤال توبيخ وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول ينذركم قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء يعني للرسل وهذا اعتراف منهم
بان الله الزمهم الحجة ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال

إن أنتم إلا في ضلال كبير فيه وجهان أحدهما وهو الأظهر أنه من جملة قول الكفار
للرسل والثاني يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا
في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أي من الرسل ما جاءوا به أو نعقل أي نعي منهم قال ابن
عباس لو كنا نسمع الهدى ونعقله فنعمل به ما كنا في أصحاب السعير وقيل معناه
لو كنا نسمع سمع من يعي ويعقل عقل من يميز وينظر ونتفكر ما كان في أصحاب النار
فاعترفوا بذنبهم هو بمعنى الجمع أي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء
فسحقا أي بعدا لأصحاب السعير وقوله عز وجل إن الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافون
ربهم ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه لهم مغفرة أي لذنوبهم وأجر كبير
يعني جزاء أعمالهم الصالحات وأسروا قولكم أو اجهروا به قال ابن عباس نزلت في المشركين
كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم
لبعض أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد فأخبره الله تعالى أنه لا يخفى عليه خافية فقال
تعالى إنه عليم بذات الصدور ثم أكد ذلك بقوله تعالى ألا يعلم من خلق يعني ألا يعلم
ما في الصدور من خلقه وقيل ألا يعلم الله من خلق والمعنى ألا يعلم الله ما في صدور من خلق وهو اللطيف
أي في استخراج ما في الصدور الخبير بما فيها من الخير والشر قوله
تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا أي منقادة من كل شيء والمعنى جعلها لكم
سهلة لا يمتنع المشي فيها بحزونتها وغلظها فامشوا في مناكبها
وقال ابن عباس في جبالها والمعنى هو الذي ... وقيل في طرقها وفجاجها
أطرافها وجوانبها ... وكلوا من رزقه
... أي مما خلقه الله تعالى لكم في الأرض وإليه النشور
أي وإليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أأمنتم من في السماء
قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء إن عصيتموه أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور
أي تتحرك بأهلها وقيل تهوي بهم والمعنى أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف
بهم حتى تلقيهم إلى أسفل وتعلو الأرض عليهم وتمور فوقهم أي تجيء وتذهب أم أمنتم
من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط فستعلمون
أي عند الموت وفي الآخرة كيف نذير أي إنذاري إذا عاينتم العذاب ولقد كذب الذين
من قبلهم أي من قبل كفار مكة وهم الأمم الماضية فكيف كان نكير أي إنكاري
عليهم بالعذاب قوله عز وجل أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات أي باسطات
أجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن أي يضممن أجنحتهن إذا ضربن بها جنوبهن
بعد البسط ما يمسكهن أي في حال القبض والبسط إلا الرحمن والمعنى أن الطير مع
ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها في الجو إلا بإمساك الله
إياها وحفظه لها إنه بكل شيء بصير يعني أنه تعالى لا يخفى عليه خافية أمن هذا الذي
هو جند لكم استفهام إنكار أي لا جند لكم ينصركم أي يمنعكم من دون الرحمن أي
من عذاب الله تعالى فإن عذابه إذا نزل لا يمنع منه ... إن الكافرون إلا في غرور أي من
الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه يعني

من الذي يرزقكم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصلى الله على سيدنا محمد

يعني من الذي يرزقكم المطر إن أمسكه الله عنكم بل لجوا أي تمادوا في العتو
لا ينزل عليهم أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه يعني من ذا الذي ... بل لجوا في عتو
أي تمرد وتكبر ونفور أي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكفار والمؤمنين فقال تعالى
أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أي راكبا رأسه في الضلالة والجهالة أعمى القلب
والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصي في الدنيا
فحشره الله على وجهه يوم القيامة أهدى أي هو أهدى أمن يمشي سويا أي
معتدلا يبصر الطريق على صراط مستقيم أي وهو على صراط مستقيم يعني المؤمن
يمشي يوم القيامة سويا قل هو الذي أنشأكم أي خلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة
يعني أن الله تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه
ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها
في غير ما خلقت له فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها قل هو الذي ذرأكم
أي خلقكم وبثكم في الأرض وإليه تحشرون أي يوم القيامة والمعنى أن القادر على الابتداء قادر
على الإعادة ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين هذا السؤال يحتمل وجهين
أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثاني أنه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله
تعالى عن ذلك بقوله قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين أمره بإضافة العلم إلى الله وتبليغ
ما أوحي إليه فلما رأوه يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين وقيل يعني العذاب
يوم بدر زلفة أي قريبا سيئت وجوه الذين كفروا أي اسودت وعلاها الكآبة والمعنى
قبحت وجوههم بالسواد وقيل لهم هذا الذي أي قالت لهم الخزنة هذا أي العذاب
الذي كنتم به تدعون أي من الدعاء أي تتمنون وتطلبون أن يعجله لكم وقيل من الدعوى
أي تدعون أن لا جنة ولا نار قل أي يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك أرأيتم إن
أهلكني الله ومن معي أي من المؤمنين أو رحمنا أي فأبقانا وأخر في آجالنا فمن يجير
الكافرين من عذاب أليم أي إنه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الآية قل أرأيتم إن
أهلكني الله أي عذبني ومن معي أو رحمنا أي فغفر لنا فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا
لأن حكمه نافذ فينا فمن يجيركم أي يمنعكم من عذاب أليم وأنتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل أي لهم
في إنكارك عليهم وتوبيخك لهم هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا أي نحن آمنا به وعبدناه
وأنتم كفرتم به فستعلمون أي عند معاينة العذاب من هو في ضلال مبين أي نحن أم أنتم وهذا
تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على ما يوجب الاحتجاج فقال تعالى قل أرأيتم إن
أصبح ماؤكم غورا أي غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي ولا الدلاء وقيل يعني زمزم وقيل غيرها من الآبار
فمن يأتيكم بماء معين والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم
قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبروني إن صار ماؤكم ذاهبا في الأرض فمن يأتيكم بماء
معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شيء
أصلا شريكا في العبودية فهذا ... والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

ف

تفسير سورة ن والقلم مكية

وهي اثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الأرض وعنه أن أول ما خلق الله تعالى القلم وجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ ابن عباس ن والقلم وما يسطرون فقيل اسم النون بهموت وقيل ليوثا وقيل لوثيا وقيل بهموت قال صاحب التيسير في الأخبار لما خلق الله تعالى الأرض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأخذ الله تعالى ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر ولم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه فقال أتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لألقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت في منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب الأحبار والذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا أن نون حرف من حروف الرحمن إذا اجتمعت الر وحم ونون وقيل هو مفتاح اسمه ناصر ونصير وقيل هو اسم للسورة والقلم هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر إليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه وما يسطرون أي وما تكتب الحفظة من أعمال بني آدم ما أنت يا محمد بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون رد لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون والمعنى إنك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنك الجنون وإن لك لأجرا غير ممنون أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد عبس كواسب ما يمن طعامها أي ما يقطع يصف كلابا ضارية وقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لأن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم يجز إضافة الجنون إليه ولما كانت

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة

ف

صلى الله عليه وسلم كاملة وأفعاله الحميدة متوافرة والآداب المرضية فيه مجتمعة ويجمع ذلك كله الخلق في صاحبه وفي تعريف حسن الخلق الخلو من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب والمعاشرة مع الأقارب والأجانب والتساهل في جميع الأمور والتسامح بما يلزمه من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر فهذه الأخلاق تجمع جميع محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وإنك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه وهو دين

فصل في فضل حسن الخلق

وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال م عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم أخرجه أبو داود وعنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وله عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحاسنكم أخلاقا وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبا عمير وهو فطيم كان إذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور إلا أنه أحمر المنقار خ عن الأسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله يصنع في بيته قالت كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي قوله تعالى فستبصر أي يا محمد ويبصرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب بأيكم المفتون قال ابن عباس معناه بأيكم المجنون وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أو في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون إن ربك هو أعلم بمن ضل

ابن العاص

حسن

ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين معناه انهم رموه بالجنون والضلال
ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين
المضل والمهتدي والمجنون والعاقل فلا تطع المكذبين يعني مشركي مكة
وذلك انهم دعوه الى دين ابائهم فنهاه الله تعالى ان يطيعهم ودوا لو تدهن
فيدهنون اصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل الادهان الجريان
في دينه والادهان في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الاية انهم تمنوا لو
تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا
بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف با
لباطل مهين اي ضعيف حقير هماز اي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة
مشاء بنميم اي قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس مناع للخير اي بخيل
بالمال معتد اي ظلوم يتعدى الحق اثيم اي فاجر يتعاطى الاثم عتل اي غليظ جاف
وقيل هو الفاحش الخلق السيء الخلق بعد ذلك زنيم اي مع ما وصفناه به من ا
لصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم ان كان ذا مال
وبنين قرئ على الخبر ومعناه ولا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اي لا
تطع لماله وبنيه وقرئ ان كان ذا مال وبنين على الاستفهام ومعناه الان كان ذا
مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي جعل مجازاة النعم التي خو
لها من المال والبنين الكفر باياتنا ثم اوعده فقال تعالى سنسمه على الخرطوم
اي على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به في الاخرة وهو سواد
الوجه فعبر بالوجه على الانف انا بلوناهم اي اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع
كما بلونا اصحاب الجنة روي عن ابن عباس في قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب
الجنة قال بستان في اليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه اهل الطريق
وكان غرسه قوم من اهل الصلاح وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له
وكان للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجذه واذا طرح
من فوق النخل الى البساط فكل شيء يخرج عن البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا
زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم
كل شيء ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة وقالوا
والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان الامر كثيرا والعيال
قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما
ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا اي تحالفوا
ليصرمنها اي ليقطعوا ثمرها مصبحين اي اذا اصبحوا قبل ان تخرج اليهم المساكين وقبل ان يعلم
بها المساكين ولا يستثنون اي ولم يقولوا ان شاء الله وقيل ولا يستثنون شيئا للمسا
كين من ثمر جنتهم فطاف عليها طائف من ربك اي عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا با
ليل وهو قوله تعالى وهم نائمون وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها وهو قوله
تعالى فاصبحت

فاصبحت اي الجنة كالصريم اي كالليل الاسود المظلم وقيل اي صرم منها الخير فليس
فيها شيء ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة فتنادوا
اي نادى بعضهم بعضا مصبحين يعني لما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم يعني الثمار والزر
وع والاعناب ان كنتم صارمين اي قاطعين ثماركم فانطلقوا اي مشوا اليها وهم يتخا
فتون اي يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على
حرد اي قدر ومنع وغضب وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه
وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين اي عند انفسهم
على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد فلما راوها اي راوا الجنة محترقة قالوا
انا لضالون اي لمخطئون الطريق ضللنا مكان جنتنا وليس هذه مكان جنتنا بل
نحن محرومون اي قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء
قال اوسطهم اي اعدلهم وافضلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون
انكر عليهم ترك الاستثناء في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا لانه تعظيم
الله تعالى واقرار بانه لا يقدر احد على شيء الا بمشيئته وعلى التعقيب الثاني في الاستثناء
بمعنى لا تتركون من ذنوبكم ونقر بخطيئتكم ومنعكم حق المساكين فاقبل بعضهم على
بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم على بعض قالوا يا ويلنا نادوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين
اي في منعنا حق الفقراء والمساكين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن
مسعود بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم جنة يقال لها
الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا قال الله تعالى كذلك العذاب اي كفعلنا بهم
نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولعذاب
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر الله تعالى بما اعد للمتقين فقال تعالى ان للمتقين
عند ربهم جنات النعيم اي عند ربهم في الاخرة ولما نزلت هذه الاية قال المشركون انا
نعطى في الاخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين
كالمجرمين يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون افضل او يعطى افضل
منه ولما قال الله تعالى ذلك على سبيل الانكار والاستبعاد قال لهم على طريق الالتفات ما لكم
كيف تحكمون يعني هذا الحكم المعوج ام لكم كتاب اي نزل من عند الله فيه اي في ذلك الكتا
ب تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه اي في ذلك الكتاب لما تخيرون اي تختارون وتشتهون ام
لكم ايمان علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستو
ثقتم بها منا الى يوم القيامة اي لا تنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة ان لكم اي في
ذلك العهد لما تحكمون اي لانفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم سلهم ايهم بذلك زعيم اي ايهم كفيل لهم بان لهم في الاخرة ما للمسلمين
ام لهم شركاء اي بل الهم شركاء لله فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اي في دعواهم
يوم اي فلياتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يكشف عن ساق اي
عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة يوم القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع
في امر عظيم فظيع يحتاج اليه الى الجد ومعاناة الشدة كشف عن ساقه اذا قام في ذلك الامر ويقال

اذا اخذ في ذلك الامر ويقال الآن اشتد الامر في الحرب كشف الحرب عن ساق وسئل ابن عباس
عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان
العرب اما سمعتم قول الشاعر ** سن لنا قومك ضرب الاعناق ** وقامت الحرب بنا
على ساق ** ثم قال ابن عباس هو يوم حرب وشدة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا
في زمان النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون
في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في رؤية الله
يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية احدهما يوم القيامة اذن مؤذن لتتبع كل امة ما كانت
تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله
عز وجل من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا
نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا
عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم
بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون
قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد
فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون
الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق
الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها قال فما
تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا
اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا
مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه
بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه
الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة
كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي راوه
فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة
ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف
وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر
المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم
ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي
بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم
القيامة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال
لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار
الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا
لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف

دينار من خير

نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها
احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول
ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون
وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما
لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما
تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر
وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل
الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا
الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي
ما هو افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم
ابدا اخرجه مسلم والبخاري نحوه بمعناه ** فصل في شرح غريب الفاظ الحد
يث وما يتعلق به اما الرؤية وما يتعلق بها فقد سبق الكلام عليها في موضعها
ان شاء الله. قوله حتى اذا لم يبق الا من يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه
فيها وفي رواية ابي هريرة فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم
فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فياتيهم الله في
صورته التي كانوا يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه. قال الشيخ محيي
الدين النواوي رحمه الله تعالى وغيره اعلم ان هذا الحديث من كبير احاديث الصفات وا
لعلماء فيها وفي امثاله قولان احدهما وهو مذهب معظم السلف او كلهم
انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله
تعالى مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شيء وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز
في جهة وعن سائر صفات المخلوق وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختا
رها جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيو
خنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير
كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين
انها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان من اهله على هذا
المذهب فيقال في قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة
ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان
فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد ياتيهم الله اي بعض ملائكته قال القاضي عياض
وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم
في الصورة التي انكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك المخلوق قال او يكون معناه ياتيهم
الله في صورة اي بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الله

ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين كما قال لهم الملك أو هذه الصورة أنا ربكم رأوا
عليه من علامة المخلوق ما ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه وأما
قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه
فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وإنما عرفوه بصفته
وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لأنهم يرونه لا يشبه شيئا من مخلوقاته
فيعلمون أنه الله ربهم فيقولون أنت ربنا وإنما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها إياها
ولمجانسة الكلام فإنه تقدم ذكر الصورة وقوله في كلام أبي سعيد أتاهم الله في أدنى
صورة من التي رأوه فيها معنى رأوه فيها أي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين و
هو أنه لا يشبهه شيء. وقوله نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا إنما استعاذوا
منه لما قدمناه من كونهم رأوا سمات المخلوق. وقوله فيكشف عن ساق وفي رواية
للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الأسماء والصفا
ت قال أبو سليمان الخطابي فيحتمل أن يكون معنى قوله يكشف عن ساقه أي عن قدرته
التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وفتح الشين وفي تفسير
كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر
بن عبد العزيز وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها ومولى عمر بن عبد العزيز
مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمنين
عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف قال القاضي عياض وقيل يكشف الساق علامة
بينه وبين المؤمنين كظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد يكون ساق
مخلوقة جعلها الله علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه
كشف وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم
عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة
غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أولياء الله تعالى وإنما هذه الرؤية امتحان العباد
وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه إلا أذن الله له في السجود ولا يبقى من
كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كالصفيحة أي فقارة واحدة كالصفيحة
فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة
معناه ثم يرفعون رؤوسهم وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب
الجسر على جهنم. الجسر بفتح الجيم وكسرها القنطرة وهو الصراط ومحل الشفاعة
ومحل الشفاعة تحل بكسر الحاء وقيل بضمها من تحل ومعناه وتقع الشفاعة وتجوز فيها
وقوله دحض مزلة أي تزلق فيه الأقدام ولا تثبت وقوله فيه خطاطيف جمع خطاف
وهو الذي يخطف الشيء وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك
الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب وقوله فناج مسلم ومخدوش مرسل

ومكردس

ومكردس في نار جهنم أنهم ثلاثة أقسام. قسم لا يناله شيء أصلا وقسم
يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس ويلقى ويسقط في جهنم وفي هذا إثبات
الصراط وهو مذهب أهل السنة وأهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو أرق
من الشعر وأحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم
وأعمالهم والآخرون يسقطون في جهنم أعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين
لله يوم القيامة في إخوانهم الشفاعة عند الله لإخوانهم الذين في النار وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار
من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة من خير قال القاضي عياض قيل معنى الخير
اليقين قال والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن الإيمان الذي هو التصديق
لا يتجزأ وإنما يكون هذا التجزي لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر أو عمل من أعمال القلب من
شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى أو نية صادقة ومثقال الذرة مثل لأقل الخير
لا أنه أقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها أي صاحب خير وقوله تعالى شفعت
الملائكة وهو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض
قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان
فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن عنده
الجنة وهو أول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ أي في الصفاء في رقابهم الخواتم قيل معناه
أنه يعلق في رقابهم أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله تعالى أعلم وقوله عز
وجل ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون السجود يعني الكفار والمنافقين قيل تصير أصلابهم
كصياصي البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود خاشعة أبصارهم ترهقهم
ذلة وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وقد
علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين من غيظ وحسرة وندامة وقد كانوا
يدعون إلى السجود يعني في دار الدنيا كانوا يدعون إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة
وذلك أنهم كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون يعني أنهم
كانوا يدعون إلى الصلاة وهم أصحاء فلا يأتونها قال كعب الأحبار والله ما نزلت
هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
أي دعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم إلي
فإني أكفيك أمرهم سنستدرجهم أي سنأخذهم بالعذاب من حيث لا يعلمون فعذبوا يوم بدر
بالقتل والأسر وقيل في معنى الآية كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الا
ستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لأنهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين
وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم فعلى العبد المسلم إذا تجددت عليه نعمة أن يقابلها
بالشكر وإذا أذنب ذنبا أن يعاجله بالاستغفار والتوبة وأملي لهم أي أمهلهم
وأطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم إلى الموت فلا أعاجلهم إن كيدي متين أي عذابي
شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدي إلى العذاب
أم تسألهم أجرا أي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة والمعنى تطلب

أن تطلب منهم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فيثبطهم ذلك عن الإيمان أم عندهم الغيب فهم يكتبون أي أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الإنكار فاصبر لحكم ربك أي اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل إنه منسوخ بآية السيف ولا تكن أي في الضجر والعجلة كصاحب الحوت يعني يونس بن متى إذ نادى أي في بطن الحوت وهو مكظوم أي مملوء غما لولا أن تداركه نعمة من ربه أي حين رحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء أي لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الأرض وهو مذموم أي يلام ويليم بالذنب وقيل في معنى الآية لولا نعمة ربه للبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة ثم نبذ بعراء القيامة أي بأرضها وفضائها مذموما فإن قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها أن كلمة لولا دلت على أنه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الأفضل فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة بدليل قوله فاجتباه ربه والفاء للتعقيب أي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه فجعله من الصالحين أي النبيين قوله تعالى وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش إليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى إن كانت الناقة والبقرة لتمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها عدة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر إلي نظرا كاد يصرعني أو يكاد يأكلني يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله لما سمعوا الذكر لأنهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون النظر إليه بالبغضاء ويقولون إنه لمجنون أي ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم وما هو يعني القرآن إلا ذكر للعالمين قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من أصابته العين أن يقرأ هذه الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال العين حق

قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم أن كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا إفساد دليل فإنه من مجوزات العقول وإذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجب تكذيبه ومذهب أهل السنة أن العين إنما تفسد عند مقابلة هذا الشخص الخبيث هو العائن لشخص آخر فيؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين فيه إثبات القدر وأنه حق والمعنى أن الأشياء كلها بقدر الله تعالى ولا تقع إلا على حسب ما قدرها الله تعالى وسبق بها علمه ولا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر إلا بقدر الله تعالى وفيه صحة أمر العين وأنها قوية الضرر إذا وافقها القدر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

قف

تفسير سورة الحاقة مكية

وهي اثنتان وخمسون آية وما ئتان وست وخمسون كلمة وألف وأربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحاقة يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني أنها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لأن فيها حقائق الأمور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الأعمال أي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم أي تقع بهم ما الحاقة أي أنك لا تعلمها إذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الأهوال على أنه من العظم والشدة أي لا يبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي أعظم من ذلك كذبت ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس القيامة سميت قارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية أي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة التي جاوزت الحد في القوة وقيل الطاغية العاقر التي عقرت الناقة فأهلكت ثمود بسببه وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصرصر الذي هو البرد فهي تحرق بشدة بردها عاتية أي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا كم خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها بقوة ولا حيلة سخرها عليهم أي أرسلها عليهم وسلطها عليهم وفيه رد على من قال إن الريح إنما كان بسبب اتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم فبين أن ذلك كان بقضائه وقدرته ومشيئته لا باتصال الكواكب سبع ليال وثمانية أيام قال وهب هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز لأنها أيام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لأنها تأتي في عجز الشتاء وقيل لأن عجوزا من قوم

على في خلت صرعا فتبعتهم الريح حتى قتلتهم حسوما اي متتابعة دا
ئمة ليس لها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام ولم
يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شؤوما وقيل
حسوما لانها حسمت الخير عن اهلها وقيل حسمتهم قطعتهم والمعنى انها حسمتهم
بمعنى اي الاستيصال فلم يبق منهم احد فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام
صرعى اي هلكى جمع صريع فهم صرعى الموت كانهم اعجاز نخل خاوية اي
ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها روس فهل
ترى لهم من باقية اي من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم
الله تعالى كانهم اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر فلم يبق منهم
احد وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف وفتح الباء اي
ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء اي ومن قبله من الامم
الكافرة والموتفكات بالخاطئة والمعصية وهي الشرك فعصوا رسول
ربهم قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم
ذكر الامتين فاخذهم اخذة رابية يعني نامية وقال ابن عباس شديدة
وقيل زايدة على عذاب الامم انا لما طغى الماء اي عتا وجاوز حده حتى علا على كل
شيء وارتفع فوقه وذلك في زمان نوح عليه السلام وهو الطوفان حملناكم
في الجارية يعني حملنا اباءكم وانتم في اصلابهم فمعنى خطاب الحاضرين في الحقيقة
ذرية اي السفينة التي تجري في الماء لنجعلها لكم اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا
من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه لكم تذكرة اي عبرة وموعظة وتعيها
اي تحفظها اذن واعية اي حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت
ما سمعت واودعت وقيل لتحفظها كل اذن فتكون عبرة وعظة لمن ياتي
بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى لتعتبر وتنتفع بالموعظة فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
يعني النفخة الاولى وحملت الارض والجبال اي رفعت
من اماكنها فدكتا دكة واحدة اي كسرتا ودقتا حتى صارتا هباء منبثا
والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين فيومئذ وقعت الواقعة
اي قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية اي ضعيفة لتشققها
والملك يومئذ يعني الملائكة على ارجائها يعني نواحيها واقطارها وهو
الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافاتها حتى يامرهم الرب
فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ويحمل عرش ربك فوقهم اي فوق رؤوسهم
يعني الحملة يومئذ اي يوم القيامة ثمانية يعني ثمانية املاك جاء في الحديث
انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى فكانوا ثما
نية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء .. الاوعال التيوس
من الجبال وروي الحسن عن ابي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى
علم الخلق على ارجائها اربعة من الملائكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه

النسر

النسر ووجه اسد ووجه ثور ووجه انسان فهم قيام عليها قد احاطت
بالسموات والارضين ورؤوسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة
العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر
ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم صدق امية بن الصلت في شيء من الشعر فقال رجل وثور
تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث مرصد * فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه
الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام اخرجه ابو داود وله باسناد صحيح غريب عن ال
عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا
في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذه السحاب
قال والمزن قالوا والمزن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم
قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قال واحدة
واما اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة والسماء التي فوقها كذلك وكذلك حتى عد
هن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين
سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى
سماء ثم فوق ظهورهن العرش ما بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء والله
عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد في رواية وليس يخفى
عليه من اعمال بني ادم شيء وعن ابن مسعود ما بين السماء والارض خمسمائة عام وما
وما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة وما بين السماء السابعة والكرسي
مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق
الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خز
يمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن
مسعود على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حملة العرش
قرون ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة
خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط خمسمائة وعن عبد الله بن عمر قال
الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى موق عينه خمسمائة عام وعن شهر بن
حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله فوقهم يومئذ ثمانية قال ثما
نية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله عز وجل يومئذ تعرضون اي على الله تعالى
للحساب لا تخفى منكم خافية اي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لا
يخفى عليه شيء منها وان عرضكم يوم القيامة عليه لقيمة المبالغة والتهديد
وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال

الخلايق فالمحسنون يجزون باحسانهم والمسيئون يعيبون باساءتهم نعم عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة
ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وعند ذلك تطير الصحف في
الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث
من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه
فيقول هاؤم اي تعالوا اقرءوا كتابيه والمعنى انه لما بلغ الغاية من السرور وعلم
انه من الناجين لما اعطي كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يعرف احواله
وقيل يقول ذلك لاهله واقاربه اني ظننت اي علمت وايقنت واجري الظن مجرى العلم
لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام اني ملاق حسابيه اي في الآخرة
والمعنى اني كنت في الدنيا استيقن اني احاسب في الآخرة فهو في عيشة راضية
اي في حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقي الثواب وامن العقاب في جنة عالية
اي رفيعة قطوفها دانية اي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قاعدا وقائما
ومضطجعا يقطعونها كيف شاءوا كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم اي
بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الايام الماضية
يريد ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله قيل تلوى يده اليسرى خلف
ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم
يعطى كتابه بها فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه وذلك لما نظر في كتابه وراى
قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما يحصل له من الخجل والافتضاح ولم
ادر ما حسابيه اي لم ادر اي شيء حسابي لانه لا طائل له فيه وانما كله عليه
يا ليتها كانت القاضية تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة
التي متها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها والقاطعة للحياة اي
فلا احيى بعدها فالقاضية تمنى الموت ولم يكن شيء اكره اليه في الدنيا من الموت
لان تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من الموت ما اغنى عني ماليه اي لم يدفع
عني من عذاب الله شيئا هلك عني سلطانيه اي ضلت عني حجتي
التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عني حجتي حين شهدت علي الجوارح
بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وسلطاني على الناس وبقيت ذليلا فقيرا
حقيرا خذوه يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه فغلوه اي اجمعوا يده الى عنقه
ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم في الدنيا ثم في سلسلة
وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ذرعها اي مقدارها والذرع
التقدير بالذراع من اليد او غيرها سبعون ذراعا قال ابن عباس بذراع الملك و
فالله اعلم بالبكار سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد ما بينك وبين
مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم باي ذراع هو عن عبد الله بن
عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رضاضة

مثل هذه

مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة
سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت في راس السلسلة لسارت اربعين
خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن الرضاضة الحصاة الصغار وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة
قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو اشرف الاعضاء قال
كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها قوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه
خلوه فيها قال ابن عباس تدخل في دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل في فيه وتخرج
من دبره انه كان لا يؤمن بالله العظيم اي لا يصدق بوحدانيته وعظمته ولا
يحض على طعام المسكين اي لا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر اهله
بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر
وجعله قرينه قال الحسن في هذه الآية ادركت قوما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا
سائلا ومن بعضهم انه كان يامر امرأته بتكثير المرق لاجل المساكين ويقول
خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام فليس له اليوم
ههنا حميم اي قريب في الآخرة قريب ينفعه ويشفع له ولا طعام الا من غسلين
يعني صديد اهل النار وما يخرج من الغسل كانه غسالة جروحهم وفروجهم وقيل
هو شجر ياكله اهل النار لا ياكله الا الخاطئون اي الكافرون قوله عز وجل فلا اقسم
قيل لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما
يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل هنا لا نافية على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح
الحق فيه كانه قال لا اقسم على ان القرآن هو رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن
القسم وقوله بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وما تشاهدون وبما لا ترون
ولا تشاهدون اقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات
وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون من ظاهر الاجسام وما لا تبصرون اي مما
في بطنها وقيل بما تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل بما
تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم
الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما اظهره الله
من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما
استاثر الله به فلم يطلع عليه احدا من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه
يعني القرآن لقول رسول كريم يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم
والقرآن لا من قولهم لانهم لم ينسبوا جبريل الى الشعر والكهانة وانما نسبوا اليهما محمد
صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ها هنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم
اهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله تعالى فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت
اما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ من الله

عن الله تعالى ما أوحي إليه ولهذا أكده بقوله تعالى تنزيل من رب العالمين
ليزول هذا الإشكال قال ابن قتيبة لم يرد أنه قول الرسول وإنما أراد أنه
قول الرسول المبلغ عن الله وفي الرسول ما يبلغ عن غيره فلا يكفي من يقول عن
الله وقوله تعالى وما هو بقول شاعر يعني أن هذا القرآن ليس بقول
رجل شاعر ولا من ضروب الشعر ولا تركيبه قليلا ما تؤمنون أراد بالقليل
نفي إيمانهم أصلا والمعنى أنكم لا تصدقون بأن القرآن من عند الله
ولا بقول كاهن أي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة قليلا
ما تذكرون يعني لا تتذكرون البتة تنزيل أي هو تنزيل يعني القرآن من رب
العالمين وذلك أنه لما قال إنه لقول رسول كريم أتبعه بقوله تنزيل
من رب العالمين ليزول هذا الإشكال قوله تعالى ولو تقول علينا أي تكلف
بعض الأقاويل يعني وأتى بشيء من عند نفسه لم نقله نحن
ولم نوحه إليه لأخذنا منه باليمين يعني لأخذناه وانتقمنا منه باليد
اليمنى أي بالحق وقال ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة وقال الشماخ
في مدح عرابة ملك اليمن إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين أي
بالقوة فعبر عن القوة باليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه والمعنى لأخذنا
منه اليمين أي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى لأخذنا
بيده لأذللناه وأهناه كفعل السلطان لمن يريد أن يهينه يقول لبعض أعو
انه خذ بيده فأقمه وإنما خص اليمين في الذكر لأنها أشرف ما
للعضوين ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو
حبل القلب وقيل هو عرق يجري في الظهر يتصل بالقلب وإذا انقطع مات صاحبه
وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد أنا نقطعه بعينه
بل المراد منه أنه لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى أنه
لو كذب علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك إما بواسطة إقامة الحجة عليه
بأن نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون في ذلك إبطالا لدعواه وإما
بأن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكا
ذب وإما أن نميته فما منكم من أحد عنه حاجزين أي ما نقدر تحجزونا عن
عقوبته والمعنى أن محمدا لا يتكلف الكذب علينا لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف
لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وإنما قال حاجزين بلفظ الجمع
وهو فعل الواحد لأنه في معناه وإنه لتذكرة للمتقين يعني القرآن وفي ذلك
وصفه أنه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
بين ما هو فقال تعالى وإنا لنعلم أن منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقرآن
وإنه يعني القرآن لحسرة على الكافرين يعني يوم القيامة والمعنى أنهم يندمون
على ترك الإيمان به لما يرون من ثواب الله لمن آمن به وإنه لحق اليقين معناه أنه

حق يقين

حق محض لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم
أي فنزه ربك العظيم واشكره على أن جعلك أهلا لإيحائه إليك والله سبحانه وتعالى أعلم
بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة المعارج

مكية وهي أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة
وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سأل
سائل قرئ بغير همز وفيه وجهان أحدهما أنه من السؤال والثاني أنه من السيل ومعناه
اندفع عليهم واد من عذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقيل هو بالهمز
من السؤال بعذاب الباء بمعنى عن أي عن عذاب واقع أي نازل وكائن وعلى من ينزل
ولمن هو ذلك العذاب فقال تعالى مجيبا لذلك السؤال للكافرين وذلك أن أهل مكة
لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب
ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين
أي هو للكافرين وقيل الباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكا
فرين أي على الكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذا
ب فقال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبرا
وهذا قول ابن عباس ليس له دافع أي أن العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه
أما في الدنيا فبالقتل وأما في الآخرة فبالعذاب واقع بهم في الآخرة لا يدفعه عنهم
دافع من الله أي بعذاب من الله والمعنى ليس للعذاب الصادر من الله للكافرين دافع
يدفعه عنهم ذي المعارج قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لأن الملائكة
تعرج فيها وقيل الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة فيها وقيل ذي
الفواضل والنعم لأن لأفضاله وإنعامه مراتب وهي تصل إلى الخلق على مراتب مختلفة
تعرج الملائكة والروح يعني جبريل عليه السلام وإنما أفرده بالذكر وإن كان من
جملة الملائكة لفضله وشرف منزلته وقيل إن الله تعالى لما ذكر الملائكة في معرض
التهويل والتخويف أفرد الروح بالذكر وهذا يقتضي أن الروح أعظم الملائكة إليه
أي إلى الله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا والمعنى أنه
لو صعد غير الملائكة من بني آدم لما صعد من منتهى أمر الله من أسفل الأرض السابعة
إلى منتهى أمر الله من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة
والملك يقطع ذلك في ساعة واحدة وأقل من ذلك وذكروا أن مقدار ما بين الأرض السا
بعة السفلى إلى منتهى العرش مسيرة خمسين ألف سنة من سني الدنيا وقيل هذا
اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب
حتى يفصل بين الناس مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا وليس يعني أن مقدار
طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة ثم يعقبه من الأيام لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر
لأنه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر لكان منقطعا وهذا القول في حق الكفار وأما

المومنين فقال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة
ويروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه
من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد
غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة قال عطاء ويفرغ الله تعالى في مقدار نصف
يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي قال الله عز وجل لو وليت محاسبة خلقي الملايكة
والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا
افرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل
موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة وقيل معناه سال سايل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة وفيه تقديم وتاخير فاصبر اي يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا
اي لا جزع فيه وهذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ باية السيف انهم يرونه يعني
العذاب اي بعيدا اي غير كاين ونراه قريبا اي كاينا لا محالة لان كل ما هو ات
قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين الف
سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا
غير بعيد علينا ولا يتعذر علينا امكانه يوم تكون السماء كالمهل اي كعكر
الزيت وقيل كالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن اي كالصوف المصبوغ
وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذوات الوان احمر واصفر وابيض
وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن اذا
نثرته؟ طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الجبال واول ما
يتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا ولا يسال
حميم حميما اي لا يسال قريب قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى لا يسال
الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يساله
الشفاعة او لا يساله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يساله في الدنيا وذلك
لشدة الامر وهول يوم القيامة يبصرونهم اي يرونهم وليس في القيامة مخلوق من جن
او انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يساله ويبصر
حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم
لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ثم لا يساله عن حاله لشغله
بنفسه وقيل يبصرونهم اي يعرفونهم اما المومن فيعرف ببياض وجهه واما
الكافر فيعرف بسواد وجهه يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب
يوميذ اي من عذاب يوم القيامة ببنيه وصاحبته اي زوجته واخيه

وفصيلته

وفصيلته اي عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقربيه الاقربين التي تؤويه اي
تضمه ويأوي اليها ومن في الارض جميعا يعني انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا جميعا
له ثم ينجيه اي ذلك الفداء من عذاب الله تعالى كلا اي لا ينجيه من عذاب الله شيء
ثم ابتدا فقال تعالى انها لظى يعني النار وهو اسم من اسمائها وقيل الدركة الثانية
منها سميت لظى لانها تتلظى اي تتلهب نزاعة للشوى يعني الاطراف
كاليدين والرجلين وما اشبههما والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها
لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظم
وقيل تاكل الدماغ كله كلما ثم يعود كما كان ثم تاكله فذلك دابها وقيل مكارم
خلقه ومحاسن وجهه والاطراف تدعوا يعني النار الى نفسها من ادبر اي عن
الايمان وتولى اي عن الحق فتقول الي يا مشرك الي يا منافق الي الي قال ابن عباس
تدعوا الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير
الحب وقيل تدعوا اي تعذب قال اعرابي لاخر دعاك الله اي عذبك الله وجمع
فاوعى يعني تدعوا من جمع المال في الوعاء ولم يود حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا
قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وعنه تفسيره بخيلا وقيل ضجورا وقيل
جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره
ما بعده وهو قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يعني اذا
اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان خلق الله الانسان
يحب ما يسره ويهرب مما يكرهه ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقيل
اراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى الا المصلين
وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع الذين هم على صلاتهم
دايمون يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرايض فان قلت كيف قال على صلاتهم
دايمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون قلت معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على
ادائها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل
وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان ياتي بها العبد على
اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كالاشتغال
بالوضوء وستر العورة وان يطلب المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب
بدخول وقتها وتفريغه من الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما
الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب
في جميعها في الخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة
عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء والسمعة وخوف ان لا يقبل منه والابتهال والتضرع
الى الله تعالى في سوال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى
نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيئاتها وروى البغوي باسناده عن
ابي الخير قال سالنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دايمون اهم الذين يصلون ابدا

لهم العذاب يجعلون اخذ اهل الارض ولا كذلك اصلي لهم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه
والذين في اموالهم حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل
هو صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه
على سبيل التطوع في اوقات معلومة للسائل يعني الذي يسأل الناس والمحروم يعني
الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي
مومنون بالبعث بعد الموت والحساب والنشر والجزاء يوم القيامة والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون اي خائفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مامون يعني
ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجب كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات
بالكلية كما ينبغي بل يجب ان يكون خائفا منه متضرعا من الحال بين ملا جرم ينبغي
ان يكون العبد بين الرجاء والخوف وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة
المومنين والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقومون فيها عند الحاكم ولا يكتمونها
ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها
بالذكر لفضلها لان اقامتها تحيي الحقوق وتظهرها وتركها تموت الحقوق وتضيع وقيل
اراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطفها عليها والذين
هم على صلاتهم يحافظون ثم ذكر ما اعد لهم فقال تعالى اولئك يعني من هذه
صفتهم في جنات مكرمون قوله عز وجل فمال الذين كفروا اي فما بال الذين كفروا قبلك
مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك مادين اعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين
نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم
يستمعون كلامه ويستهزءون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك
ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين
يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعة
في تفرقة ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قال ابن عباس معناه ايطمع
كل رجل منهم ان يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبيي
كلا لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من الاشياء المستقذرة
من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله تعالى الناس على انهم خلقوا من اصل واحد
واحد وشيء واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستحقون الجنة بالايمان والطاعة
روى البغوي بالاسناد الى الثعلبي عن بسر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم انى
تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين
وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى
اوان الصدقة واخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الآية انا خلقناهم
من اجل ما يعلمون وهو

وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم من اجل يعلمون ويعقلون
ولم نخلقهم كالبهائم بل ليعملوا ويعقلوا فلا اقسم يعني فاقسم وقيل تقدم بيانه
برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني
مشرق كل نجم من السنة ومغربه انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه انا لقادرون
على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين
عاجزين على اهلاكهم وابدال خير منهم فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا
اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون نسختها آية القتال ثم فسر
ذلك اليوم فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث يعني القبور سراعا اي الى اجابة
الداعي كانهم الى نصب يعني الى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه وقيل
نصب بضم النون والصاد وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها وفيها يوفضون اي
يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين
اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة
ترهقهم ذلة اي يغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يعني
يوم القيامة الذي كانوا يوعدون في الدنيا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة نوح عليه السلام وهي مكية

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة
وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه
ان انذر قومك اي بان خوف قومك وحذرهم من قبل ان ياتيهم عذاب اليم يعني
الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يومنوا قال يا قوم
اني لكم نذير مبين اي انذركم وابين لكم ان اعبدوا الله اي وحدوه ولا
تشركوا به شيئا واتقوه اي وخافوه بان تجتنبوا ما يوبقكم
واطيعون اي فيما آمركم به من عبادة الله يغفر لكم من ذنوبكم اي يغفر لكم
ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض
الذنوب ويوخركم الى اجل مسمى اي الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ان اجل الله اذا
جاء لا يوخر لو كنتم تعلمون معناه آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب
فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يوخر عنكم ولا يمكنكم الايمان قال يعني نوحا
عليه السلام رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا اي تباعدا وادبارا
عن الايمان واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليومنوا بك فتغفر لهم جعلوا اصابعهم
في آذانهم لئلا يسمعوا دعوتي واستغشوا ثيابهم اي غطوا وجوههم بثيابهم
لئلا يروني واصروا اي على كفرهم واستكبروا اي عن الايمان بك استكبارا اي تكبرا عظيما
ثم اني دعوتهم جهارا اي معلنا قال ابن عباس باعلى صوتي ثم اني اعلنت لهم اي كررت
لهم الدعاء معلنا واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه
سرا بيني وبينه وادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت استغفروا ربكم

انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وذلك ان قوم نوح لما كذبوه
زمانا طويلا حبس الله عليهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة
فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اي من الشرك
واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وفي ذلك دليل ان الاشتغال
بالطاعة سبب لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا
اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا وروي الشعبي ان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى
رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء
التي يستنزل بها القطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية قوله بمجاديح
السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم قيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب
كالاثافي تشبيها بالمجدح الذي له شعب وهو عند العرب من الانواء الدالة على
المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفونه وكانوا
يزعمون ان من شانها المطر لانه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا
افلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكى
الجدب فقال استغفروا وشكى اليه اخر الفقر وقلة النسل واخر قلة ريع
ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون
انواعا فامرتهم بالاستغفار فتلا هذه الاية وقوله يرسل السماء عليكم مدرارا
اي يرسل ماء السماء وفي ذلك ان المطر ينزل من السماء الى السحاب الى الارض وقيل اراد
في بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماء المطر من قول الشاعر اذا نزل السماء
بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا يعني المطر كثير الدر وهو حلب النا
قة لا يقع حال وقيل مدرارا متتابعا ويمددكم باموال وبنين اي يكثر اموا
لكم واولادكم ويجعل لكم جنات يعني بساتين ويجعل لكم انهارا وهذا كله
مما يميل طبع البشر اليه ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس اي لا تروون لله
عظمة معناه ما لكم لا تخافون عظمة الله والرجا بمعنى الخوف والوقار العظمة
من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له
نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجعون عبادة ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا
وقد خلقكم اطوارا يعني تارات حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام
الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل
على وحدانية الله تعالى وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات
طباقا يعني بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا يعني في السماء الدنيا
قوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل الشمس سراجا
يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى
السماوات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى

هذا عن ابن عباس

والله انبتكم من الارض نباتا يعني اراد ابتداء
خلق ادم واصل خلقته من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم
جعل في موضع المصدر اي انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وقيل
في قصة الطبيعة وهو انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا
عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا
وهذه الثانية اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا وانما نعرف
ان ذلك الانبات انباتا عجيبا كامل الاجراء لصفة الله تعالى وهذا المقام مقام
الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا اوفق لهذا المقام فظهر بهذا
البحث ان على قلة الحقيقة الصحة المجاز كان الصنع الحسن اللطيف ثم يعيدكم
فيها اي في الارض بعد الموت ويخرجكم اي منها يوم البعث اخراجا تحقيقا للاعادة والله
جعل لكم الارض بساطا اي فرشها مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب
الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة قوله تعالى قال نوح
رب انهم عصوني اي لم يجيبوا دعوتي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والولد
الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الاخرة ومكروا مكرا كبارا يعني كبيرا عظيما وكبار
بالتشديد اعظم في المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم
في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان
به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم قولهم لا تذرن الهتكم وتعبدون رب نوح
وقال ابن عباس مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله
وقالوا يعني القادة للاتباع لا تذرن الهتكم اي لا تتركوا عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسماء الهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة
في قوله لا تذرن الهتكم لانها كانت اكبر اصنامهم هذه الخمسة المذكورة هي اعظمها
عندهم قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا وكان لهم
اتباع يقتدون بهم ويأخذون باخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو
صورتم صورهم كان انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشا قوم بعدهم
فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم فابتدا عبادة الاوثان كان من
ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صور اولئك القوم الصا
لحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح
في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل
واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان
واما نسر فكانت لحمير لال ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا
اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم
ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم عبدت وروي عن ابن عباس ان نوحا

ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها
الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف
والعزى لسليم وغطفان ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل
لاهل مكة ولذلك سمت العرب نفسها بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى
ونحو ذلك من الاسماء. وقد اضلوا كثيرا اي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس
وقيل اضل كبراؤهم كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا يعني ولا
تزد المشركين بعبادة الاصنام الا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه
السلام كان قد امتلا قلبه غيظا وغضبا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف
يليق منصب النبوءة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت
انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله تعالى انهم لا يومنون وهو قوله تعالى انه لن يومن
من قومك الا من قد آمن وقيل انما اراد بالضلال الامر الدنيا وما يتعلق بها الا في امر
الدين مما خطيئاتهم اغرقوا اي بالطوفان فادخلوا نارا اي في حالة واحدة وذلك
في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه
الاية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضي التعقيب فقوله اغرقوا فادخلوا
نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب
الاخرة لانه يبطل معنى الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون النار في الاخرة
فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصحة الوعد به كالواقع والله اعلم فلم يجدوا لهم
من دون الله انصارا يعني ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله الذي نزل بهم وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا يعني احدا يدور في الارض فيذهب ويجيء من الدوران
وقيل اصله من الدار اي نازل دار انك ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه
فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال نوح هذا
حين اخرج الله تعالى كل مومن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النساء
وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة
واخبر الله نوحا انهم لا يومنون ولا يلدون مومنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته
فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب
رب اغفر لي وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل
وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انما دعا عليهم بسبب تاذيه منهم فكان ذلك الدعاء
عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس ولانه
ترك الاحتمال ولوالدي وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخى
بنت انوش وكانا مومنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام من ابائه
كافر وكان بينهما عشرة اباء ولمن دخل بيتي مومنا اي داري وقيل مسجدي
وقيل سفينتي وللمومنين والمومنات وهذا عام في كل مومن امن بالله وصدق
الرسل

انما بدا بنفسه

وانما بدا بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق
بدعائه من غيرهم ثم عم جميع المومنين والمومنات ليكون ذلك ابلغ في الدعاء
ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا فاستجاب الله دعاءه فاهلكهم جميعا
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن
اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة
واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع
اجابة من ارواح الملائكة الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الر
سل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن
حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا
اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخير
وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشر والافات ولا يعلم عددها الا
الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة وا
حدة وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض وينقسمون الى لطيف
وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون
مخالفة لسائر انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة
على افعال عجيبة او شاقة يعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة
وذلك بقدرة الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية
وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشيوخا
بل المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة
والله لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول
وصاحب هذا القول ينكر خرق العادة ورد ما ثبت وجوده في الكتاب والسنة

فصل واختلف الرواة هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن ام لا فاثبته
ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة
الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه
عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم
انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد
حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فقالوا ما ذاك الا
من شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي
حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر
الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ

وحيل بين الشيا
طين ... الى قومهم
فقالوا ما لكم
فقيل حيل بيننا
وبين خبر السماء
وارسلت علينا
الشهب ...

وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرءان استمعوا له وقالوا هذا الذي حال
بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرءانا عجبا يهدي
الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي
الي انه استمع نفر من الجن الآية وفي رواية وانما اوحي اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال
القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا ان الجن لم يقصدهم بالقراءة لما تفرقوا يطلبون
الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي باصحابه فعرفوا منه وهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه
الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحي الي واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى
وجن اخر والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون
متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقهم وحالهم وان نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم مبعوث الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المومنين ومعهم في الدنيا
والاخرة والجنة ومن كذب به فهو الشيطان المبعد من المومنين فيهما والنار
مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل البعث وذهب قوم
الى انه كان قبل والله اعلم. عكاظ سوق معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها
في كل سنة مرة في الجاهلية ولها الصلاح وتهامة كلما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت
تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من وادي مكة
قريب منها واما التفسير فقوله تعالى قل اوحي الي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
لاصحابه واقعة الجن كما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن وتعلم قريش
ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرءان عرفوا اعجازه فآمنوا به انه استمع نفر من الجن النفر
ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا سمعنا قرءانا عجبا قال ابن عباس بليغا اي عجبا يعجب
منه لبلاغته وفصاحته يهدي الى الرشد اي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمان فآمنا
به اي بالقرءان ولن نشرك بربنا احدا اي ولم نعد الى ما كنا عليه من الشرك
وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا او قيل كانوا نصارى
وقيل مجوسا ومشركين وانه تعالى جد ربنا اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول
انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم قدره وقيل
الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى منك غناه
وقال ابن عباس قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل الاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل
ملك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اي تعالى جلال ربنا وعظمته عن ان يتخذ صاحبة
ولا ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستيناس به والله تعالى منزه عن كل
نقص وانه كان يقول سفيهنا اي جاهلنا قيل هو ابليس على الله شططا اي كذبا
وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط مجاوزة الحد في كل شيء

وانا ظننا

وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي كنا نظن ان الانس والجن
صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما
سمعنا القرءان علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله عز وجل وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا
سافر فامسى بارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه
فيبيت في امن وجوار منهم حتى يصبح فزادوهم رهقا بما حدثنا الثعلبي عن كردم
ابن ابي السائب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل
جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى
مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه
كدمة فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وذكر ابن الجوزي في تفسيره بغير نسخ
ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما
وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا
التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون سدنا الجن والانس والرهق
في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وانهم ظنوا يعني الجن كما ظننتم اي يا معشر
الكفار من الانس ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت وانا يعني تقول الجن وانا
لمسنا السماء اي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام اهلها فوجدناها
ملئت حرسا شديدا يعني ملائكة شدادا وشهبا اي من النجوم وانا كنا نقعد منها
اي من السماء مقاعد للسمع يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من
الحرس والشهب والان قد ملئت المقاعد كلها فمن يستمع الان يجد له شهابا
رصدا اي ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة قال ابن
عباس كان الجن يصعدون الى السماء فيستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة
زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن
النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض
فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين اراه قال
بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن
الا مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما
بعث منعوا من ذلك اصلا وعلى هذا القول يكون حمل الجن على طلب
السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق بالكلية وانا لا ندري اشر اريد
بمن في الارض اي برمي الشهب ام اراد بهم ربهم رشدا ومعنى الآية لا ندري هل المقصود

المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا اي صلاح و
خير وانا منا الصالحون اي المومنون المخلصون ومنا دون ذلك اي دون الصا
لحين مرتبة قيل المراد جمع غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل
فيهم الكافر وغيره كنا طرائق قددا اي جماعات متفرقين اصنافا مختلفة
القدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء
مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وقال الحسن فيهم
القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغيرهم من اهل الاهواء وعلى
هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا فننصب طرائق قددا وهو بيان
للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه وكنا
في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة وانا ظننا الظن هنا بمعنى العلم واليقين
اي قد علمنا وايقنا ان لن نعجز الله في الارض اي ان نفوته ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا
اي ان طلبنا فلن نعجزه اين ما كنا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به اي لما سمعنا
القرآن آمنا به وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا اي نقصا
من عمله وثوابه ولا رهقا يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه وانا منا
المسلمون وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون اي الجائر
ون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله ندا فمن اسلم فا
ولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه وأما القاسطون فهم
الذين كفروا فكانوا لجهنم حطبا يعني وقود النار يوم القيامة فان قلت
قد يتمسك بهذه الآية من يرى ان مومني الجن لا ثواب لهم وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب
الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المومنين قلت ليس فيها ما يتمسك له و
كفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعلم او ان الجن من
مارج يعذب [illegible] ولا يثاب [illegible] فان قلت كيف يعذب الجن بالنار
وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة و
صاروا خلقا آخر والله تعالى قادر على ان يعذب النار بالنار قوله عز وجل وان لو
استقاموا على الطريقة اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن
الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة
لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل
معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن
ولم يسلموا لوسعنا الرزق عليهم لنفتنهم فيه وقيل الضمير راجع الى
الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا
وذلك بعد ما رفع عليهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم
في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا
لان الخير والرزق كله اصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف

شكرهم

شكرهم فيما خولوا فيه وقيل معناه لو استقاموا اي ثبتوا على الطريقة
الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة
لهم فيه واستدراجا لهم حتى يفتتنوا فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة
معرفة بالالف واللام فهي طريقة الهدى والقول الثاني [illegible] لان
[illegible] ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه وقيل عن
مواعظه نسلكه اي ندخله عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا
لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله تعالى وان المساجد لله يعني المواضع
التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين
والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى فلا تدعوا مع الله احدا قال قتادة
كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر
الله المومنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد
جميع بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا فيكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد ابن
جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون
عنك فنزلت وان المساجد لله وروي عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء
التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان
والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا
تسجدوا عليها لغيره م عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفا
ه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسجد على سبعة اعضاء وان لا يكف شعرا ولا ثوبا
الجبهة واليدين والركبتين والقدمين ق وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين
واطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر كف الشعر عقصه وعن ضمه
في اعلى الضفيرة ومع نحو ذلك قوله عز وجل وانه لما قام عبد الله يعني النبي صلى الله
عليه وسلم يدعوه يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة
كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا ويزدحمون عليه
حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه ايضا انه قول النفر من
الجن الذين رجعوا الى قومهم واخبروهم عن طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت
الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله
فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه واصل اللبد
الجماعة بعضها فوق بعض قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل انما ادعو

قل إنما أدعو ربي وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد
جئتنا بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا أي لا
أقدر على أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق لكم رشدا إنما الضار والنافع والمرشد
والمغوي هو الله تعالى قل إني لن يجيرني من الله أحد أي لن يمنعني من الله أحد إن
عصيته ولن أجد من دونه ملتحدا أي ملجأ ألجأ إليه وقيل حرزا أتحرز به
وقيل مدخلا في الأرض مثل السرب أدخل فيه إلا بلاغا من الله ورسالاته أي
ففيه الجوار والأمن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني
التبليغ وقيل إلا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه
لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا عن الله تعالى فإنما أنا مرسل لا أملك
إلا ما ملكت ومن يعص الله ورسوله يعني ولم يؤمن فإن له نار جهنم خالدين فيها
أبدا حتى إذا رأوا ما يوعدون يعني العذاب يوم القيامة فسيعلمون أي عند
العذاب من أضعف ناصرا وأقل عددا أي هم أم المؤمنون قل إن أدري أي ما أدري
أقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيامة أم يجعل له ربي أمدا أي أجلا
وغاية تطول مدتها والمعنى أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل
عالم الغيب أي هو عالم ما غاب عن العباد فلا يظهر أي فلا يطلع على غيبه أي الغيب
الذي يعلمه وانفرد به أحدا أي من الناس ثم استثنى فقال تعالى إلا من ارتضى من
رسول يعني الذي يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب
حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون ذلك معجزة له ودالة على
نبوته قال الزمخشري وفي هذا إبطال الكرامات لأن الذين تضاف إليهم
الكرامات وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين
المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه أيضا إبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما
أبعد شيء من الرضى وأدخله في السخط قال الواحدي وفي هذا دليل على أن من
ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القرآن
فأما الزمخشري فأنكر كرامات الأولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق
الواحدي وغيره من المفسرين في إبطال الكهانة والتنجيم قال الإمام فخر الدين و
[...] جاز جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغي
أن تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندي أن الآية لا دلالة فيها على شيء من
ذلك والذي يدل عليه أن قوله على الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ليس فيه صيغة
عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله
على وقت وقوع القيامة فيكون المراد أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى في الآية
دلالة على أنه لا يظهر شيئا من الغيوب لأحد ثم ذكر أنه يجوز أن يطلع الله على شيء من
المغيبات غير الرسل كالكهان وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي

أن مذهب أهل

أن مذهب أهل السنة إثبات كرامات الأولياء خلافا للمعتزلة وأنه يجوز أن
يلهم الله بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو
من اطلاع الله إياه على ذلك ويدل لذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس
محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر أخرجه البخاري
قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون
فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم وفي هذا إثبات كرامات الأو
لياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي عن غيرها ولا
حصل الطريق إلى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة الرسول وكرامة
الولي أن المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدي ولا يجوز للولي أن يدعي
خرق العادة مع التحدي إذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة و
الكرامة وقد يظهر على يد الولي أمر خارق للعادة من غير دعواه وهذا أيضا يدل على
ثبوت نبوة النبي لأن الكرامة إنما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم
تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه وأما الكلام في إبليس ومنع للر
سول وقد انقطع باب الكهانة ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم
الاطلاع على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك من حكم النجوم والله أعلم وقوله
تعالى فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه أي من بين يدي الرسول ومن خلفه ويجعل
الحفظة لأنه على جميع الجهات رصدا أي حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين
لئلا يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوه
إلى الكهان فيخبروا به قبل الرسول وقيل إن الله تعالى كان إذا بعث رسولا
أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة
يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه
بأنه شيطان فاحذره وإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك ليعلم أي ليعلم
محمد صلى الله عليه وسلم أن جبريل قد بلغ إليه رسالة ربه وقيل معناه ليعلم محمد
صلى الله عليه وسلم أن الرسل الذين أرسلوا قبله أن قد أبلغوا رسالات ربهم
وأن الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا فعلم
الله ذلك ظاهرا موجودا فيجب فيه الثواب وأحاط بما لديهم أي علم الله
ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء من أمرهم وأحصى كل شيء عددا قال ابن عباس
أحصى ما خلق وعرف ما خلق ثم لم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل والله أعلم
بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة المزمل مكية

قيل غير آيتين منها وهما قوله تعالى واصبر على ما يقولون وقيل غير آية وهي إن ربك
يعلم أنك تقوم وهي عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا أيها المزمل هذا خطاب

للنبي صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذي يتزمل في ثيابه اي
تلفف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما
جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملوني حتى انس به وقيل خرج يوما
من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل
النبوءة اي حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر
عظيم وان الله تعالى لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان في اول الامر ومبتداه ثم خو
طب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نام وهو
متزمل في ثوبه فنودي يا ايها المزمل قم الليل اي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة
واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام
الا قليلا اي صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى
نصفه اي قم نصف الليل او انقص منه قليلا اي الى الثلث او زد عليه اي على النصف
الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقو
مون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى الثلث او متى نصفه او متى
ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد
ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله
فاقرءوا ما تيسر منه وقيل ليس في القرآن سورة نسخ اخرها اولها الا هذه
السورة وكان بين نزول اولها ونزول اخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا
وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس
وثبتت فريضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نا
فلة لك عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المؤمنين
انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا القرآن قلت بلى قالت
فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فقلت فقيام الليل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ام المؤمنين قالت الست تقرا المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام
في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدا
مهم وامسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم انزل الله التخفيف في اخر
السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقوله ورتل القرآن ترتيلا قال
ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على هينتك ثلاث ايات واربعا او خمسا
وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا فالترو
في اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تاكيد في الامر به وانه لابد
للقارئ منه وقيل ان الله لما امر بقيام الليل امر بترتيل القراءة حتى يتمكن المصلي
من حضور القلب والتامل والتفكر في حقائق الايات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر
الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل
الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب
عند ذلك بنور المعرفة والاسراع في القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود

من الترتيل

من الترتيل انما هو حضور القلب في القراءة وعن
انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا
ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم
عن ام سلمة وقد سالها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلا
ته ثم نعتت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي والترمذي قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الر
حمن الرحيم ثم يقف وكان يقول ملك يوم الدين ثم يقف وفي رواية ابي داود
قالت كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين يقطع قراءته اية اية وعن عبد الله بن مغفل
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة الفتح فرجع
في قراءته وعن ابي وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال اني لاقرا
المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان قوما يقرءون القرآن لا
يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان افضل الصلاة الركوع والسجود
اني لاعرف النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بينهن سورتين
في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع وا
لمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي جمع ترقوة
وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعنده مخرج الصوت والنظائر جمع نظيرة
وهي الشبيه والمثل عن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم
باية من القرآن ليلة اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي ذر نحوه وزاد والاية ان تعذ
بهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر
وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرءوه قبل ان يقراه قوم يقيمونه كما يقوم السهم
يتعجل اجره ولا يتاجله اخرجه ابو داود وزاد غيره في رواية [illegible]
[illegible] عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا
القرآن وفينا الاعرابي والعجمي فقال اقرءوا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام
القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داود وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب
ولا يكن هم احدكم اخر السورة قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال ابن عباس
شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين
وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فاصبر نفسك مستعدة لقبول
هذا القول العظيم الثقيل الشأن وقيل سمي ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فانه
فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيل لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام
والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيل على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر

[..]ل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان في الثواب
يوم القيامة وقيل ثقيلا أي ليس بالخفيف ولا السفساف لأنه كلام ربنا تبارك
وتعالى وقيل معناه أنه قول مبين في حقيقته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام ر[زين]
مبين وهذا القول له وزن إذا استخرته وعلمت أنه صادق والحكمة والبيان وقيل ثقيلا
لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا أي في الوحي وذلك
أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن والوحي يجد له مشقة وعن عائشة
رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني في مثل صلصلة
الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك
رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا م وعن عبادة بن الصامت رضي
الله عنه قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه
وفي رواية كان إذا أنزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله
مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب المتتابع من الأشياء الحديدية
كالجرس ونحوه قوله فيفصم عني أي ينفصل عني ويفارقني قوله وعيت أي حفظت
ما قال قوله ليتفصد عرقا أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد قوله تربد
وجهه الربدة تغير اللون إلى الغبرة مع سواد قوله عز وجل إن ناشئة الليل أي ساعاته
كلها وكل ساعة منه ناشئة لأنها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن أبي مليكة سألت
ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهو عبارة عن الأمور التي تحدث
وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هو قيام آخر الليل وقيل أوله وقيل
إن ساعة قام الإنسان من الليل فهي ناشئة وروي عن زين العابدين علي بن الحسين رضي
الله عنهما أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل
صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل وقيل ناشئة الليل قيامه هي أشد وطأ
قرئ وطاء بكسر الواو مع المد بمعنى المواطأة والموافقة وذلك أن مواطأة
القلب واللسان والسمع والبصر يكون في الليل أكثر مما يكون في النهار وقرئ وطأ
بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار لأن الليل جعل للنوم
والراحة وكان قيامه على النفس أشد وأثقل من صلاة النهار وقال ابن عباس
كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ يقول هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم
من القيام وذلك لأن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ وقيل أثبت في الخير وأحفظ
للقراءة من النهار وقيل هي أوطأ للقيام وأسهل على المصلي من ساعات النهار لأنه خلق
لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة من العباد لأن الليل أفرغ للقلب من النهار
ولا يعرض له بالليل حوائج وموانع مثل النهار وأمنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله
تعالى وأقوم قيلا أي أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لهدوء الناس وسكون الأصوات

وقيل معناه

وقيل معناه أبين قولا بالقرآن والمعنى أن عبادة الليل أشد نشاطا وأتم
إخلاصا وأبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ في الثواب وأدخل في القلوب إن لك في
النهار سبحا طويلا أي تصرفا وتقلبا وإقبالا وإدبارا في حوائجك وأشغالك
وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل وتبتل إليه تبتيلا
قال ابن عباس أخلص إليه إخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع إليه انقطاعا والمعنى
تبتل إليه بنفسك واقطعها عن كل شيء سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها
والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال
للعابد إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة تبتل أي انقطع عن كل شيء إلا عن عبادة
الله وطاعته فإن قلت كيف قال تبتيلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على
تبتل بنفسك إليه تبتيلا وهو كقوله أنبتكم من الأرض نباتا وقيل لأن معنى تبتل نفسك
مجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل لأن معنى تبتل أي بتل تبتلت تبتلا وتبتلت تبتيلا
فتبتيلا محمول على معنى بتل إليه تبتيلا وقيل إنما عدل عن هذه العبارة لحقيقة لطيفة وهي
أن المقصود إنما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون فيه
متبتلا إلى الله تعالى لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا إليه إلا أنه لا بد من التبتيل
حتى يحصل التبتل فذكر أولا التبتل لأنه المقصود وذكر التبتيل ثانيا إشعارا بأنه
لا بد منه رب المشرق والمغرب يعني أن التبتل والانقطاع لا ينبغي إلا إلى الله تعالى الذي
هو رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا أي فوض أمورك إليه
وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه كفيلا بما وعدك من النصر على
الأعداء واصبر على ما يقولون أي من التكذيب لك والأذى واهجرهم هجرا
جميلا أي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة
بآية القتال وذرني والمكذبين أي دعني ومن كذبك لا تهتم به فإني أكفيكه أولي النعمة
أي أصحاب التنعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين
يوم بدر ومهلهم قليلا يعني إلى يوم بدر فلم يكن إلا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل الدنيا
تعليل أيام الدنيا ثم وصف ما أعد لهم في الآخرة فقال إن لدينا أنكالا يعني قيودا
عظاما ثقالا لا تنفك أبدا وقيل أغلالا من حديد وجحيما وطعاما ذا غصة أي غير
سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا أليما أي وجيعا يوم ترجف
الأرض والجبال أي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعني رملا
سائلا وهو الذي إذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده إنا أرسلنا إليكم يعني يا أهل
مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم أي بالتبليغ وإيمان من آمن منكم
وكفر من كفر كما أرسلنا إلى فرعون رسولا يعني موسى بن عمران عليه السلام فإن قلت لم خص
فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الأمم والرسل قلت لأن محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه أهل مكة
واستخفوا به لأنه ولد فيهم كما أن فرعون آذى موسى واستخف به لأنه رباه فعصى فرعون الرسول
يعني فرعون فأخذناه أخذا وبيلا أي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة عظيمة

يخوف بعض الكفار ثم خوف كفار مكة بيوم القيامة فقال تعالى فكيف
تتقون إن كفرتم أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذا كفرتم في الدنيا المعنى لا
سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم
القيامة وبأي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه إذا كفرتم
في الدنيا يوما يجعل الولدان شيبا يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته
وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وعن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى
بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار قال يا رب وما بعث النار
من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها
ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة
وتسعون ومنكم واحد ثم قال أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض
أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وإني
لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال
شطر أهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله أن تخرج من ذريتك
بعثا إلى النار فمعناه ميز أهل الجنة من أهل النار وأما الرقمة بفتح الراء وإسكان
القاف فهي الأثر في باطن عضد الحمار وقوله وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل
الجنة وثلث أهل الجنة وشطر أهل الجنة ففيه البشارة العظيمة لهذه الأمة
وجعلهم ربع أهل الجنة أولا ثم الثلث ثم الشطر فلفائدة حسنة وهي
أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم فإن إعطاء الإنسان مرة بعد مرة
دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه
أيضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على إنعامه عليهم وهو تكريمهم بهذه البشارة
البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث
في قوله تعالى فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم
ويشيب الوليد ففيه وجهان الأول أنه عند زلزلة الساعة قبل خروج من
الدنيا فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لأن القيامة ليس فيها شيب وإنما هو
في شدة الأمر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم يشيب فيه نواصي الأطفال والأصل فيه
أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب قال المتنبي: والهم
يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم: فلما كان الشيب
من لوازم كثرة الهموم والأحزان جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهموم وليس
المراد أن هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لأن الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل

الثاني أن المراد

١٥٥

وربع

المراد وصف ذلك اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه سن الـ
منفطر به وصف اليوم بالشدة أيضا وأن السماء مع عظمها تنفطر وتنشق
فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به أي بذلك
المكان وقيل الهاء ترجع إلى الله سبحانه وتعالى أي بأمره وهيبته كان وعده مفعولا
أي كائنا لا محالة فيه ولا خلف إن هذه أي هذه الآيات القرآن تذكرة أي مواعظ فمن
شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي بالإيمان والطاعة قوله تعالى إن ربك
يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل أي أقل من ثلثي الليل ونصفه وثلثه أي وتقوم
نصفه وثلثه وطائفة من الذين معك يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل
والله يقدر الليل والنهار يعني أن العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائهما وساعاتهما
هو الله تعالى لا يفوته علم ما تفعلون فيعلم القدر الذي تقومون من الليل والذي
تنامون منه علم أن لن تحصوه يعني لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى
انتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوه وقيل كان الرجل يصلي الليل كله
مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال تعالى علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوا معرفة ذلك
فتاب عليكم أي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه
ورفع المشقة عنكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن يعني في الصلاة عبر عن الصلاة
بالقراءة لأن القراءة في الصلاة وذلك أن القراءة أحد أجزاء الصلاة فأطلق اسم
الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم قال الحسن يعني في صلاة المغرب
والعشاء قال قيس بن أبي حازم صلينا خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة
وأول آية من البقرة ثم قرأ في الثانية بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع
فلما انصرف أقبل علينا فقال إن الله تعالى يقول فاقرءوا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك
التهجد بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الأمة (والتهجد)
وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك
القول الثاني أن المراد بقوله فاقرءوا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل
حفظه وأن لا يعرض للنسيان وقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل أقل ما يقرأ
السورة القصيرة كافية وروى البغوي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم وليلة لم يكتب من
الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه
القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر
وذكر الشيخ محيي الدين النووي في كتاب الأذكار ولم يضعفه وقال في رواية
من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين
وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك
إلا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل شهر

يبق احد من نحلته قال فاقرأه في كل عشر قال قلت يا نبي
الله اني اطيق قال فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله
تعالى حكمة النسخ والتخفيف فقال علم أن سيكون منكم مرضى يعني أن المريض
يضعف عن التهجد بالليل فخفف عنه لأجل ضعفه وعجزه عنه وآخرون يضربون في
الأرض يعني المسافرين للتجارة يبتغون من فضل الله أي يطلبون من رزق الله وهو الربح
في التجارة وآخرون يقاتلون في سبيل الله يعني الغزاة والمجاهدين وكل هذا لأن
المسافر والمجاهد مشتغل في النهار بالأعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت
عليه أسباب المشقة فخفف عنهم لذلك روي عن ابن مسعود أيما رجل جلب
شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند
الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من
فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه أي من القرآن وإنما
أعاده في التأكيد وأقيموا الصلاة يعني المفروضة وآتوا الزكاة أي الواجبة
وأقرضوا الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم
وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وفعلها بأن يخرجها عن أحسن وجه
من كسب طيب ومن أكثر الأموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والإخلاص وا
بتغاء مرضات الله تعالى بها ويخرج والصرف إلى المستحق وما تقدموا لأنفسكم
من خير تجدوه عند الله أي ثوابه وأجره هو خيرا وأعظم أجرا يعني أن الذي
قدمتم لأنفسكم خيرا من الذي أخرتموه ولم تقدموه روى البغوي بسنده عن عبد
الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا
يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون
قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا
كيف يا رسول الله قال إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر واستغفروا الله
أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل إن الله غفور رحيم أي لجميع الذنوب والداعي

بغفرانه واسرار كتابه تفسير سورة المدثر مكية
قيل غير آية منها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة
وألف وعشرة أحرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا أيها المدثر (1) عن
يحيى بن كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا
أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك فقال أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك
وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت عن يميني فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة
فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك
فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية
فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وفيه فإذا هو قا

قاعد على عرش

١٥٦

قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة شديدة
رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء
فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأ
رض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل
يا أيها المدثر إلى قوله والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض
فجئت إلى أهلي وذكره وفيه قال أبو سلمة والرجز الأوثان قال ثم حمي الو
حي وتتابع فإن قلت دل هذا الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن
ويعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين في بدء الوحي وسياقه في موضعه
إن شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ
باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف
فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء أن أول ما نزل من القرآن على
الإطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها
ومن قال إن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن فضعيف لا يعتد به وإنما كان نزولها
بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه أيضا
قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر
ويدل عليه أيضا قوله فإذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال فأنزل الله تعالى يا أ
يها المدثر وأيضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب أن أول ما نزل من القرآن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك وأول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فيحصل
بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله إذا هو قاعد على عرش يريد
به السرير الذي يجلس عليه وقوله فجئثت من فترة الوحي أي من احتباسه وعدم تتابع
نزوله وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة
ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي فجثثت بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعنا
هما فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فتر
ته من قولهم حميت الشمس والنار إذا ازداد حرها وقوله فصبوا علي ماء باردا فيه
أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه الماء ليسكن فزعه والله أعلم وأما التفسير فقوله
تعالى يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا
على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا لم سمي مدثرا فقيل لأنه صلى الله عليه وسلم
في ثوبه وقيل يا أيها المدثر بآثار النبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل المدثر
النبوة كالدثار واللباس مجازا قم فأنذر أي حذر قومك من عذاب ربك إن لم يؤمنوا
والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالإنذار الذي تحملته وربك
فكبر أي عظم ربك عما يقوله عبدة الأوثان وثيابك فطهر فيه أربعة أوجه
أحدها أن يبني لبعض الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع أن يبني البعض

على الحقيقة والتطهير على المجاز ... أن يبني بعض الثياب

الاول معناه وثيابك فطهر على المجاز اما الوجه الاول معناه وثيابك فطهر
من النجاسة والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يتنزهون عنها
فامره صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسة وغيرها خلافا للمشركين الوجه
الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم
ويجرونها بالخيلاء على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والعجب ما
ليس في الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وامره بتقصيره لذلك وقيل معناه
وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال الوجه
الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة فشككت
بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم يريد نفسه والمعنى ونفسك
فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثياب عن الجسم لانها تشتمل
عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك
فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن
قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا على غدرة اما سمعت قول
غيلان بن سلمة الثقفي واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة
اتقنع والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول
لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان
فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل
ازره طاهر بالجنة طهورا ها والرجز فاهجر يعني اترك الاوثان
ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما
اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال ولا تمنن تستكثر يعني لا تعطي مالك
مصانعة لتعطى اكثر منه وهذا قول اكثر المفسرين وهذا النهي مختص با
لنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عنه لانه تنزيها لمنصب النبوة لعلو مرتبته
وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز للغير من الامة ذلك كما قيل هذا ربا حلال وحرام
فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المنهي عنه
التشريع وقيل معناه لا تعط شيئا للمجازات الدنيا اعط واردد به وجه الله وقيل معناه
لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثر عملك في عينك فانه فيما انعم الله به
عليك واعطاك قليل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من
الوحي كالمستكثر عليهم بذلك وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم عن ذلك
اجرا تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير ان تستكثر منه وقيل معناه
لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط
العمل ولربك فاصبر اي على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله وقيل معناه
فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب
والعجم فاصبر عليه لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله

فاذا نقر

فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة
الاولى وقيل الثانية وهو الاصح فذلك يومئذ يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة يوم عسير
اي شديد على الكافرين غير يسير يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم
وتسود وجوههم غير يسير اي هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير
مغن عنه قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله انا محب لك غير مبغض وقيل لما قال
على الكافرين غير يسير دل على انه يسير على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا
يسير فيه ليتبين اي غيظ الكافرين وبشارة للمؤمنين قوله تعالى ذرني ومن خلقت
وحيدا اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته
وحدي لم يشاركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه وانا اكفيكه هو نزلت هذه
الاية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه وجعلت له مالا ممدودا
اي كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع
والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة آلاف دينار وقيل
الف الف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان بين مكة والطائف
ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف
لا ينقطع ثمره شتاء ولا صيفا وقيل معناه انه غلة شهر بشهر وبنين شهودا
اي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب
الكسب وقيل معنى شهودا اي رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة
وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس و
عبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا اي
بسطت له العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد
يدعى من كان ابن قريش وكان يدعى ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد اي يرجو ان ازيد
ه مالا وولدا وتمهيدا كلا اي لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الا
ية في نقصان ماله وولده حتى هلك انه كان لاياتنا عنيدا اي معاندا والمعنى انه كان
معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة وكان منازعا منكرا
للكل وقيل كان يكفر بكل عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه
وهو اقبح الكفر واخبثه سارهقه صعودا يعني سأكلفه مشقة من العذاب لا
راحة له فيها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود
عقبة في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا فهو
كذلك ابدا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وروى البغوي باسناد الثعلبي عن
ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سارهقه صعودا هو جبل من نار يكلف ان يصعده
فاذا وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت واذا رفعها
عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف الكافر ان يصعدها لا يترك ان
يتنفس في صعوده ويجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد
فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها فذلك دابه ابدا

معه ويضربه من خلفه فيتولى ذا ابدا ابدا قوله عز وجل انه
أي في الامر الذي يريد ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما
وهيأه لغرض الامر وهو السرالة بقوله وقدر أي قدر ذلك الكلام في قلبه وذلك
ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى
قوله اليه المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه
يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد الاية فانطلق الوليد
حتى جلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام
الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه يعلو وما يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون
قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا
فقال له ما لي اراك حزينا يا ابن اخي فقال وما يمنعني ان احزن وهذه قريش
يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد
وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد
وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام
حتى يكون لهم فضل ثم قام ابو جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا
مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه
قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا
اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما
هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده
ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يوثر فذلك قوله عز وجل انه فكر يعني في
امر محمد صلى الله عليه وسلم والقران وقدر في نفسه ما يمكنه ان يقول في محمد والقران
فقتل كيف قدر أي لعن وقيل قهر وغلب كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار
والتوبيخ ثم قتل كيف قدر كرره للتاكيد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام
ثم نظر أي في طلب ما يدفع به القران ويرده ثم عبس وبسر أي كلح وكره وجهه
كالمهتم المتفكر في شيء يريده ثم ادبر أي عن الايمان واستكبر أي حين دعي
اليه فقال ان هذا أي ما يقوله محمد وقيل القران الا سحر يوثر أي يروى ويحكى عن السحرة ان هذا الا قول
البشر يعني يسارا وجبرا فهو يوثره عنهما قال الله تعالى سأصليه أي سأدخله
سقر وهو اسم من اسماء جهنم وقيل احد دركاتها وما ادراك ما سقر أي وما اعلمك
أي شيء سقر وانما ذكره على تعظيم التهويل والتعظيم لامرها لا تبقي ولا تذر فلذها
بمعنى كما تقول صح عينه واعرض عنه وقيل لا بد من العذر والا لزم التكرار فقيل معناه
لا تبقي احدا من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحومهم ولا من عظامهم الا اكلته
واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيا أي لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا
كلما احترقوا جددوا واحيوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل

لكل شيء ميلا وقعرة الا جهنم ليس لها ملالة
ولا تذرهم لواحة للبشر جمع بشرة أي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود
قال مجاهد تلفح الجلد حتى تجعله اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة
للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا عليها تسعة عشر أي على
النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر
جاء في الحديث ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج
لهب النار من افواههم ما بين منكب احدهم مسيرة سنة قد نزعت
منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال
عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة
ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم
امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم
أي الشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم
فقال ابو الاشد بن اسيد الاسود كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم منهم سبعة
عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم اثنين وروي عنه انه
قال انا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة
بمنكبي الايسر في النار ونمضي وندخل الجنة فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة يعني لا رجالا ادميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم
ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة
والرحمة وما جعلنا عدتهم أي عددهم في القلة الا فتنة للذين كفروا أي ضلالة
لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هو قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع
من في النار واجيب عن قولهم لو لم يكونوا عشرين بدل بدلا فعل الله تعالى لا يعلل ولا يقال لم
فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة
في كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه
ذلك ان الاحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار
على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل وهذا الحكمة وما كان من ذلك من الاعداد
فكثير لا يدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على
تعذيب جميع اهل النار وذلك لان الله تعالى يعطي هذا القليل من القوة والقدرة
ما يقدرون على ذلك فقد اعترف بكمال قدرة الله تعالى وانه على كل شيء قدير وان احوال
القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب يعني ان هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل انهم تسعة عشر
ويزداد الذين امنوا ايمانا يعني من امن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذا العدد كان موجودا في كتابهم واخبر به النبي صلى الله عليه
وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علموا انه ما حصل له ذلك الا بالوحي
السماوي فلما ازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب الذين

الذي ارتدع عن الكتاب والمومنون يعني في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان
لا يستقيم ان يعقل معنى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ
واكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الشاكين المرتابين
من اهل الكفر والنفاق وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والكافرون يعني
مشركي مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في
قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله
تعالى ان النفاق سيحدث بالمدينة فاخبر الله تعالى عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيو
ب فعلى هذا تصير الاية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد و
قع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو
شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني اي شيء اراد الله
بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب
من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا المعنى واستبعادا له والمعنى اي غرض قصده
جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكاره هذا من اصله وانه ليس
من عند الله فلهذا سموه مثلا كذلك اي كما اضل الله من انكر عدد الخزنة وهدى
من صدق بذلك كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لان الله تعالى له الهداية
والاضلال وما يعلم جنود ربك الا هو قيل هذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد
اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة
لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متنا
هية فكذلك جنوده غير متناهية وما هي يعني النار الا ذكرى للبشر اي الا تذكرة
وموعظة للناس يتعظون بها وقيل وما هي يعني ايات القران ومواعظه الا تذ
كرة للناس يتعظون بها كلا اي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما
يقول من زعم انه يكفي اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا صلة والقمر والليل اذ ادبر اي ولى ذاهبا
وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبرني فلان اي جاء خلفي فالليل ياتي خلف النهار
والصبح اذا اسفر اي اضاء وتبين وهذا قسم وجوابه قوله تعالى انها لاحدى الكبر
يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم
ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نذيرا للبشر قيل هو
ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذيرا للبشر قال الحسن والله ما انذر بشيء
ادهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل
هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر لمن شاء
منكم ان يتقدم او يتاخر اي يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عنهما فيقع في الشر والـ
معصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن امن او كفر وقد تمسك بهذه الا
ية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه غير متمكن من فعل نفسه واجيب عنه
بان مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على
سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء

منكم

منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة
في النار بكسبها وما اخذت بعملها الا اصحاب اليمين يعني فانهم غير مرتهنين بذنو
بهم في النار ولكن يغفرها الله لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة
كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل
هم المومنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا
على يمين ادم يوم اخذ الميثاق حين قال الله تعالى لهم هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم
الذين كانوا ميامين على انفسهم وروي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
انهم الاطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به
وعن ابن عباس قال هم الملائكة في جنات اي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين
اي يسال بعضهم بعضا عن المجرمين فيقولون لهم ما سلككم في سقر قيل هذا يقوي
قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل
معناه يسال بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم
يقول المسؤولون للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم اي ادخلكم وقيل ما حبسكم
في سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع قالوا لم نك من المصلين اي لله في الد
نيا ولم نك نطعم المسكين اي لم نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخائضين اي في الباطل
وكنا نكذب بيوم الدين اي يوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة حتى اتانا اليقين
يعني الموت فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع
الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المومنين فلا يبقى في النار الا اربعة
ثم تلى قالوا لم نك من المصلين الاية وقال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل احد
دون هؤلاء الذين تسمعون وروى البغوي بسنده عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم رجل من اهل الجنة فيقول الرجل
منهم يا فلان قال فيقول ما تريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال
فيقول انك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة
فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول اتذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول وانك
لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه فما لهم عن التذكرة معرضين اي عن مواعظ
القران كانهم حمر جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر اي نافرة وقرئ بالفتح اي منفرة
مذعورة وعنه انها القناص وعنه هو حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقوياء
وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم
وقيل القسورة ظلمة الليل وقال ابو هريرة هي الاسد وذلك ان الحمر الو
حشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله
عليه وسلم يقرا القران هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبلاهة وذلك لانه لا يرى
مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شيء بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة
قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا
كتاب منشور من الله انك رسول الله نومر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا

ثم قال تشابهت قلوبهم كلا أي لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات
بل لا يخافون الآخرة أي لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى أنهم لو خافوا النار لما
اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة لأنه لما حصلت المعجزات الكثيرة
كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت كلا أي
حقا إنه تذكرة يعني موعظة عظيمة فمن شاء ذكره أي اتعظ به فإنما
يعود نفع ذلك عليه وما يذكرون إلا أن يشاء الله أي إلا أن يشاء الله لهم الهدى
فيتذكروا ويتعظوا هو أهل التقوى وأهل المغفرة أي هو حقيق بأن يتقيه عباده
ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم
وذنوبهم وقيل هو أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن يشاء. عن أنس رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال قال
الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها فأنا أهل أن أغفر له
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده سهيل بن عبد الله القطعي
وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به ثابت عن أنس والله أعلم بمراده وأسرار
كتابه

تفسير سورة القيامة

وهي أربعون آية ومائة وتسع
وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لا أقسم بيوم القيامة اتفقوا على أن المعنى أقسم واختلفوا في لفظة
لا فقيل إدخال لا على القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم قال امرؤ القيس
لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر قال وفائدتها توكيد القسم
لا والله ما ذاك كما تقول لا والله فيجوز حذفها لكنه أبلغ في الكلام إثباتها
وقيل إنها صلة كما في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وفيه ضعف لأنها لا تزاد إلا في
وسط الكلام لا في أوله وأجيب عنه بأن القرآن في حكم السورة الواحدة بعضه
متصل ببعض والدليل عليه أنه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في أخرى كقوله
يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون وجوابه في سورة القلم ما أنت بنعمة
ربك بمجنون وإذا كان كذلك كانت لا في أول هذه السورة جارية مجرى الوسط وفيه
ضعف أيضا لأن القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا أن تقرن سورة
بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث
أي ليس الأمر كما زعموا ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة
وقيل الوجه فيه أن يقال إن لا هي للنفي والمعنى في ذلك أنه قال لا أقسم بذلك اليوم
ولا بتلك النفس إلا إعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل
لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فإن إثباته أظهر من أن يقسم عليه
وروى البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة
أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال أما هذا فقد قامت قيامته وفيه
ضعف لاتفاق المفسرين على أن المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك وقوله

ولا أقسم بالنفس

١٦١

ولا أقسم بالنفس اللوامة قيل هي التي تلوم على الخير والشر وقيل اللوامة
وقيل اللوامة هي التي تلوم نفسها على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم أفعل وقيل ليس من نفس برة
ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها إن كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وإن عملت
شرا تقول يا ليتني لم أفعل وقال الحسن هي نفس المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت
بكلامي ما أردت بأكلي وإن الكافر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هي
النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس
الشقية تلوم نفسها حين تعاين أهوال يوم القيامة وتقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب
الله فإن قلت أي مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم
قلت المناسبة أن في يوم القيامة تظهر أحوال النفوس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث
إنها أبدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله وقيل إنه تعالى أقسم بيوم
القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة كأنه قال أقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا أقسم
بالنفس اللوامة تحقيرا لها لأن النفس اللوامة كافرة والفاجرة لا يقسم بها فإن قلت
المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله أنه أقسم
بيوم القيامة على وقوع يوم القيامة وفيه إشكال قلت إن المحققين قالوا القسم
بهذه الأشياء قسم بربها في الحقيقة فكأنه قال أقسم برب القيامة وقيل إن لله تعالى
أن يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن
ويدل عليه قوله تعالى أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه وقيل جواب القسم قوله بلى قادرين
على أن نسوي بنانه ومعنى أيحسب الإنسان أن لن نجمع العظام بعد تفرقها
ورجوعها رميما مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في أبعد الأرض
أن لن نجمع عظامه أي لا يمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم
أن القادر على الابتداء يقدر على الإعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة
وهو ختن الأخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني
جاري السوء يعني عديا والأخنس وذلك أن عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى
تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت
ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك أو يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل أيحسب الإنسان
يعني هذا الكافر أن لن نجمع عظامه بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام
وأراد بها نفسه جميعها لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها وقيل
إنها خرج على وفق قول هذا المنكر أو يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه
وتأليفها وإعادتها إلى التركيب الأول والحالة والهيئة الأولى وعلى ما هو أعظم من ذلك
وهو أن نسوي بنانه يعني أنامله فنجمع أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف
البعير أو كحافر الحمار فلا يرتفق بها في القبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة
والخياطة وغيرهما وقيل معناه نحن الخالقون لا نقدر على جمع عظامه بل نقدر على جمع
عظامه حتى نجمع الملائكة على صغرها إلى ما كانت ونؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن

فمن يريد أن يعاجم العظام الصغار فهو على جمع كبارها أقدر وهذا القول أولى بالصواب
وقيل إنما خص البنان بالذكر لأنه آخر ما يتم به الخلق قوله تعالى بل يريد الإنسان ليفجر
أمامه أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب
قال سعيد بن جبير يقدم الذنوب ويؤخر التوبة ويقول سوف أتوب وسوف أعمل
حتى يأتيه الموت وهو على أسوإ أحواله وشر أعماله وقيل هو طول الأمل يقول أعيش
فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما أمامه
من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق
يسأل أيان يوم القيامة أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال
المتعنت مستبعدا لقيام الساعة قال الله تعالى فإذا برق البصر أي شخص البصر
عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق أبصار
الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق إذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وبرق أي
شق عينيه وفتحهما من البرق وهو التلألؤ وخسف القمر أي أظلم وذهب ضوؤه وجمع
الشمس والقمر يعني أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما
في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول الإنسان
يعني الكافر المكذب يومئذ أين المفر أي المهرب وهو موضع الفرار كلا أي
لا ملجأ لهم يهربون إليه وهو قوله لا وزر أي لا حرز ولا ملجأ ولا حيل وكانوا إذا فزعوا
التجأوا إلى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل
المنيع وكلما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك
الناس آلت علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا وزر ومعنى الآية
أنه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يمنعهم من
النار إلى ربك يومئذ المستقر يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود
إليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل إلى ربك مستقرهم أي موضع قرار
هم من جنة أو نار وذلك مفوض إلى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته
ومن شاء أدخله النار ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر قال ابن مسعود
وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيئ وما أخر بعد موته من سنة حسنة
أو سيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة
وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقيل بأول عمله وآخره وهو
عمله في أول عمره وآخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله
لورثته بل الإنسان على نفسه بصيرة أي بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء
يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهو سمعه وبصره وجوارحه وإنما أدخلت
الهاء في البصيرة لأن المراد من الإنسان جوارحه وقيل معناه بل الإنسان على نفسه
عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الإنسان على نفسه شاهد فتكون الهاء
للمبالغة كعلامة ولو ألقى معاذيره يعني ولو اعتذر وجادل عن نفسه فإنه

لا ينفعه

فإنه لا ينفعه لأنه قد شهد عليه شاهد من نفسه
من نفسه من يكذب عذره وقيل أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه
معاذير معناه ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب ليخفي ما يعمل
فإن نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لأنه ينكر يوم القيامة فتشهد
عليه جوارحه بما عمل في الدنيا قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به عن ابن
عباس في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل لا تحرك به
لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فإذا
قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنصت ثم إن علينا أن تقرأه قال فكان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد
عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة
لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه قال إن علينا أن نجمعه
في صدرك وتقرأه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه فإذا أنزلناه فاستمع ثم إن
علينا بيانه أي علينا أن نبينه بلسانك قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب
قرأه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه إذا أنزل عليه يخشى أن
ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه أن نجمعه في صدرك
وقرآنه أن تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وإنما جاز هذا
الإضمار وإن لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به أي بأخذه إن علينا جمعه أي
جمعه في صدرك وحفظك إياه وقرآنه أي وقراءته عليك والمعنى سنقرئ
ك يا محمد بحيث لا تنساه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه أي لا تكن قراء
تك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى إليك
فإذا فرغ جبريل من القراءة فخذ أنت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لأنه
بأمره نزل بالوحي ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل اعمل به واتبع حلاله
وحرامه والقول الأول أولى لأنه ليس هذا موضع الأمر باتباع حلاله وحرامه
وإنما هو موضع أمره بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته وكان النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك إذا أنزل عليه جبريل بالوحي أصغى إليه فإذا فرغ من قراءته وعاده النبي صلى الله
عليه وسلم وحفظه ثم إن علينا بيانه أي نبينه بلسانك وتقرأه كما أقرأك جبريل
وقيل إذا أشكل عليك شيء من معانيه فإنا نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الأحكام والحلال والحرام
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أشكل عليه شيء سأل جبريل عليه السلام عن معناه
لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى كلا أي حقا بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة أي تختارون الدنيا وتعملون لها يعني كفار مكة وجوه يومئذ
يعني يوم القيامة ناضرة من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة
بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها النور والبهاء وقيل مشرقة
بالنعيم إلى ربها ناظرة قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب قال

قال الحسن حق لها ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح
انهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امر لها به و
قال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة
بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته وانما تقول
نظرت فلانا ومنه قول الحطيئة وقد نظرتكم ايناء صادرة للورد طال بها حوزي
وتنساسي فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الا
مر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب هذا اخر كلامه وتنبيهه لحجة
هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار لم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا
نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تاويله وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله
والموجب انه اذا وصل بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله
اليك على معنى اتوقع فضلك ويكون النظر بمعنى نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم
يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار والا
بطل المعنيان مع ثبوت النص بالرؤية كلا وان شئت ذكرت لك عليه والاحاديث الصحاح
تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وستذكرها ان شاء الله تعالى فصل

في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة

قال علماء اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها في الآخرة
وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون وزعمت طائفة من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة
ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ
صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم
من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها
اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقي شبههم واجوبتها
مستقصاة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق
ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة
المرئي ولا غير ذلك واما الاحاديث الواردة في اثبات الرؤية فمنها ما روي عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازوا
جه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه
غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه وعن
جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال
انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على
صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب قوله لا تضامون روي بتخفيف الميم وفتح التاء وتشديد الميم مع فتح التاء

ايضا ومعناه

ايضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروي بتخفيف
الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم
عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه
المرئي بالمرئي وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله
قال هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله
ان ناسا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذي وقد
روي مثل هذا عن ابي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث مخرج من حديث طويل قد اخرجه
البخاري ومسلم ومعنى تضامون وتضارون واحد وعن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله
صلى الله عليك وسلم اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت فما اية ذلك
في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر مخليا به قال بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق
الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود وعن صهيب رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم
فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما
اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب وهذا القدر
كاف والله اعلم قوله عز وجل ووجوه يومئذ باسرة يعني عابسة كالحة متغيرة
مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت اثار النعمة والسرور منها لما ادركها من الياس
من رحمة الله وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار تظن اي تستيقن والظن
هنا بمعنى اليقين ان يفعل بها فاقرة اي يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية
العظيمة والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه قيل الفاقرة دخول النار وقيل
هي ان تحجب عن رؤية الله تعالى كلا اي حقا اذا بلغت يعني النفس كناية عن غير
مذكور التراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس
التراقي عن الاشفاء على الموت ومنه قول دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنها وقد
بلغت نفوسهم التراقي وقيل يعني وقال من حضره من راق اي هل من طبيب يرقيه ويداويه
مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل معناه فيشفيه الله به مع
امر الله تعالى ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وقيل هذا
من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا
خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب وظن اي ايقن الذي بلغت
روحه الى التراقي انه الفراق يعني الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد والتفت
اي اجتمعت الساق بالساق اي الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة الدنيا
مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت مع شدة الآخرة وقيل تتابعت عليه
الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الآ

بالأمر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ما هو فيه من الموت أي التفت الشدة بالشدة وقيل هما ساقاه عند الموت ألا ترى كيف يضرب بإحدى رجليه على الأخرى عند النزع وقيل إذا مات يبست ساقاه فلا تلتف إحداهما بالأخرى **إلى ربك يومئذ المساق** أي مرجع العباد إلى الله تعالى يساقون إليه يوم القيامة ليفصل بينهم **فلا صدق ولا صلى** يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى **ولكن كذب وتولى** أي أعرض عن الإيمان والتصديق **ثم ذهب إلى أهله يتمطى** أي يتبختر ويختال في مشيته وقيل أصله يتمطط أي يتمدد من التبختر **أولى لك فأولى** هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لأبي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه وليك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه وقيل معناه أنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستحقه قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال أولى لك فأولى **ثم أولى لك فأولى** فقال أبو جهل أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت وربك أن تفعلا بي شيئا وإني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله أسوأ قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لكل أمة فرعونا وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل **أيحسب الإنسان أن يترك سدى** أي هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة **ألم يك نطفة من مني يمنى** أي ماء قليلا أي تصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء مستقذر أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة **ثم كان علقة** أي صار الإنسان علقة بعد النطفة **فخلق فسوى** أي جعله خلقا سويا وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه **فجعل منه** أي من الإنسان **الزوجين** أي الصنفين ثم فسرهما فقال **الذكر والأنثى** أي خلق من مائه ذكورا وإناثا **أليس ذلك** أي الذي فعل هذا وأنشأ الإنشاء أول مرة **بقادر على أن يحيي الموتى** أي بقادر على إعادته بعد الموت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الإنسان مدنية

قاله مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى عن ابن عباس ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل إن المدني منها من أولها إلى قوله إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية إلى آخرها مكي حكاه الماوردي وهي إحدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **هل أتى** أي قد أتى **على الإنسان** يعني آدم عليه السلام **حين من الدهر** يعني مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه فجعل إبليس يطوف به وينظر إليه فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ويروى في تفسير الآية أن آدم بقي أربعين سنة طينا وأربعين سنة حمأ مسنونا وأربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة **لم يكن شيئا مذكورا** أي لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا يذكر وروي عن عمر أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالإنسان جنس الإنسان وهم بنو آدم بدليل قوله إنا خلقنا الإنسان فالإنسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدر لم يكن شيئا مذكورا لأنهم كانوا نطفا في الأصلاب ثم علقا ومضغا في الأرحام لم يذكروا بشيء **إنا خلقنا الإنسان** يعني بني آدم **من نطفة** أي من مني الرجال ومني المرأة **أمشاج** أي أخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهما أمشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشيجة أي خلطت بدم وهو دم الحيض فإذا حملت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الأمشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم نكسوه لحما ثم ننشئه خلقا آخر وقيل إن الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج **نبتليه** أي لنختبره بالأمر والنهي **فجعلناه سميعا بصيرا** قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة وقيل معناه إنا خلقنا الإنسان من هذه الأمشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواس وأشرفها **إنا هديناه السبيل** أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدناه إلى الهدى لأنه لا يطلق اسم السبيل إلا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وإنزال الكتب **إما شاكرا وإما كفورا** يعني إما موحدا طائعا لله وإما مشركا بالله عاصيا لله وذلك أن الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الإنسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الآية إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء يعني بينا له الطريق إن شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب

الشكر عليه
ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر واوعد ا
لكافر فقال تعالى انا اي هيأنا في جهنم للكافرين سلاسل اي يشدون بها واغلالا اي في ايديهم تغل بها
الى اعناقهم وسعيرا يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخو
يف ثم ذكر ما اعد للشاكر الموحد فقال تعالى ان الابرار يعني المومنين الصادقين
في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع في الطاعة
يشربون من كاس يعني فيه شراب كان مزاجها كافورا قيل يمزج لهم شرابهم
بالكافور ويختم بالمسك فان قلت الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه
مزج شرابهم به قلت قال اهل المعاني اراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده
لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة المعنى ان ذلك الشراب يمازجه
ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون فيه ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم ضر
فيما ياكلون وقيل كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا
ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم حتى يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزن
جبيل عينا بدل من الكافور وقيل ليس عينا يشرب بها اي يشرب منها عباد الله
قال ابن عباس اي اولياء الله يفجرونها تفجيرا اي يقودونها الى حيث شاءوا من منازلهم
وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى يوفون بالنذر انما وصف الله تعالى
ثواب الابرار في الاخرة ووصف اعمالهم في الدنيا التي استوجبوا بها هذا الثواب والمعنى
كانوا في الدنيا يوفون بالنذر والنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل
فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك
من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع والمعاملة ان يوجب الرجل على نفسه شيئا
ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله علي كذا وكذا من صدقة او صوم او صلاة او حج او عمرة
يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله مثل ان يقول ان شفى الله مريضي او قدم غائبي فلله
علي كذا ولا نذر في معصية لا يجب الوفاء به عن عائشة رضي الله عنها قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي
الله فلا يعصه وفي رواية فليطعه ولا يعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وقال ابن
عباس استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على امه توفيت قبل
ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفي الاية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة
في وصفهم على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون
يوما كان شره مستطيرا اي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في اهل السموات
والارض وفي اولياء الله واعدائه وقيل فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت الكوا
كب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفي الارض فنسفت الجبال وغارت المياه وكسر
كل شيء على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله و
شدته قوله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه اي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وا
حاجتهم اليه وصفهم الله تعالى بانهم يوثرون غيرهم على انفسهم بالطعام ويواسون به اهل الحاجة

مسكينا

سان والبر اطعام الطعام لانه يقوم الابدان وقيل على حب
الله مسكينا يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب ويتيما
اي صغيرا وهو الذي لا اب له ولا ينفق عليه واسيرا قيل هو المسجون من اهل القبلة يعني
من المسلمين الاسير هو من اهل الشرك امر الله تعالى بالاحسان اليهم وان الاسراء
يومئذ من اهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرى وان كانوا على غير ديننا
وان يرجى ثوابه ولا يجوز ان يطعموا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارات وقيل الا
سير المملوك وقيل الاسير المراة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فا
نهن عندكم عوان يعني اسرى وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا
في نزول هذه الاية فقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الا
فطار جاءه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له ولاهله رغيف
واحد فنزلت هذه الاية فيه وروي عن ابن عباس انها نزلت في علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وذلك انه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلحوا
منه شيئا لياكلوه فلما فرغ منه اتى مسكين فسال فاطعموه ذلك الطعام ثم عمل
الثلث الثاني فلما فرغ اتى يتيم فسال فاطعموه ذلك ثم عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه
اتى اسير من المشركين فسال فاطعموه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الا
ية وقيل الاية عامة في كل من اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى واثر على نفسه
انما نطعمكم لوجه الله اي لطلب ثواب الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قيل انهم لم يتكلموا
به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى عليهم وقيل قالوا ذلك ليعلموهم ويخبرهم
في ذلك وذلك لان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لا يريد به غيره فهذا
هو الخالص وتارة يكون لطلب المكافات او لطلب الحمد من الناس او لهما وهذان
القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما الشرك والرياء فيقول لهم عنهم يقو
لهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما
يعني ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم عبوسا
وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهار صائم والمراد اهله والمعنى تعبس
فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة
قمطريرا يعني شديدا كريها يقبض فيه الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل
العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الا
يام واطوله في البلاء فوقاهم الله شر ذلك اليوم الذي يخافونه ولقاهم نضرة اي
حسنا في وجوههم وسرورا اي في قلوبهم وجزاهم بما صبروا اي على طاعة الله واجتناب
معصيته وقيل على الفقر والجوع والوفاء بالنذر والايثار جنة وحريرا اي ادخلهم
الله في الجنة والبسهم الحرير لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يعني لا يوذيهم حر
الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يوذيهم في الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى
الزمخشري قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد
وليلة ظلامها قد اعتكر ۞ قطعتها والزمهرير ما زهر ۞ والمعنى ان الجنة

وقيل الاسير من

أي سخرت وقربت ان الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها اي قريبة عنهم
ظلال اشجارها وذللت قطوفها اي ثمارها تذليلا اي يأكلون من ثمارها قياما
وقعودا ومضطجعين وبأي لونها كيف شاءوا وعلى اي حال ارادوا ويطاف عليهم بآ
نية من فضة واكواب قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه كانت قواريرا
قواريرا من فضة قال اهل التفسير بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج و
بمعنى اي آنية اهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج يرى ما في باطنها من ظاهرها
قال الكلبي ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض اهل الجنة من
فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل القوارير التي في الدنيا من الرمل والقو
ارير التي في الجنة من الفضة ولكنها احلى من الزجاج قدروها تقديرا اي قدر الكؤ
س على قدر ريهم وكفايتهم الذين لا تزيد ولا ينقص والمعنى ان السقاة والخدم
الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم ويسقون فيها اي في الجنة كاسا كان
مزاجها زنجبيلا قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار يوجد منها
طعم الزنجبيل يشرب المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هو النبت
المعروف والعرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في شرابهم لانه يحدث فيه ضربا من اللذ
ع قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا الاري العسل و
المشار المستخرج من بيوت النحل ووقع القضيب في معناه وكان طعم الزنجبيل
يعجبهم اذا في فتنه ولسلاسته الخمر فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف
الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب على برد الكافور وطعم الزنجبيل
وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس
له مثل في الدنيا وذلك ان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا عينا فيها تسمى
سلسبيلا اي سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا وهي في حد
الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع
من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها في غاية
السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى اي توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيل
صفة لا اسم ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي في الخدمة وقيل مخلدون اي مسورون
ومقرطون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا يعني في بياض اللؤلؤ الرطب
وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البسط كان احسن منه
منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم بالخدمة قوله تعالى واذا
رايت قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل احد ممن يدخل الجنة والمعنى
اذا رميت ببصرك ونظرت اليه ثم يعني في الجنة رايت نعيما اي لا يوصف عظمه
وملكا كبيرا قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى ا
قصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا با
ذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال عا
ليهم اي فوقهم ثياب سندس خضر وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ

من الديباج

لانهما داخل في اسم الحرير وحلوا اساور من فضة وسقاهم
ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا من الاقذار والاقذار لم تمسه الايدي
ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا
في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون
بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا من
جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب
الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من
غل وغش وحسد ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لاهل الجنة بعد دخولهم
فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله لكم
الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤ
منين انه قد اعده لهم في الآخرة وكان سعيكم مشكورا اي شكرتكم عليه واثبتكم
افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من ا
لطاعات واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة
واحدة والمعنى انزلنا عليك القرآن مفرقا بالحكمة البالغة تقتضي كل شيء
بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشرح صدره وان الذي انزل الله وحي ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة
التي حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة فاصبر لحكم ربك اي الصادر
عن حكمه ومحبته فيه معناه فاصبر لحكم ربك في تاخير الاذن في القتال وقيل
هو عام في جميع التكاليف اي فاصبر في كل ما حكم الله تعالى به سواء كان تكليفا
خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة
وتحمل المشاق في ضمن ذلك ولا تطع منهم آثما او كفورا يعني وكافرا وقيل الواو
بمعنى ولا وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل
عنها فقال لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه وقيل اراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور
الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما
صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي
واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن
هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور
قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كف
ور آثم ولا ينعكس لان من عصى غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان
لانه لما جحد غير الله فقد عصاه وجحد نعمته عليه واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا قيل المراد بالذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح وا
صيلا يعني صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له اي صلاة المغرب والعشاء
فعلى هذا تكون هذه الآية جامعة لمواقيت الصلوات الخمس وسبحه ليلا طويلا

يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل
كرما للشان والمقصود ان يكون ذكر الله عز وجل في جميع
بقولهم وبلسانهم قوله عز وجل ان هؤلاء يعني كفار مكة يحبون العاجلة
يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ويذرون وراءهم يعني امامهم يوما ثقيلا
يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له نحن خلقناهم
وشددنا اسرهم يعني قوينا واحكمنا اسرهم اي خلقهم وقيل اوصالهم شددنا
بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك
ان الله اذا خرج الاذى انقبضتا واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اذا شئنا
اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ان هذه اي السورة تذكرة
اي تذكير وعظة فمن شاء اتخذ اي لنفسه في الدنيا الى ربه سبيلا اي وسيلة
بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك به القدرية ويقولون ان اتخاذ السبيل
هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهي باختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة
ويرد عليهم قوله تعالى في سياق الآية وهو قوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله
اي لستم تشاءون الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة
لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله تعالى ان الله كان عليما اي
باحوال خلقه وما يكون منهم حكيما اي حيث خلقهم مع علمه بهم يدخل من يشاء
في رحمته اي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك
من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله تعالى و
فضله واحسانه لا بكسب الاستحقاق والظالمين يعني المشركين اعد لهم
عذابا اليما والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة

والمرسلات مكية

وهي خمسون آية وماية وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والمرسلات
عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا
اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها
الاول ان المراد باسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة
كعرف الفرس وقيل عرفا اي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة
الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي ارسلها نشرا
بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتاتي بالمطر فالفارقات
فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح اذا
ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل
بذلك خوف في قلوب العباد فيلجئوا الى الله تعالى ويذكروه فصارت تلك الرياح
كانها القت الذكر والمعرفة في القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثاني ان
المراد باسرها الملائكة الذين ارسلوا بالوحي ومعنى الآية والمرسلات عرفا الملائكة
الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعا

عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانها ونزولها كعصف
الريح والناشرات نشرا يعني انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا
اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة
فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعني الملائكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل
فالملقيات ذكرا يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون
المراد من الذكر هو القرآن خاصة وعلى هذا يكون الملقي هو جبريل وحده
وانما ذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الوجه الثالث ان المراد بالكل
آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا اي آيات القرآن المتتابعة في
النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعني آيات
القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو التبن ا
لمنكسر والناشرات نشرا يعني ان آيات القرآن تنشر انوار الهداية
والمعرفة في قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعني ان آيات القرآن تفرق
بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني آيات القرآن هي الذكر الحكيم التي تلقي
الايمان والنور في قلوب المؤمنين الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات
الخمس شيئا واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله والمرسلات
عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المناسبة بين الرياح
والملائكة حتى جمع بينهما في القسم قلت الملائكة روحانيون فهم
بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شبهوا الرياح فحصلت المناسبة بينهم
من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم في القسم قوله عز وجل عذرا او نذرا اي الاعذار
والانذار وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب
القسم قوله تعالى انما توعدون اي من امر الساعة ومجيئها لواقع اي لكائن نازل
به وقيل معناه ان ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى
فاذا النجوم طمست اي محي نورها وقيل محقت واذا السماء فرجت اي شقت
وقيل فتحت واذا الجبال نسفت اي قلعت من اماكنها واذا الرسل اقتت وقرئ
وقتت بالواو ومعناهما واحد اي جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة
ليشهدوا لاي يوم اجلت اي اخرت وضرب الاجل لجمعهم كانه تعالى تعجب العباد
من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم
وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى ليوم الفصل قال ابن عباس يوم
يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع تعظيمه وتهويلا فقال تعالى وما ادراك
ما يوم الفصل اي وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته ويل يومئذ للمكذبين اي بالتوحيد
والنبوة والمعاد والبعث والحساب وقوله تعالى الم نهلك الاولين يعني الامم الما
ضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم ثم كذلك نفعل بالمجرمين اي انما نفعل
بهم ذلك لكونهم مجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين يعني النطفة فجعلناه

فجعلناه في قرار مكين يعني الرحم إلى قدر معلوم يعني
لما تعلى لا يعلم ذلك غيره فقدرنا قرئ بالتشديد من التقدير أي فقدرنا ذلك تقديرا
فنعم القادرون أي المقدرون وقرئ بالتخفيف من القدرة أي قدرنا على
خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في أحسن صورة
وهيئة ويل يومئذ للمكذبين أي المنكرين للبعث لأن القادر على البدء قادر
على الإعادة ألم نجعل الأرض كفاتا يعني وعاء وأصله الضم والجمع أحياء وأمواتا
يعني تكفتهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا
في بطنها في قبورهم ولهذا تسمى الأرض أما لأنها تضم الناس كالأم تضم ولدها
وجعلنا فيها رواسي أي جبالا شامخات يعني جبالا عاليات وأسقيناكم
ماء فراتا أي عذبا ويل يومئذ للمكذبين يعني أن هذا كله أعجب من البعث
فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون يقال
لهم يوم القيامة للمكذبين في الدنيا انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب
ثم فسره بقوله انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب يعني دخان جهنم إذا سطع
وارتفع وانشعب وافترق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال
لهم كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله تعالى في ظل عرشه وقيل
يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤوسهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم
لا ظليل يعني ذلك الظل لا يظل من حر ولا يغني من اللهب أي لا يرد عنهم
لهب جهنم والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب
إنها يعني جهنم ترمي بشرر جمع شررة وهو ما تطاير من النار كالقصر أي
كالبناء العظيم ونحوه وقيل هي أصول النخل والشجر العظام واحدتها قصرة
وسئل ابن عباس عن قوله ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظام وكنا
نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء
وكنا نسميها القصر كأنه يعني الشرر جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي
حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال صفر جمع أصفر
يعني لون تلك الشرار وأشبه بعضه في عظمه يدل على صوتها ومشيها
الجمال الصفر لرفاعة الشؤون وقيل الصفر هنا معناه الأسود لأنه جاء في الحديث بمثل
أن شرار نار جهنم أسود كالقير والعرب تسمي سود الإبل صفرا لأنه يشوب
سوادها شيء من الصفرة وقيل هي قطع النحاس والمعنى أن هذا الشرار
يرتفع كأنه شيء مجموع غليظ أسود ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى هذا
يوم لا ينطقون يعني بحجة تنفعهم وقيل هذا في بعض مواطن القيامة ومواقفها
وذلك لأن في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم
على أفواههم فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن أي لا يؤذن لهم
لا أن لهم عذرا بل النون لموافقة الفواصل فيعتذرون ولم يقل فيعتذروا والعرب تستحب
وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي والقرآن نزل على ما تستحب العرب

ومن موافقة

١٦٦

والمعنى لا يكون لهم اعتذار قال الجنيد أي عذر لمن أعرض
عن منعمه وجحده وكفر بأياديه ونعمه فإن قلت قد يوهم أن لهم عذرا ولكن قد منعوا من
ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لأنه قد تقدم الإعذار والإنذار في الدنيا فلم يبق
لهم عذر في الآخرة ولكنهم ربما تخيلوا خيالا فاسدا أن لهم عذرا فلم يؤذن لهم في ذلك
العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين يعني أنه لا يبقى لهم عذر ولا حجة فيما
أتوا به من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة على نفي العذاب عنهم
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل يعني بين أهل الجنة وأهل النار وقيل هو الفصل
بين العباد في الحقوق والمحاكمات جمعناكم والأولين يعني مكذبي هذه الأمة والمكذبين
من قبلهم من الأمم الماضية فإن كان لكم كيد فكيدون أي إن كانت لكم حيلة
فاحتالوا بها لأنفسكم فلتحتالوا وهم يعلمون أن الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع
وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا أعقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله
عز وجل إن المتقين أي الذين اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل الأشجار وعيون أي في
ظل عيون الماء وفواكه مما يشتهون أي يتلذذون بها كلوا واشربوا أي ويقال لهم
كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل أن يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة ومما
أعظمها من نعمة أو أن يكون من الملائكة على سبيل الإكرام هنيئا أي خالص اللذة
لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون أي في الدنيا من الطاعات إنا كذلك نجزي المحسنين
قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا أنهم لو كانوا من
المتقين المحسنين لحازوا مثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله
ويل يومئذ للمكذبين فقوله عز وجل كلوا وتمتعوا قليلا أي يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا
قليلا في الدنيا أي إلى منتهى آجالكم وهذا وإن كان في اللفظ أمرا إلا أنه في المعنى
نهي بليغ وزجر عظيم إنكم مجرمون أي مشركون بالله مستحقون للعذاب لأجرم
اتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذبين وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون أي إذا قيل لهم صلوا
مع محمد وأصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لأنه ركن من أركانها وقال ابن عباس
إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين
فبأي حديث بعده أي بعد القرآن يؤمنون أي إذا لم يؤمنوا به فبأي شيء يؤمنون والله
أعلم بمراده وأسرار كتابه. تفسير سورة النبإ وتسمى عم وسورة التساؤل مكية
وهي أربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل عم أصله عن ما يتساءلون أي عن أي شيء يتساءلون يعني المشركين
وأصله استفهام ومعناه التفخيم كقولك أي شيء زيد إذا عظمت شأنه
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا
عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقول بعضهم لبعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر عن ماذا تساءلوا فقال تعالى عن النبإ العظيم أي عن الخبر العظيم الشأن قال الأكثرون
هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به الذي هم فيه

مختلفون فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر
او كهانة ونحو ذلك مما قالوا في القرآن ومن فسر النبأ العظيم
قال فيه فمن مصدق به وهم المومنون ومن مكذب به وهم الكافرون
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القرآن
حق وقيل هو بمعنى الاختلاف والمعنى ليس الامر كما قالوا سيعلمون عاقبة
الامر يعني في القيامة ثم كلا سيعلمون وعيد على اثر وعيد وقيل معنى كلا سيعلمون
يعني الكفار عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعني المومنين عاقبة
تصديقهم وايمانهم ثم ذكر الاشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على
توحيده ويعلموا ان الله قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث
والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اي فراشا وبساطا
لتستقروا عليها كالفراش والجبال اوتادا يعني للارض حتى لا تميد وخلقناكم ازواجا
يعني اصنافا ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم وليس المراد ان
السبات للراحة بل المقصود منه النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة
راحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع الحركة والتصرف في الاعمال وجعلنا
الليل لباسا اي غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته ولهذا سمي الليل لباسا على وجه المجاز
ووجه النعمة في ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا
من عدو ونحو ذلك وجعلنا النهار معاشا اي سببا للمعاش والتصرف في المصالح
وقال ابن عباس يبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه وبنينا فوقكم سبعا
شدادا يعني سبع سموات محكمة ليس فيها فطور ولا شقوق ولا فطور على ممر الازمان
الى ان ياتي امر الله تعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج
الوقاد وقيل جعل في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة وانزلنا
من المعصرات يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل هي الرياح
ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء وانزلنا بالمعصرات وذلك
ان الريح تستدر المطر وقيل هي السحاب وهي الرواية الاخرى عن ابن عباس وقيل المعصرات
السماوات وذلك ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ماء ثجاجا اي صبابا مدرارا متتابعا
يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب الدم
لنخرج به اي بذلك الماء حبا يعني ما ياكله الناس كالحنطة ونحوها ونباتا اي
ما ينبت في الارض من الحشيش مما تاكله الانعام وجنات الفافا اي ملتفة بالشجر
ليس بينها خلال فجمع ادلة البعث بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى
ان يوم الفصل اي الحساب كان ميقاتا اي لما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجمع
فيه الخلائق ليقضي بينهم يوم ينفخ في الصور يعني النفخة الاخيرة فتاتون افواجا يعني
زمرا زمرا من كل مكان للحساب وفتحت السماء فكانت ابوابا يعني فكانت ذات
ابواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابواب وطرق وسيرت الجبال

عن وجه الارض

اي عن وجه الارض فكانت سرابا اي هباء منبثا كالسراب في عين الناظر
ان جهنم كانت مرصادا اي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار
وعلى جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند اولها
عن [illegible] فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسئل عن الصلوات
فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى
الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان
جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع
فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل
به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا معدة لهم وقيل
هو من رصد الشيء اذا ترقبه والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد
العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اي تنتظرهم للطاغين اي الكافرين مآبا
اي مرجعا يرجعون اليه لابثين فيها اي في جهنم احقابا جمع حقب وهو
ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف
سنة يروى ذلك عن علي بن ابي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر الف سنة
فان قلت الاحقاب وان طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه
فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها احدها ما روي
عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا
فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل الآخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود
وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى
الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه
الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها
احقابا لا يذوقون في تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت
لانواع العذاب الذي يذوقونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث ان الآية منسوخة
بقوله تعالى فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل لا يذوقون
فيها بردا قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اي روحا وراحة وقيل لا يذوقون
بردا ينفعهم ولا شرابا يقطع عطشهم الا حميما وغساقا اي الا ماء يشربونه حميما
قيل هو الصديد المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس هو
الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار جزاء وفاقا اي جزاء وافق
جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم
من النار انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون
بالبعث ولا بانهم يحاسبون وكذبوا بآياتنا اي التي جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بالدلائل
الدالة على التوحيد والنبوة والبعث والحساب كذابا اي تكذيبا قال الفراء هي لغة يمانية
فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعالا وقد سالني اعرابي منهم يستفتيني الحلق احب اليك
ام القصار يريد التقصير وكل شيء اي من الاعمال احصيناه اي بيناه واثبتناه كتابا اي

في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شيء علمناه علما لا يزول
ولا يتبدل والمعنى أن الله عالم بجميع ما فعلوه من خير أو شر
لهم جزاء وعليه فذوقوا أي يقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا قيل هذه الآية
أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه
قوله عز وجل إن للمتقين مفازا أي منجيات من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة
ثم فسره فقال حدائق جمع حديقة وهي البساتين المحوطة فيه نخل وأعنابا
بدل من نعيم تعظيم نوع العنب وكواعب جمع كاعب يعني جوار نواهد وقد
تكعبت ثديهن أترابا يعني مستويات في السن وكأسا دهاقا قال ابن عباس مملوءة
مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية لا يسمعون فيها أي في الجنة وقيل في حالة
شربهم لأن أهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حال شربهم لغوا يعني باطلا من الكلام ولا كذابا
والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضا ولا يتعرضون جزاء من ربك عطاء حسابا أي جزاهم
جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء
بقدر أعمالهم رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا أي لا يقدر
الخلق أن يكلموا الرب إلا بإذنه وقيل لا يملكون الشفاعة عنده إلا بإذنه يوم أي في ذلك اليوم
يقوم الروح والملائكة صفا قيل هو جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك
من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده
صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم وقال ابن عباس
الروح ملك أعظم من السموات والأرض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم
اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا فيجيء يوم القيامة صفا وحده
وقيل الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند
وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد
منهم وقيل هم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقومون هم صفين
صف من الروح وصف من الملائكة لا يتكلمون يعني الخلق كلهم إجلالا لهيبة الله
عز وجل ومن هول ذلك اليوم إلا من أذن له الرحمن أي في الكلام وقال صوابا أي حقا في الدنيا
وعمل به وقيل قال لا إله إلا الله وقيل لا يتكلمون يرجع إلى الروح والملائكة ومعنى الآية لا
يشفعون إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا
في الدنيا وهو لا إله إلا الله ذلك اليوم الحق الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة
فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا أي سبيلا يرجع إليه وهو طاعة الله وما يتقرب به
إليه إنا أنذرناكم أي خوفناكم في الدنيا عذابا قريبا أي في الآخرة وكل ما هو آت
قريب يوم ينظر المرء ما قدمت يداه أي من خير أو شر مثبتا في صحيفته ينظر
إليه يوم القيامة ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمرو
إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشرت الدواب والبهائم والوحش
ثم يجعل القصاص بين البهائم ثم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها
فإذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا

صوابه مسعود

وقيل نعم الله عز وجل

بعد القصاص إنا خلقناكم وصورناكم بني آدم وكنتم مفضلين
ممتن عليه كانوا ترابا فإذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني
كنت بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل إذا قضى الله بين الناس
بعث أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وقيل لسائر الأمم سوى الناس وهم
كونوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل
إن الكافر إذا رأى ما يفعل الله بالمؤمنين من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت
ترابا يعني متواضعا في طاعة الله في الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل إن الكافر
هاهنا هو إبليس وذلك أنه عاب آدم كونه مخلوقا من تراب وافتخر عليه بأنه خلق
من نار فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو
فيه وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال أبو هريرة التراب
لا كرامة من جعلكم مثلي والله أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة النازعات
وهي مكية وقيل خمس وأربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وسبعمائة
وثلاثة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا اختلفت عبارات المفسرين في
هذه الكلمات هل هي صفة لشيء واحد أو لأشياء مختلفة على وجه واتفقوا
على أن المراد بقوله فالمدبرات أمرا صفة لشيء واحد وهي الملائكة الوجه الأول
في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني الملائكة تنزع أرواح الكافرين من أقاصي أجسادهم
كما يغرق النازع من القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق اسم أقيم مقام الإغراق أي والنازعات
إغراقا وقال ابن مسعود إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع
السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفسه كما ينشط العقال
من يد البعير وإنما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لأن بينهما فرقا
فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملائكة
يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها
كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من
السماء مسرعين كالفرس الجواد إذا أسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات
سبقا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل الملائكة تسبق
بأرواح المؤمنين إلى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع
من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المؤمنين
تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الملائكة وذلك لأنه يعرض عليها مقعدها في
الجنة قبل أن تموت وقال علي بن أبي طالب هي أرواح الكفار تنشط ما بين الجلد والأ
ظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني أرواح المؤمنين
حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني تستبق فيها إلى الحضرة
القدسية الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من أفق
إلى أفق ثم تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من أفق إلى أفق

اي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحان
يسبق بعضها بعضا في السير الوجه الرابع في قوله والنازعات غ
وتغرق في غرقها وهي الناشطات تنشط لانها تخرج بجسم عند ا
في حركها وهي السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية الوجه الخامس
يعني الغزاة حين تنزع في قسيها بالرمي حتى تبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا
اي السهام في الرمي والسابحات سبحا والسابقات سبقا يعني الخيل حين تخرج
اصحابها الى الغزو الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا فقوله والنازعات
يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا يعني يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس
تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني
مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات فالمدبرات امرا اجمعوا على انهم الملائكة
قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط
يدبر الامر في الدنيا اربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل واسرافيل فاما جبريل فموكل
بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس
واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وهذه اقسام اقسم الله بهذه الاشياء
لشرفها ولله ان يقسم بما شاء من خلقه او يكون القسم برب هذه الاشياء وجواب
القسم محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل
هو قوله قلوب يومئذ واجفة يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها
كل شيء ويموت منها جميع الخلق تتبعها الرادفة يعني النفخة الثانية ردفت الاولى
وبينهما اربعون سنة قال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي
كل شيء باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة تنشق السماء
وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذ
كروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قلوب يومئذ واجفة اي
خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زائلة عن اماكنها ابصارها خاشعة اي ابصار اهلها
خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار يدل عليه قوله تعالى يقولون يعني المنكرين للبعث اذا قيل
لهم انكم مبعوثون بعد الموت أإنا لمردودون في الحافرة يعني ترد الى الحال الاولى فنرجع
احياء بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث جاء
والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء واول الشيء وقيل محمول في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي
تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى انا لمردودون الى الارض فنبعث
خلقا جديدا انجثي عليها وقيل الحافرة النار أإذا كنا عظاما نخرة اي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى
واحد وقيل الناخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر اي تصوت قالوا يعني المنكرين للبعث
اذا عاينوا احوال القيامة تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت
لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت فانما هي يعني النفخة الاخيرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة
يسمعونها جميعا فاذا هم بالساهرة يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوانات

وسهرهم وقيل

وسهرهم وقيل هي التي يكثر الوهم عليها كانها تسهر والمعنى انهم كانوا في بطن
الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي ارض الشام وقيل هي ارض القيامة
هل اتاك حديث موسى يعني قد اتاك يا محمد حديث مو
سى يسليه شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه
السلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به اذ ناداه ربه بالواد المقدس اي المطهر
طوى هو اسم واد بالشام عند الطور اذهب الى فرعون انه طغى اي علا وتكبر وكفر بالله فقل
هل لك الى ان تزكى اي تطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس
هل تشهد ان لا اله الا الله واهديك الى ربك اي ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده فتخشى
اي عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كان دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون
كان اعظمهم وكانوا اتباعه في دعوته جميع قومه فاراه الآية الكبرى يعني فارى موسى فرعون الآية الكبرى
يعني اليد البيضاء والعصا فكذب يعني فرعون بانها من الله وعصى اي تمرد واظهر التجبر ثم
ادبر اي اعرض عن الايمان يسعى اي يعمل بالفساد فحشر اي جمع قومه وجنوده
فنادى اي لما اجتمعوا فقال يعني فرعون لقومه انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام
ارباب وهو ربها وربهم فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه
في الدنيا ويدخله النار في الآخرة وقيل اراد بالآخرة والاولى كلمتي فرعون وهي قوله ما علمت لكم
من اله غيري وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ان في ذلك اي الذي فعل بفرعون حين
كذب وعصى لعبرة اي عظة لمن يخشى اي يخاف الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال
أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السموات
السموات عندكم وفي تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لان خلق
الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم احوالها كان
يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على
الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خلق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه
تعالى وصف كيفية خلق السماء فقال تعالى رفع سمكها يعني علو سقفها وقيل رفعها
بغير عمد فسواها اي اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور واغطش ليلها اي اظلم ليلها
والغطش الظلمة واخرج ضحاها اي نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل
اجزاء النهار في النور والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يحدثان بسببها غروب
الشمس وطلوعها وهي في السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى والارض بعد ذلك
دحاها اي بسطها ومدها قال امية بن ابي الصلت يحوت البلاد فسواها وانصب طيها
فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضي ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله بعد ذلك
دحاها وقد قال الله تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما
معناهما قلت خلق الله تعالى الارض اولا مجتمعة ثم سمك السماء ثانيا ثم دحى الارض
بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التقسيم الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس
خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع
سموات ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معنى والارض بعد ذلك دحاها اي مع ذلك كقوله عتل بعد ذلك

عز بعد ذلك بزمن اي مع ذلك أخرج منها ماءها اي فجر من الأرض عيونا ومرعاها
وهو ما يأكله الناس والأنعام واستعير الرعي للناس على سبيل التجوز والجبال أرساها
اي أثبتها متاعا لكم ولأنعامكم اي الذي أخرج من الأرض هو بلغة لكم ولأنعامكم
عز وجل فإذا جاءت الطامة الكبرى يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة
القيامة سميت بذلك لأنها تطم على كل شيء فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية
التي لا تستطاع يوم يتذكر الإنسان ما سعى اي ما عمل في الدنيا من خير أو شر
وبرزت الجحيم لمن يرى اي لمن هذه صفته وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اي المحارم التي
يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله للحساب فيتر
كها لخوفه فإن الجنة هي المأوى اي لمن هذه صفته قوله عز وجل يسألونك
عن الساعة أيان مرساها اي متى ظهورها وقيامها فيم أنت من ذكراها اي لست في شيء
من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها إلى ربك منتهاها اي منتهى
علمها لا يعلم متى تقوم الساعة إلا هو وقيل معناه فيم إنكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال
ثم قال يا محمد أنت من ذكراها اي من علامتها لأنك آخر الرسل وخاتم الأنبياء فكفى
ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها إنما أنت منذر من يخشاها اي إنما ينفع إنذا
رك من يخافها كأنهم يعني الكفار يوم يرونها اي يعاينون يوم القيامة لم يلبثوا اي في
الدنيا وقيل في قبورهم إلا عشية أو ضحاها فإن قلت كيف تكون للعشية ضحى قلت الهاء والألف صلة والمعنى لم
يلبثوا إلا عشية أو ضحى وقيل أضاف الضحى إلى العشية إضافة إلى يوم كأنه قال إلا عشية
أو ضحى يومها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الأعمى مكية وهي اثنتان وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل عبس اي كلح وقطب وجهه وتولى اي أعرض بوجهه أن جاء
الأعمى يعني ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو
بن قيس بن زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة القرشي من بني عامر بن لؤي واسم أمه عاتكة بنت عبد
الله المخزومية وهو ابن خال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أسلم قديما بمكة وذلك
أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس
بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية بن خلف وهو يدعوهم إلى الله يرجو إسلامهم
فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء
وهو لا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد و
السفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم فأنزل الله هذه
الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعد
ذلك إذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه
على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان من المهاجرين الأولين وقيل قتل شهيدا
بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء وعن عائشة
رضي الله عنها قالت أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم يكرمه بعد ذلك إذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه
الله ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة
ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان من المهاجرين الأولين
وعليه درع ومعه راية سوداء وما يدريك اي أي شيء يجعلك داريا لعله يزكى اي يتطهر
من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك أو يذكر اي يتعظ فتنفعه الذ
كرى اي الموعظة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أما من استغنى
من المال فأنت له تصدى اي تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه وما عليك
ألا يزكى اي لا يؤمن ولا يهتدي وإنما عليك البلاغ وأما من جاءك يسعى
يعني يمشي يعني ابن أم مكتوم وهو يخشى يعني الله عز وجل فأنت عنه تلهى
اي تتشاغل وتعرض عنه كلا اي لا تفعل بعدها مثلها إنها يعني الموعظة
وقيل آيات القرآن تذكرة اي موعظة للخلق فمن شاء اي من عباد الله ذكره
اي اتعظ به يعني بالقرآن ثم ذكر جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز
وجل في صحف مكرمة يعني القرآن في اللوح المحفوظ مرفوعة اي رفيعة عند
الله وقيل مرفوعة في السماء مطهرة يعني الصحف لا يمسها إلا المطهرون
وهم الملائكة بأيدي سفرة قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملائكة الكرام
الكاتبين واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة
إلى الأنبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله تعالى كرام اي هم كرام على الله بررة
مطيعين له جمع بار قوله عز وجل قتل الإنسان اي لعن الكافر وطرد ما أكفره
اي ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده وهذا على
سبيل التعجب اي اعجبوا من كفره وقيل معناه اي شيء حمله على الكفر نزلت هذه
الآية في عتبة بن أبي لهب وقيل في أمية بن خلف وقيل كان يوم الخندق وقيل الآية
عامة في كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغي منه أن يعلم أن الله خالقه فقال تعالى من أي شيء
خلقه لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى من نطفة خلقه
فقدره يعني خلقه أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه وقيل قدره
يعني خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما أراد ثم السبيل يسره اي سهل
له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل
أحد ما خلق له وقدر عليه ثم أماته فأقبره اي جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله
مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور والقبر معناه صيره الله بحيث
يقبر وجعله ذا قبر يقبر فيه وهذه تكرمة لبني آدم على سائر الحيوان ثم إذا شاء
أنشره اي أحياه بعد موته للبعث والحساب وإنما قال إذا شاء لأن وقت
البعث غير معلوم لأحد وهو من مشيئة الله عز وجل متى شاء اي يحيي الخلق أحياء
كلا ردع وزجر للإنسان عن تكبره وتجبره وعن كفره وإصراره على
إنكار التوحيد وإنكار البعث والحساب لما يقض ما أمره اي لم يفعل ما أمره به ربه
ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر به فقال

بيعصاه امره ربه

يعتبر ... انه موضع الاعتبار فلينظر الانسان
الى طعامه اي فيقدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل الطعام
ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى انا صببنا الماء صبا يعني المطر ثم شققنا الارض
شقا اي بالنبات فانبتنا فيها اي الارض حبا يعني ... الحب الذي يتغذى به
الانسان وعنبا يعني انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا افرده بالذكر
وقضبا يعني القت وهو الرطب سمي بذلك لانه يقتضب اي يقطع في كل الايام
وقيل القضب هو العلف كله الذي تعلفه الدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه
الزيت ونخلا وحدائق جمع حديقة غلبا يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر
الملتف بعضه ببعض وقال ابن عباس طوالا وفاكهة يعني جميع الوان الفاكهة
وابا يعني الكلا والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما ياكله الدواب والانعام وقيل الفا
كهة ما ياكله الناس والاب ما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما تنبت الارض
مما ياكل الناس والانعام وروى ابراهيم التيمي ان ابا بكر سئل عن قوله وفاكهة
وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وعن
انس ان عمر قرا وفاكهة وابا فقال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا
بهذا اخرجه البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا
فدعوه متاعا لكم يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ولانعامكم ثم ذكر
احوال القيامة فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت
صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اي تبالغ في اسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اي انه لا يلتفت الى احد من هؤلاء
لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة
بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصا
حبة تقول اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من
يفر من اخيه هابيل وابراهيم عليه السلام من ابيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل
يفر المرء من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كان المرء يفر بهم
في الدنيا ويتقوى بهم ويتعزز بهم لا يغني منهم في الدار الاخرة وفائدة الترتيب كانه
قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلق
القلب بهذين اشد من تعلقه بالابوين لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله شان
نفسه عن شان غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة
غرلا فقالت له امراة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة
واهوالها بين حال المكلفين انهم على قسمين منهم السعداء ومنهم الاشقياء فوصف السعداء
بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء وقيل
مسفرة من طول قيام الليل وقيل من اثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله ضاحكة اي عند الفراغ

من الحساب

من الحساب مستبشرة اي بالسرور وفرحة بما نالت من كرامة الله تعالى
ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال ووجوه يومئذ عليها غبرة
اي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم ترهقها قترة اي يعلوها و
يغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس يغشاها ذلة والفرق بين القترة
والغبرة ان الغبرة ما كان اسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء اولئك يعني الذين
هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والفاجر ... تفسير سورة
وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسماية وثلاثون حرفا عن ابن عمر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه
راي عين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت
اخرجه الترمذي بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن
عباس اظلمت وقيل اضمحلت وقيل لففت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض
الشيء الى بعض ومعناه ان الشمس تجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك
ذهب ضوؤها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر
ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا اخرج عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر
جمعا ... وهما في النار ويكونان ... في الحرب جهنم واذا النجوم انكدرت
اي تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ
نجوما فلا يبقى نجم الا وقع على وجه الارض فصارت هباء منثورا واذا الجبال سيرت
عن وجه الارض ... واذا العشار عطلت يعني النوق الحوامل التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها
واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي انفس مال
عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد
كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة
واذا الوحوش حشرت يعني دواب البر اي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها
من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شيء موته غير الجن والانس
فانهما يوقفان يوم القيامة واذا البحار سجرت قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم
وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت
مياهها حميما لاهل النار وقيل سجرت اي يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة قال
ابي بن كعب ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس
فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت وا
ضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج
بعضهم في بعض فذلك قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار
عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت قال فتقول الجن للانس نحن ناتيكم
بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هو نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة
واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ

١٧٣

... التكوير مكية

وإذا النفوس زوجت يعني ضم بعضها إلى بعض

عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر ... وقيل زوجت النفوس بأعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الأرواح إلى الأجساد وإذا الموءودة سئلت أي الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لأنها يطرح عليها من التراب فيؤودها أي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروي عن ابن عباس قال كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفيرة فإن ولدت جارية رمت بها في الحفيرة وإن ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد بقاءها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى الإبل والغنم في البادية وإذا أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت قال لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها فإذا نظرت فيها دفعها من ورائها ويهيل التراب عليها حتى يستوي بالأرض عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار أخرجه أبو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يحيي فافتخر به الفرزدق في شعره فقال: ومنا الذي منع الوائدات .. وأحيى الوئيد فلم يوأد

بأي ذنب قتلت معناه تسأل الموءودة فيقال لها بأي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير ذنب وإذا الصحف نشرت يعني صحائف الأعمال تنشر للحساب وإذا السماء كشطت أي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وأزيلت عمن فيها وإذا الجحيم سعرت أي أوقدت لأعداء الله تعالى وإذا الجنة أزلفت أي قربت لأولياء الله تعالى علمت نفس ما أحضرت يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من خير أو شر وهذا جواب لقوله إذا الشمس كورت وما بعدها قوله عز وجل فلا أقسم لا زائدة والمعنى أقسم وقد تقدم ذلك في قوله لا أقسم بيوم القيامة بالخنس الجوار الكنس يعني النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها أي ترجع وراءها في الفلك وتكنس أي تستتر وقت اختفائها وقيل إنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخرا تتأخر فيه عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه والكنس معناه أنها تأوي إلى ... وقيل هي الظباء وهي رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء والكنوس هو أن تأوي إلى كناسها وهو الموضع الذي تأوي إليه الوحوش والليل إذا عسعس أي أقبل وبدا أوله وقيل أدبر

الرجل

منع

الشمس

وقيل

١٧٦

أي أقبل بظلامه وقيل أدبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرفي الليل والصبح إذا تنفس أي أقبل وبدا أوله وقيل امتد ضوؤه حتى يصير نهارا بينا فإن قلت ما معنى تنفس الصبح قلت إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز والثاني أنه شبه الليل بالمكروب المحزون فإذا جاء الصبح فكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى إنه يعني القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى أن جبريل نزل به عن الله تعالى لا أنه تكلم به ابتداء ذي قوة كان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط الأربع من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل في الهند وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ثم يصعد في أسرع من الطرف عند ذي العرش مكين أي في المنزلة والجاه مطاع ثم أي في السماوات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له أنه أمر خزنة أبواب السماوات ليلة المعراج بفتح أبوابها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففتحوا وأمر خزنة الجنة بفتح أبوابها ففتحوا أمين يعني على وحي الله تعالى إلى أنبيائه وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس مجنونا كما يقوله أهل مكة وذلك أنهم قالوا إنه مجنون وإنما يقوله من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون ولقد رآه يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق فيها بالأفق المبين يعني بالأفق الأعلى من ناحية المشرق الذي حيث تطلع الشمس وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فأين تشاء أن أتخيل لك قال بالأبطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات قال ذلك بالحري أن يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته فضمه إلى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة وإن العرش لعلى كاهله وإنه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير كالوصع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته وما هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عنه من القصص والأنباء بضنين قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول إنه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو أجر الكاهن وقراءة الظاء أولى لأنهم لم يبخلوه وإنما اتهموه فنفى الله تلك

قال في ضوء ... أي الثعلبي ذكر

التهمة ولو اراد البخل لقال ما هو بالغيب وما هو يعني القرآن بقول شيطان رجيم
يعني ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا
يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه فاين تذهبون اي فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء
والهدى والبيان وقيل معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي بينت
لكم ان هو يعني ما هو القرآن الا ذكر للعالمين اي موعظة للخلق اجمعين لمن
شاء منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه ويتبعه ثم بين ان مشيئة العبد
موقوفة بمشيئته فقال تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين اعلم
ان المشيئة في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة
الله وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى والشر الا بخذلانه ومشيئته
والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الانفطار
وهي تسعة عشر اية وثمانون كلمة وثلاثمائة
وتسعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السماء
انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت
اي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى
فجرت فاضت واذا القبور بعثرت اي بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى
احياء علمت نفس ما قدمت واخرت يعني في ذلك الوقت ما قدمت من عمل صالح
او سيء واخرت يعني ما [illegible] من سنة حسنة او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقا
ت واخرت من التركات وهذه احوال يوم القيامة قوله تعالى يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك بالباطل حتى ضيعت ما ضيعت
وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا امنك من عقابه قيل نزلت في الوليد
بن المغيرة وقيل في ابي جهل الاشد واسمه [illegible] بن كلدة وقيل كلدة بن خلف
وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وانزل هذه الاية وقيل الا
ية عامة في كل كافر وعاص فيقول ما الذي غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل
تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة
بربك الكريم اي المتجاوز عنك فمن كرمه لم يعاجلك بعقوبته بل بسط
لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله تعالى به يوم
القيامة فيقول يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت
في ما علمت حين عملت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض
لو اقامك الله يوم القيامة فقال لك يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول
قال اقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو قال لي ما غرك
بي اقول غرني بك برك بي سالفا وانفا وقال ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم
لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه
وصفاته كأنه لقنه الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك

ابراء ومحمد [illegible] العلم الى الجزء [illegible]

وتوفيقه — على — قيح

اي عدل خلقك في مناسبة
اي جعلك سويا سالما تسمع وتبصر فعدلك اي جعلك قائما معتدل ال
الاعضاء ولم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه [illegible] في اي صورة ما شاء ركبك
حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في الحديث اذا استقرت في الر
حم [illegible] احضر كل عرق بينه وبين ادم ثم قرأ في اي صورة ما شاء ركبك وقيل
معناه ان شاء ركبك في صورة انسان وان شاء في صورة دابة او حيوان
وقيل في اي صورة ما شاء ركبك في الصور المختلفة بحسب الطول والقصر
والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذا دلالة على قدرة الصانع
المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل على ان ذلك
على كمال القدرة والتصرف الصنعة وان المريد المختار هو الله تعالى كلا
بل تكذبون بالدين اي بيوم الحساب والجزاء وان عليكم لحافظين يعني
رقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما اي على الله كاتبين
اي يكتبون اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون يعني من خير او شر
قوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم
[illegible] ليت شعري ما لنا عند الله فقال اعرض عملك على كتاب الله قال
[illegible] في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من
المحسنين يصلونها يوم الدين يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما هم
عنها بغائبين اي عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى وما ادراك ما يوم
الدين قيل الخطاب للكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه اي شيء اعلمك به لولا اعلامنا اياك ثم ما ادراك
ما يوم الدين التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا اي لا تملك بعض لبعض شيئا من المنفعة والا
مر يومئذ لله يعني لم يملك الله تعالى في ذلك اليوم احدا شيئا كما ملكهم
في الدنيا والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير
سورة المطففين مكية نبية في قول ومكية في قول
وقيل فيها ثمان ايات مكية وهي قوله ان الذين اجرموا الى اخرها وقيل فيها
اية مكية وهي قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقيل انها
نزلت بين مكة والمدينة في الهجرة وهي ست وثلاثون اية ومائة وتسع
وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
ويل اي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم
واد في جهنم للمطففين يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسر
في الكيل والوزن الا الشيء اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل

١٧٥

قوله عز وجل

يعني الزبير ... واحد ... باداء ... [illegible] يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روى

امعا

قيح

المدينة

وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل
باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الاية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم
فقال تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون يعني اذا اكتالوا على الناس ومن وعلى
يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اي اشتروا شيئا استوفوا عليهم لانفسهم
الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم يعني اذا كالوا لهم او وزنوا لهم يعني للناس
كما يقال نصحتك ونصحت لك يخسرون اي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد
يلحق من ياخذ لنفسه زائدا او يدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير
لاكن ان لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذ
لك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون
الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم
الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل
والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف
يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان
سواد الوجه يوم القيامة الا يظن اولئك اي الا يعلم ويستيقن اولئك الذين يفعلون هذا الفعل
وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيامة يوم يقوم الناس يعني من
قبورهم لرب العالمين اي لامره وجزائه وحسابه وعن نافع عن ابن عمر عن النبي
اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في
رشحه الى انصاف اذنيه وروي مرفوعا عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل
قال سليم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض او الميل الذي
تكحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم
من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه
العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه قوله عز وجل كلا قيل انه ردع
وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام
هنا وقيل كلا ابتداء كلام يتصل بما بعده بمعنى حقا ان كتاب الفجار اي الذي كتب
فيه اعمالهم لفي سجين قال ابن عمر هي الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار
روى البغوي باسناد الثعلبي عن البراء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سجين اسفل سبع ارضين وعليين في السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء
ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان الروح
الفاجر يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى ان تقبلها
فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين
رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة
وقيل صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب
الفجار تحتها قال وهب هي آخر سلطان ابليس وجاء في الحديث الفلق جب في جهنم

مغلق وسجين

وسجين جب في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين لفي خسار وضلال وقيل
انه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد وما ادراك ما سجين
اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين
كتاب مرقوم ليس هذا تفسيرا للسجين وانما هو تفسير للكتاب المذكور
في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم مثبتة
عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم
رقم عليه بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اي مختوم وهو لغة
حمير ويل يومئذ للمكذبين قيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين والمعنى
ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم على الشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين
بين ذلك من ذلك الكتاب المرقوم عليهم فيه الشقاوة ثم قال الذين يكذبون بيوم الدين
اي بيوم القيامة لانه يوم الجزاء وما يكذب به اي بيوم القيامة الا كل معتد اي متجا
وز عن نهج الحق اثيم هو مبالغة في الاثم والمعاصي اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير
الاولين اي اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا اي لا يؤمنون ثم استانف فقال بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل
قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واصل الرين الغلبة ومعنى الا
ية ان الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت
القلب قال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع
ان يطبع الله على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية و
المعنى انه يغشى القلب شيء كالصدأ فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا قال ابن
عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم في الاخرة خيرا ثم استانف
نعتا فقال تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قيل عن كرامته ورحمته ممنوعين وقيل
ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف لان من حمله على منع الكرامة
والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فانه من حجب عن الله فان الله لا ينظر
اليه نظرة رحمة ولا يزكيه والذي ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية
الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الاية من اثبت الرؤية للمؤمنين قالوا ولولا ذلك لم يكن
للتخصيص فائدة ووجه اخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار
وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين فوجب ان لا يحصل هذا
الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت
انفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رؤيته وسئل
مالك عن هذه الاية فقال لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه وقال الشافعي في قوله كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله وعنه لما حجب قوما بالسخط
دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال تعالى

ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار ثم يقال اي تقول لهم الخزنة هذا اي هذا العذاب
الذي كنتم به تكذبون اي في الدنيا كلا اي ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكارهم
البعث وقيل اي لما يومن بهذا العذاب الذي يصلاه ثم بين كتاب الابرار فقال تعالى ان كتاب
الابرار لفي عليين جمع علي من العلو وقيل هو موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من
لفظه وتفسيره في حديث البراء المرفوع ان عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال
ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل
وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل سدرة
المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل مراتب عالية
محفوفة بالجلالة قد عظمها الله واعلاها وما ادراك ما عليون تفخيما له على عظم
شانه كتاب مرقوم ليس هذا تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم
في عليين وقيل لهم فيه تحبروا وما عد لهم من الكرامات وقيل مكتوب فيه اعمالهم
وعليون محل الملائكة ... يشهده المقربون يعني
الملائكة الذين هم في عليين يشهدونه ويحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب
الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة
المومن فقوله تعالى ان الابرار يعني المطيعين لله لفي نعيم يعني نعيم الجنة على الارا
ئك جمع اريكة وهي الاسرة في الحجال ينظرون يعني الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة
وقيل ينظرون الى اعدائهم كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون الى ربهم تعالى تعرف في
وجوههم نضرة النعيم يعني انك اذا رايتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على
وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور في القلب يسقون من رحيق
يعني الخمر الصافية البيضاء اللطيفة مختوم يعني ختم على ذلك الشراب
من ان تمسه الا ايدي ... ختمه الابرار فان قلت قد قال في سورة محمد صلى الله
عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الايتين قلت يحتمل
ان تكون هذه المذكورة في هذه الاية في اوان مختوم عليها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار وانما
ختم عليها لشرفها ونفاستها ختامه مسك اي طيبه الذي يختم عليه مسك بخلاف
خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اي ممزوج ختامه اي اخر طعمه وعاقبته
مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك
وقيل اصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس
به على غيره اي يبخل ومزاجه من تسنيم اي من شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم
ومنازلهم وقيل يجري في الهوى متسنما فينصب في اواني اهل الجنة على قدر ملئها فاذا
امتلأت امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل شراب
اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص
للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم
قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عينا يشرب بها

اي منها

اي منها وقيل يشرب بها المقربون صرفا قوله عز وجل ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني
كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم من مترفي اهل مكة
كانوا من الذين آمنوا يعني من عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المومنين
يضحكون اي منهم ويستهزئون بهم واذا مروا بهم يعني مر المومنون الفقراء بالاغنياء
يتغامزون يعني يتغامز الكافر والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم بالا
عين استهزاء بهم واذا انقلبوا الى اهلهم يعني الكفار انقلبوا فكهين اي معجبين
بما هم فيه وقيل يتفكهون بذكرهم كانهم يتفكهون بذلك واذا راوهم يعني راوا
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويرون انهم على شيء قال الله تعالى وما ارسلوا يعني المشركين
عليهم يعني على المومنين حافظين اي للاعمال والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم
قوله عز وجل فاليوم يعني في الاخرة الذين امنوا من الكفار يضحكون وسبب هذا
الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المومنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما
افضوا الى الاخرة انعكس الامر فصار المومنون في النعيم والسرور وصار الكفار في العذاب
والبلاء فضحك المومنون على الكافرين لما راوا من حالهم وقال ابو صالح يفتح للكفار ابواب
النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا وصلوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم
مرارا والمومنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد
المومن ان ينظر الى عدو له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب
ضحك منه فذلك قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك جمع اريكة
وهي السرير في الحجلة وهي الكلة ... من الدر والياقوت
ينظرون يعني اليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى هل ثوب اي جوزي الكفار ما كانوا
يفعلون اي جزاء ما كانوا يفعلون بالمومنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام
بمعنى التقرير وثوب واثاب واثيب بمعنى واحد قال اوس ... ساجزيك او يجزيك عني
مثوبة وحسبك ان يثنى عليك وتجزى والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون اية

ومائة وسبع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل اذا السماء انشقت يعني عند قيام الساعة وهي من علاماتها واذنت لربها
اي سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من الاذن وهو الاستماع وحقت اي وحق لها ان تطيع ربها
واذا الارض مدت يعني مد الاديم العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها
بناء ولا جبل والقت ما فيها اي اخرجت ما في بطنها من الموتى والكنوز وتخلت اي من ذلك
لتعلمين ... الثواب والعقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح والمعنى
اذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت فحينئذ تكون الواو زائدة
يا ايها الانسان انك كادح اي ساع اليه باعمالك سعيا والكادح عمل الانسان
جهده في الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك وقيل معناه انك كادح في لقاء ربك
وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح في دنياك

بالكفار

فجعل

اذنت لربها وحقت ... جواب اذا ... جوابه محذوف ... تقديره ... هذه الدنيا ... يرى الانسان

الربع

كدحا تصير به كدحا فملاقيه اي فملاق جزاء عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك
فاما من اوتي كتابه بيمينه يعني ديوان عمله فسوف يحاسب حسابا يسيرا اي سوف من الله
واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله فيعرف الطاعة والمعصية ثم يثاب
على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا
مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب لم
لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح وعن ابن ابي مليكة ان عائشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه
الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت اوليس
يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش
الحساب عذب وينقلب الى اهله يعني في الجنة من الحور العين والادميات مسرورا اي
بما اوتي من الخير والكرامات واما من اوتي كتابه وراء ظهره يعني انه تغل يده اليمنى
الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل
تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه فسوف يدعو ثبورا
يعني عند عطاء كتابه بشماله من وراء ظهره ويعلم انه من اهل النار فيدعو بالويل
والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلى سعيرا اي ويقاسي لهب النار وحرها انه
كان في اهله يعني في الدنيا مسرورا اي باتباع هواه وركوب شهواته انه ظن ان لن
يحور اي لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع بلى اي ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث
ويحاسب ان ربه كان به بصيرا اي من يوم خلقه الى ان يبعثه قوله عز وجل فلا اقسم
بالشفق تقدم الكلام في تفسير لا اقسم في سورة القيامة واما الشفق فقال مجاهد
هو النهار كله وحجته في ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو
النهار وعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش الناس
وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التي
تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض
الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابي حنيفة والليل وما وسق اي جمع وضم ما
كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء
الى ماويه وقيل ما عمل فيه ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم بهم
والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم نوره وذلك في الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما
ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن قرئ بفتح الباء وهو خطاب
الواحد والمعنى لتركبن يا محمد طبقا عن طبق يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله
ذلك ليلة اسري به واصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة
في القربة من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال خ عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق
حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا ان يكون لك الظفر والغلبة على
المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن
بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطابا للجميع والمعنى لتركبن ايها الناس حالا بعد حال وامرا بعد

امرا

وذلك في موقف القيامة فتنقلب بهم الاحوال فيصيرون في الاخرة على غير الحال التي كانوا عليها
في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حالا بعد حال
حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن
سنن من قبلكم واحوالهم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر
ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الاية انه اراد به
السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق
مرة وتطوى اخرى فما لهم لا يومنون يعني بالبعث والحساب فهو استفهام انكار
واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون يعني لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه
جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة وهذه السجدة احدى سجدات القرآن
عند الشافعي ومن وافقه ق عن ابي رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة
فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه السجدة فقال سجدت بها خلف ابي القاسم
صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد بها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت بل الذين كفروا
يكذبون يعني بالقرآن والبعث والله اعلم بما يوعون يعني بما يجمعون في صدورهم
من التكذيب فبشرهم بعذاب اليم يعني على تكذيبهم وكفرهم الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون يعني مقطوع ولا منقوص في الاخرة والله
سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة البروج مكية
وهي اثنتان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمسة وستون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والسماء ذات البروج يعني البروج
الاثني عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة البارئ سبحانه
وتعالى وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل
البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها واليوم الموعود يعني يوم
القيامة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد
يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه
ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من
شيء الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذي وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا
قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل ان
الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود
يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين

المستمعين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل
الشاهد هم الانبياء والمشهود عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو
الملك والمشهود عليه هو ابن آدم وقيل الشاهد هو النبي صلى الله
عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامة وقيل الشاهد هو الامة ونبيها صلى الله عليه
والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد هم الانبياء
والمشهود له محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله تشهد له بالنبوة
والصلاح. ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسم
الله تعالى بهذه الاشياء لشرفها وعظمها وجواب القسم قتل اصحاب الاخدود و
قيل جوابه ان بطش ربك لشديد
قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود اي لعنوا
الاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروي عن صهيب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر
قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه
وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه وكان
اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر
قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى الى الراهب فقال
اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر
فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم
اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك
من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى
الى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك
ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي
الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة
فقال له ما هاهنا لك اجمع ان انت شفيتني فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله
عز وجل فان امنت بالله دعوت الله عز وجل فيشفيك فآمن بالله فشفاه الله
عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال
ربي قال اولك رب غيري قال الله ربي وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء
بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل
فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب
فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع في مفرق راسه
فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه
فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه
والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف

بهم الجبل فسقطوا

فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال
كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا فاحملوه
في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فقال اللهم اكفنيهم
بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له
الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي
حتى تفعل ما آمرك به قال ما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على
جذع نخل ثم تاخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم
قل بسم الله رب هذا الغلام ثم ارمني فانك ان فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في
صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم
في كبد القوس ثم قال بسم الله رب هذا الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه
فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب
الغلام ثلاثا فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن
الناس فامر بالاخدود في افواه السكك واضرم النيران وقال من لم يرجع
عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت
امراة مع صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا امه اصبري
ولا تقاعسي فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وفي هذا الحديث
اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع الى الغير وهو
انقاذ النفس من الهلاك والاكمه الذي خلق اعمى والمنشار بالياء وتخفيف
الهمزة وروي بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك و
اضطرب والقرقور بضم القاف الاول السفينة الصغيرة وانكفات اي انقلبت
والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق وافواهها ابوابها والاخدود الشق العظيم
واقحموه اي ارموه فيها وتقاعست اي تاخرت وكرهت الدخول في النار وقال ابن
عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن
شراحيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام
يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم العلم فكره ذلك الغلام ولم يجد
بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن
الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي
على دين عيسى فاحبوه فصار اليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير فخيرهم
بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخاديد واحرق اثني عشر الفا ثم غلب ارياط
على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحاق
عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا
عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في راسه اذا اميطت يده عنها انبعثت

انبعث معها وانه اذ تركتها ارتعدت مكانها وفي يده خاتم
ذلك عمر فكتب ان اعيدوا الغلام ووجد تم عليه من حديد فيه ربي الله فبلغ
انتهى امر اهل سجستان قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ايش وقال سعيد بن جبير وابن ابزي لما
حكى انهم ليسوا باهل كتاب فقال علي ابن ابي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت
الخمر قد احلت لهم فيتا ولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما
ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج منه فقالت
المخرج منه ان تخطب الناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات وقال الناس اجمعهم
معاذ الله ان نومن بهذا او نقر به ما جاءنا به نبي ولا انزل علينا في كتاب فبسط فيهم
السوط فابوا ان يقروا فجرد لهم السيف فابوا ان يقروا فخد لهم الاخدود واوقدت
لهم النيران فعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب خلى سبيله وروي عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشيا بعث من الحبشة
الى قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الاية فدعا
هم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذوا من افلت منهم واوثقوه ثم
خدوا لهم الاخدود فملؤوها نارا فمن تبع النبي رمي به في النار ومن تابعهم تركوه
فجيء بامراة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا اماه امضي ولا تنافقي وقيل
كانت الاخدود ثلاثة واحد بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا
بالنار فاما التي بالشام فهو انطانوس الرومي واما التي بفارس فبخت نصر وبنو عمون
ان اصحاب بنيانها واما التي باليمن فهو ذو نواس يوسف فاما التي بالشام وفارس فلم
ينزل الله فيهما قرانا وانزل في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة
عند اهل مكة فذكر الله ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك
على الصبر وتحمل المكاره في الدين وقوله تعالى النار ذات الوقود هو تعظيم لامر تلك
النار قال الربيع بن انس نجى الله المومنين الذين القوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار الى
من عند الله واخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم اذ هم عليها قعود اي جلوس عند الا
خدود وهم يعني الملك الذي خد الاخدود واصحابه على ما يفعلون بالمومنين اي من
عرضهم على النار واراد ذبحهم ان يرجعوا الى دينهم شهود اي حضور وقيل يشهد
ان المومنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم وما نقموا منهم قال ابن عباس ما كرهوا
منهم الا ان يومنوا بالله وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله
العزيز يعني ان الذي يستحق العبادة هو العزيز اي الغالب القاهر الذي لا يغالب ولا
يدافع الحميد اي الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله جل
جلاله الذي له ملك السموات والارض المستحق للعبادة والله على كل شيء
من فعلهم بالمومنين شهيد وفيه وعد عظيم للمومنين ووعيد عظيم للكا
فرين فقوله عز وجل ان الذين فتنوا المومنين اي عذبوا واحرقوا المومنين والمومنا
ت بالنار

بالنار ثم لم يتوبوا اي لم يرجعوا عما فعلوا عليه من الكفر وفيه دليل على انهم لو تابوا
وامنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان قتلوا
بالغائلة وانهم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يعني ولهم
عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المومنين وقيل لهم عذاب
الحريق في الدنيا وذلك ان الله احرقهم بالنار التي احرقوا بها المومنين ارتفعت
اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما ا
عد للمومنين فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري
من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير قوله عز وجل ان بطش ربك لشديد قال ابن عباس
ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد انه هو يبدئ ويعيد اي يخلقهم
اولا في الدنيا ثم يميتهم ثم يحييهم بعد الموت ليجازيهم باعمالهم يوم القيامة وهو
الغفور يعني لذنوب المومنين الودود اي المحب لهم وقيل المحبوب اي يودهم اولياو
ه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة ذو
العرش اي خالقه ومالكه المجيد قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجد
من صفة الله تعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة
للعرش اي السرير العظيم انه لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد
حسنه فوصفه بالمجد وقيل ان العرش احسن الاجسام فعال لما يريد يعني
انه لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه شيء طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض
ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه منه مانع ويدخل
اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر هل اتاك حديث الجنود اي قد اتاك اي خبر
الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين منهم فقال تعالى فرعون يعني وقومه
وثمود وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة بل الذين كفروا يعني من قومك
يا محمد في تكذيب يعني لك وللقران كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا
بمن اهلكنا منهم والله من ورائهم محيط اي عالم بهم لا يخفى عليه شيء من اعمالهم
يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن قبلهم بل هو قران مجيد اي كريم شريف كثير الخير
والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة في لوح محفوظ قرئ بالرفع على انه
نعت للقران محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت
اللوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنتسخ الكتب وسمي محفوظا
لانه حفظه من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن
بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طو
له ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ود
فتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه مسطور معقود بالعرش واصله في حجر ملك
والله اعلم

وهي سبعة عشر آية وإحدى وستون كلمة ومائتان وتسع وثلاثون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والسماء والطارق وقيل نزلت في أبي طالب وذلك
أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأ
ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم
رمي به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب أبو طالب فأنزل الله تعالى والسماء والطارق يعني
النجم يضرب بالليل وكل ما أتيك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار ويسمى النجم
طارقا لأنه يطلع بالليل قالت هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق تريد أن أبانا نجم في
علوه وشرفه وما أدراك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى
بينه له بقوله النجم الثاقب أي المضيء المنير وقيل هو المرتفع العالي وقيل هو الذي
يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذ والنجم الثاقب قيل هو الثريا لأن العرب تسميها
النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان
لأنه يثقبه فينفذه وهذا قسم أقسم الله به وقيل تقديره ورب هذه الأشياء وجواب
القسم قوله تعالى إن كل نفس لما عليها حافظ يعني أن كل نفس عليها حافظ من ربها
يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير وشر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة
وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير
ثم يخلى عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب إلا ما قدر لها قوله تعالى فلينظر الإنسان
يعني نظر تفكر واعتبار مم خلق أي من أي شيء خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى خلق
من ماء دافق أي مدفوق مصبوب في الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق
منهما وإنما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعني ذلك الماء وهو المني من بين الصلب والترائب
يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة
من الصدر وعنه أنه بين ثدي المرأة قيل إن المني يخرج من جميع أعضاء الإنسان وأكثر
ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة
وهي الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر إنه على رجعه لقادر يعني
إن الله تعالى قادر أن يرجع النطفة في الإحليل وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل
قادر على رد الإنسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب
ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة وقيل إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج قادر وقيل معناه
إن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء قادر على إعادته حيا بعد موته وهو أهون عليه وهذا
القول هو الأصح والأولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده يوم تبلى السرائر وذلك هو يوم القيامة
وقيل معناه تظهر الخبايا وهي تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الأعمال كالصوم
والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل ولو
أن العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى
يظهر من أداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا
في وجوه وشينا في وجوه يعني من أداها كان وجهه مشرقا مستبشرا

يوم القيامة

يوم القيامة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر فما له أي للإنسان
المنكر للبعث من قوة أي يمتنع من عذاب الله ولا ناصر أي ينصره من الله ثم ذكر قسما آ
خر فقال تعالى والسماء ذات الرجع أي ذات المطر سمي به لأنه يجيء ويرجع ويتكرر
والأرض ذات الصدع أي تتصدع وتنشق عن النبات والشجر وجواب القسم قوله تعالى
إنه يعني القرآن لقول فصل أي لحق وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل
أي باللعب والباطل إنهم يعني مشركي مكة يكيدون كيدا يعني يمكرون في
المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه وأكيد كيدا
يعني أجازيهم على كيدهم بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون فأنتقم منهم في الدنيا بالسيف
وفي الآخرة بالنار فمهل الكافرين أي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد
لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بإمهالهم بين أن ذلك الإمهال قليل فقال أمهلهم رويدا
يعني قليلا فأخذهم يوم بدر ونسخ الإمهال بآية السيف والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الأعلى مكية

وهي تسع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة ومائتان وإحدى وتسعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح اسم ربك الأعلى أي قل سبحان ربي الأعلى وهو قول جماعة
من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم
ربك فقال سبحان ربي الأعلى ذكره البغوي بإسناد الثعلبي وقال معناه نزه ربك الأعلى
عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الأعلى
بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس أي صل بأمر ربك الأعلى عن عقبة
ابن عامر لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم
ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم أخرجه أبو داود قوله
الذي خلق فسوى أي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل الإنسان
مستويا معتدل القامة والذي قدر فهدى قيل قدر الأرزاق وهدى لاكتسابها و
قيل قدر لكل شيء شكله فهدى أي عرف كيف يأتي الذكر الأنثى وقيل قدر مدة
الجنين في الرحم وهداه إلى الخروج منه وقيل قدر السعادة والشقاوة والأقوات ثم
هدى كل فريق من الخلق يعني سلوك سبيل ما قدر له عليه وقيل قدر الخير والشر وهدى
إليهما وقيل قدر أي أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه وهدى الأنعام وسائر الحيوان إلى مراعيها
وهو قوله تعالى والذي أخرج المرعى أي أنبت العشب وما ترعاه الأنعام من أخضر وأصفر وأحمر
وأبيض وغير ذلك فجعله يعني المرعى بعد الخضرة غثاء أي هشيما يابسا كالغثاء
الذي تراه فوق السيل أحوى أي أسود بعد الخضرة وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس اسود قوله
عز وجل سنقرئك أي نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك فلا تنسى يعني ما تقرأه وذلك
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل جبريل بالوحي لم يبلغ آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد
ذلك إلا ما شاء الله يعني أن ينساه وما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور
وقيل إلا ما شاء الله أن ينسيه ثم تذكره بعد ذلك كما جاء من حديث عائشة قالت سمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة الليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا
كنت نسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا
أخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسى شيئا إنه يعلم الجهر
يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى أنه تعالى يعلم السر والعلانية ونيسر
ك لليسرى أي نهون عليك أن تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك
للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحاء وقيل هو متصل بالكلام الأول والمعنى أنه يعلم
الجهر مما تقرأه على جبريل إذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرأه في نفسك مخافة النسيان
ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه فذ
كر أي فعظ بالقرآن إن نفعت الذكرى أي نفعت الموعظة والتذكير والمعنى عظ أنت
وذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع إنما عليك البلاغ سيذكر من يخشى أي سيتعظ من
يخشى الله تعالى ويتجنبها الذكرى ويتباعد عنها الأشقى أي في علم الله تعالى الذي يصلى النا
ر الكبرى أي النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة والنار الصغرى
هي نار الدنيا ثم لا يموت فيها ولا يحيى أي في النار فيستريح فيها ولا يحيى أي حياة طيبة
تنفعه قوله عز وجل قد أفلح من تزكى أي تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله قاله ابن
عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روي عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه في قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى
قال خرج إلى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم قرأ
هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع أخرجت
الصدقة فإن قلت نعم مضى إلى المصلى وإن قلت لا قال الآن فأخرج فإنما هذه الآية في هذا
قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فإن قلت ما وجه هذا التأويل وهذه السورة
مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم
كما قال وأنت حل بهذا البلد وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا أنزل بمكة سيهزم الجمع
ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما
كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر و
جهه أنه كان في علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فأخبر عنه وذكر اسم ربه فصلى أي
ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة
صلاة العيد قوله عز وجل بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى يعني أن الدنيا فا
نية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وأنتم تؤثرون الفانية على الباقية قال عرفجة الأشجعي
كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة
قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها
وإن الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل إنما
أريد به الكفار والمعنى أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة وإن أريد
به المسلمون فالمعنى أنهم يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة وهو
خير وأبقى إن هذا لفي الصحف يعني من قوله قد أفلح من تزكى إلى هنا وهو أربع آيات لفي الصحف

أي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى
والمصلي وإيثار الدنيا وأن الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال صحف إبراهيم ومو
سى يعني أن هذا القدر المذكور في صحف إبراهيم وموسى وقيل إنه مذكور في صحف
جميع الأنبياء التي منها صحف إبراهيم وموسى لأن هذا القدر المذكور في هذه الآ
ية لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه عن أبي ذر الغفاري رضي الله
عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للمسجد تحية قلت
وما تحيته قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله شيئا مما
كان في صحف إبراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم
ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم
وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن
أيقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبت لمن رأى الدن
يا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت
لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين في كتابه وابن الأثير في كتابه
جامع الأصول ولم يعلم عليه بشيء عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعة
ركعة أخرجه الترمذي والنسائي عن عبد العزيز بن جريج قال سألت عائشة
بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الأولى بسبح اسم
ربك الأعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وبقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه
أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله أعلم بمراده

تفسير الغاشية سورة مكية

وهي ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلاثمائة وإحدى وثمانون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل أتاك أي قد أتاك يا محمد حديث
الغاشية يعني القيامة سميت غاشية لأنها تغشى كل شيء بأهوالها
وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار وجوه يومئذ
يعني يوم القيامة خاشعة يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء
عن الكل لأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان فعبر به عنه عاملة ناصبة قال ابن عباس
يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبادة الأوثان وكفار أهل
الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة يدخلون
النار يوم القيامة ومعنى النصب الدأب في العمل بالتعب وعن عائشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي
رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما الرواية الأولى فإنها تختص بمن أحدث
في دين الإسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو رد مردود عليه لا يقبل منه وأما الرواية
الثانية فإنها تشتمل على كل عامل في دين الإسلام أو غيره من الإسلام فإنه مردود عليه

اي الم يكن قد سبق لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في الآية عاملة في الدنيا
بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لانها لم تعمل في الد
نيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن ابن عباس قال
ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار
وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار هو قوله تعالى تصلى نارا حامية قال ابن عباس
قد حميت وهي تتلظى على اعداء الله تعالى تسقى من عين آنية اي متناهية في
الحرارة قد اوقدت عليها جهنم منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال
الدنيا لذابت فيدفعون اليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم
فقال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قيل نبت ذو شوك لاطئ بالارض
تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه
وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما يقال انه سم لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك
اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه
الضريع شيء في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من
النار قال ابو الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه
من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي
غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص
في الدنيا بالماء فيستغيثون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين
آنية شربة لا هنية ولا مرية فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجو
ههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما
فقطع امعاءهم قال المفسرون لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا
لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تاكله فا
نزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله في هذه الآية لا طعام لهم
الا من ضريع وذكر في موضع آخر ولا طعام الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت
ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير
ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه غسلين ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى
وجوه يومئذ ناعمة اي متنعمة ذات نضرة وحسن بهجة في نعمة وكرامة
لسعيها راضية اي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حين اعطيت الجنة بعملها
في جنة عالية قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك
لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض لا تسمع فيها
لاغية اي لغوا ولا باطلا فيها عين جارية على وجه الارض في غير اخدود وقيل
تجري حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم فيها سرر مرفوعة قال ابن عباس الوا
حها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها اليها فاذا اراد
اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى موضعها واكو

اي يعني الكيزان

١٨٣

يعني الكيزان التي لا عرى لها موضوعة يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة
على حافة العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوءة ونمارق
مصفوفة يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها الى جنب بعض اينما اراد ان يجلس
ولي الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى وزرابي يعني البسط العريضة قال ابن
عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية مبثوثة اي مبسوطة
وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت قا
ل اهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذ
لك اهل الكفر وكذبوا فذكرهم الله صنعته فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
وانما بدا بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى
ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت
علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل
لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم وقال
الكلبي انها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى سرر
الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن
عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيدة العهد
به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل من اعظم
مال العرب وانفسها تاكل النوى وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها
تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها
فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات باشياء وذلك
ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة او للركوب او للحمل او للبن او للحم
ولا يوجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب ويقطع عليها المفاوز
البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير وياكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش
عدة ايام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوان
ومنها انها ترعى كل نبات في البراري مما لا ترعاه غيرها من الحيوان وهي تسير في البر بحملها
الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة
حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف يحسن ذكر الابل مع السماء والارض
والجبال ولا مناسبة بينها ولم بدا بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما
كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه الخالق لهذه الاشياء جميعها
وكانت الابل من اعظم شيء عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويعرفونها
ظعنا واقامة ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ونبههم بها ولانها
من اعجب الحيوانات عندهم والى السماء كيف رفعت يعني فوق الارض بغير عمد
لا ينالها شيء والى الجبال كيف نصبت على الارض نصبا ثابتا راسخا لا تزول والى الارض
كيف سطحت اي بسطت ومهدت فتحيت فيستقر على ظهرها كل شيء قال ابن

بزعمك من المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع أو ينصب مثل الجبال أو
يسطح مثل الأرض غير الله القادر على كل شيء. ولما ذكر الله تعالى هذه الدلائل على التوحيد
ولم يعتبروا ولم يتفكروا أعرض عنهم فخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فذكر إنما
أنت مذكر أي عظهم إنما أنت واعظ لست عليهم بمصيطر أي بمسلط فتقتلهم
وتكرههم على الإيمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال إلا من تولى
وكفر استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير فيعذبه
الله العذاب الأكبر وهو أن يدخله النار وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا
في الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والأسر فكانت النار أكبر
من هذا كله إن إلينا إيابهم أي رجوعهم بعد الموت ثم إن علينا حسابهم يعني جزاءهم
أو هم بعد الرجوع على الله تعالى والله أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير
سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة
وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والفجر
أقسم الله بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي أنها
دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية أنها
تبعث على الشكر واختلفوا في معنى هذه الكلمات فروي عن ابن عباس أنه قال الفجر
هو انفجار الصبح في كل يوم أقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور
الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوان في طلب الأرزاق وذلك يشبه نشر الموتى
من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا أنها صلاة الفجر والمعنى أنه أقسم بصلاة
الفجر لأنها مفتتح النهار ولأنها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار
وقيل إنه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول يوم من المحرم لأن منه تنفجر السنة
وقيل هو فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لأن فيه
كثير مناسك الحج وفيه القربان وليال عشر قيل إنما نكرها لما فيها من الفضل والشرف
في الدين لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس أنها العشر الأول من ذي الحجة لأنها أيام الاشتغال
بأعمال الحج وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر وذكر الحديث
وروي عن ابن عباس أيضا أنها العشر الأواخر من رمضان لأن فيها ليلة القدر ولأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأخير من رمضان شد المئزر وأيقظ أهله
يعني للعبادة وقيل هي العشر الأول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولأن فيه يوم عا
شوراء والشفع والوتر الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن أبي سعيد
الخدري وقيل الشفع الخلق كله كالإيمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة
والشقاوة والليل والنهار والأرض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة
والجن والإنس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله منه شفع ومنه وتر وقيل هما
الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هي الصلوات بعضها شفع وبعضها وتر أخر
جه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلا
ة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الأول والوتر النفر الأخير وروي أن رجلا
سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل
في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالي العشر
الثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم
القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لأنها ثمان والوتر دركات النار لأنها سبع
فكأنه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز
والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى
والموت والحياة والوتر صفة الله التي انفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف
وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت والليل إذا يسر أي إذا سار وذهب وقيل
إذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار
فيها من عرفات إلى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه هل في ذلك
أي فيما ذكرت قسم مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد
لذي حجر أي لذي عقل سمي به لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغي ولا يجمل
كما سمي عقلا لأنه يعقل صاحبه عن القبائح وسمي نهى لأنه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي
وأصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر إلا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه
حجر على نفسه ومنعها مما تريد والمعنى أن من كان ذا لب وعقل علم أن ما أقسم الله
به عز وجل من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل قاطعة على توحيده وربوبيته فهو
حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى إن ربك لبالمرصاد
واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب
القسم محذوف وتقديره ورب هذه الأشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله ألم
تر كيف فعل ربك بعاد إلى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله تعالى ألم تر أي ألم
تعلم وإنما أطلق لفظ الرؤية على العلم لأن أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة
عندهم وقوله ألم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد كيف فعل ربك
بعاد إرم ذات العماد يعني أن المقصود من ذلك تخويف أهل مكة وكيف أهلكهم
وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء فأما عاد فهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح
ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وأنه أهلك عادا الأولى وإرم هو جد عاد
على ما ذكر في نسبه عاد وقيل إن المتقدمين من قوم عاد يسمون إرم باسم جدهم وقيل
إرم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة وإرم اسم موضع بال
يمن وكان عاد أباهم فنسبوا إليه وهو إرم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبي
إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة وكانوا يقال عاد
إرم وثمود إرم فلما هلك عاد وثمود وبقي أهل السواد والجزيرة وقال سعيد بن المسيب
إرم ذات العماد دمشق وقيل الإسكندرية وفيه ضعف لأن منازل عاد كانت من عمان

الى حضرموت وهو بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وما
شية سايرة في الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وز
روع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى التي لم يخلق مثلها في البلاد وسموا ذات
العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عن ابن عبا
س وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني لطولهم مثل العماد في التشبيه قال مقاتل
كان طول احدهم اثنا عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل
تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد
لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناه قيل كان لعاد ابنان شداد وشديد
فملكا وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الد
نيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب فسمع بذكر الجنة وصفاتها
فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا عمرو وهب بن منبه عن عبد الله بن قلا
بة انه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو يجيش في صحاري عدن وقع على مدينة
في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها
احدا يسأله عن ابله فلم ير داخلا ولا خارجا فنزل عن دابته وعقلها وجرد سيفه ود
خل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما
راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها
قصور في كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا
ابواب تلك القصور مثل مصاريع ابواب تلك المدينة يقابل بعضها بعضا وهي
مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله
ذلك ثم نظر في الازقة فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار
مطردة تجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه
من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث
بما راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فساله عن ذلك فقص عليه ما راى فارسل
معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة
قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما اراد
شداد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمد
وه بما في بلادهم من الجواهر فخرج القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا موافقة فو
قعوا على صحراء نقية من التلال فاذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التي امر ا
لملك ان نبني فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليماني واقاموا في بنائها ثلاثما
ية سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فا
جعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون في كل
قصر وزير من وزرائي فعملوا وامر الملك وزراءه وهم الف وزير ان يتهيؤوا للنقلة الى ارم
ذات العماد وكان الملك واهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا منها
على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا

لم يبق

منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير
على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال
هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل وثمود ويقال بثمود مثل ما يقال بعاد الذين جابوا الصخر
اي قطعوا الصخر بالواد يعني بوادي القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذوا
منه منازل في الجبال وبيوتا وفرعون ذي الاوتاد سمي بذلك لكثرة جنوده وعتوه ومضاربهم
وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذو الملك كما قيل في ظل ملك
راسخ الاوتاد وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد [illegible] واسند
الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت امراة وهي امراة خازنه
حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امراته ماشطة بنت فرعون فبينما
هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من
كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله
السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها وهي تبكي فقال
ما يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات
والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال
لها ويحك اكفري بالهك واقري باني الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة او
تاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا ا
لعذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكانت لها ابنتان
فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك
وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على فيّ ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها
فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المراة فاطلق الله لسان ابنتها
فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا في المهد اطفالا صغارا وقالت يا اماه لا تجزعي فان
الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تمضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم
تلبث الا ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا
عليه فقيل لفرعون انه قد رئي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا
اليه وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحوش خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل
اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر علي فاي رجل كتم هذا فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره
في الاخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر
فرعون بالقصة على رؤوس الاشهاد فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا
به فقال احق ما يقول هذا قال ما رايت مما قال شيئا فاعطاه فرعون فاجزل واما الاخر فقتله
ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها اسية
بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان اصبر على
ما ياتي فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل
عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثه عمدت الى الماشطة
فقتلتها قال فلعله بك الجنون الذي كان بها فقالت ما بي من جنون وان الهي والهك

[illegible] الى النار

والمهلك الله السموات والارض واحد لا شريك له فبنى عليها وضربها وارسل الى ابويها

فدعاهما وقال لها ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها فقالت اعوذ بالله من ذلك انا

اشهد ان ربي وربك ورب السماوات والارض واحد لا شريك له فقال لها ابوها يا اسية

السنا من خير نساء العالمين وزوجك اله العالمين فقالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما

يقول حقا فقولا له ان يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب

خلفه فقال لهما فرعون اخرجاها عني ثم مد لها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله

لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا

في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة **قوله عز وجل الذين**

طغوا في البلاد يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك

الطغيان بقوله **فاكثروا فيها الفساد** يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول

جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام الاثم **فصب عليهم ربك**

سوط عذاب يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا

من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشي

بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك

لكل نوع منه وقيل هو جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرا هذه

الاية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها **ان ربك لبالمرصاد** قال

ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد وقيل مرجع العباد

لان المرصد والمرصاد الطريق وقيل يرجع الخلق الى حكمه وامره واليه مصيرهم وقيل

انه يرصد اعمال بني ادم والمعنى انه لا يفوته شي من اعمال العباد كما لا يفوت من

بالمرصاد وقيل ارصد النار على طريقهم حتى يهلكهم **قوله عز وجل فاما الانسان اذا**

ما ابتلاه اي امتحنه **ربه** بالنعمة **فاكرمه** اي بالمال **ونعمه** اي بما وسع عليه **فيقول**

ربي اكرمن اي بما اعطاني من المال والنعمة **واما اذا ما ابتلاه** يعني بالفقر **فقدر** اي

ضيق وقيل قتر **عليه رزقه** اي وقد اعطاه ما يكفيه **فيقول ربي اهانن** اي اذلني بالفقر

وقيل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر وقيل المراد واحد بعينه بل المراد جنس

الكافر وهو الذي تكون الكرامة عنده والهوان بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته

فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى **كلا** اي ليس الامر

كذلك لم ابتليه بالغنى لكرامته ولم ابتليه بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لا

يدوران على كثرة المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته

فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المومن لا لاهانته لكن الامر اقتضته حكمة

الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف

المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويقتر عليه ليختبره ايصبر ام يجزع ويقلق **بل لا تكرمون**

اليتيم اي لا يعطونه حقه الثابت من الميراث **ولا تحضون على طعام المسكين** اي لا يطعمون مسكينا

ولا يامرون باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه لا يحض بعضكم بعضا على ذلك **وتاكلون التراث**

اي الميراث **اكلا لما** اي شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في

الجاهلية

كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان فيأكلون نصيبهم وقيل الاكل

اللم الذي ياكل كل شي يجد لا يميز احلال هو ام حرام وياكل الذي له ولغيره **وتحبون المال**

حبا جما اي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبونه **كلا** اي ما ينبغي ان يكون

الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم

وغيره من المسكين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم

فقال تعالى **اذا دكت الارض دكا دكا** اي دكت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شي

عليها من جبل وبناء وغيره حتى لم يبق على ظهرها شي **وجاء ربك** اعلم ان هذه الاية

من ايات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا

فيها وامروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان

بها واجراؤها على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وعامة المتكلمين وقالوا ثبت

بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الاية فقيل في تاويلها وجاء امر

ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل وجاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دليل ايات ربك

فجعل مجيئها تفخيما لتلك الايات **والملك صفا صفا** اي تنزل ملائكة كل سماء صفا

صفا حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف **وجيء**

يومئذ بجهنم يعني يوم القيامة **بجهنم** قال ابن مسعود في هذه الاية تقاد جهنم بسبعين

الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش

يومئذ يعني يوم يجاء بجهنم **يتذكر الانسان** اي يتعظ الكافر ويتوب **وانى له الذكرى**

يعني كيف له التوبة ومن اين له التوبة **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** اي قدمت الخير والعمل

الصالح لحياتي في الاخرة التي لا موت فيها **فيومئذ لا يعذب عذابه احد** اي لا يعذب

في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ **ولا يوثق وثاقه احد** يعني لا يبلغ احد من

الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل والاغلال وقرئ لا يعذب

ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق

وثاقه احد وهو امية بن خلف لشدة كفره وعتوه **قوله عز وجل يا ايتها النفس**

المطمئنة اي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله الموقنة التي

قد ايقنت بان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المومنة

الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله وقيل هي الامنة من عذاب الله وقيل هي

المطمئنة بذكر الله قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد

وقيل في خبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بير رومة وسبلها

وقيل في ابي بكر الصديق والاصح ان الاية عامة في كل نفس مومنة مطمئنة لان هذه

السورة مكية **ارجعي الى ربك** اليها وعد ربك من الخير والثواب قيل يقال لها

ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر واذا توفي العبد المومن ارسل

الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي ايتها النفس

المطمئنة اخرجي الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجد

احيا انفسهم والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة و
نسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمان
جل جلاله فتسجد له ثم يقال للملائكة اذهبوا بهذه النفس فاجعلوها مع انفس
المومنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله
وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن
جعل له نورا مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس فلا يوقظه الا احب اهله اليه
واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد انتن من كل نتن
واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم
وعذاب اليم ورب عليك غضبان قوله ارجعي الى ربك اي الى صاحبك وهو الجسد وانما
يقال لها عند البعث فيأمر الله تعالى الارواح ان ترجع الى الاجساد وهو قول عكرمة
وعطا والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته راضية عن
الله بما اعطاك مرضية اي رضي عنها ربها وقيل يقال لها في الدنيا ارجعي
الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي
وقيل معنى في عبادي اي في جملة عبادي الصالحين المطيعين وادخلي جنتي قال سعيد
ابن جبير مات ابن عباس بالطايف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته فدخل
نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من
تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وا
دخلي جنتي وقال بعض اهل الاشارة في تفسير هذه الآية يا ايتها النفس المطمئنة في
الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع الى الله هو سلوك سبيل الآخرة والله اعلم

بعون الله واسعاده كتابه تفسير سورة البلد مكية

وهي عشرون آية واثنان وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول سورة القيامة
والبلد هو مكة في قول جميع المفسرين وانت حل بهذا البلد اي مقيم به نازل فيه فكا
نه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم يقيم بها وقيل حل اي حلال والمعنى حلت
لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها احل الله
عز وجل يوم الفتح حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن
صبابة وغيرهما فاحل الله دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار ابي سفيان فهو
آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال ان الله حرم مكة
يوم خلق السماوات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من
نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل على عظم
قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحلها له حتى
يقاتل فيها وان يفتحها على يديه فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة ان يفتحها
عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل في معنى قوله وانت

حل بهذا البلد

بهذا البلد فلا يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه ووا
لد وما ولد يعني آدم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبا
لانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب
القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا
وشدائد الآخرة وعن ابن عباس ايضا قال في شدة من حمله وولادته ورضاعه و
فطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وقيل لم يخلق الله خلقا يكا
بد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال في كبد الاستواء والا
ستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شيء من الحيوان
يمشي منكبا وقيل منتصب راسه في بطن امه فاذا اذن الله في خروجه انقلب راسه الى اسفل
وقيل في كبد اي في قوة نزلت في ابي الاشد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا
يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع
من تحت قدميه الا قطعا ويبقى موضع قدميه أيحسب يعني ابا الا
شد بقوته ان لن يقدر عليه احد يعني ابطرته لشدته في نفسه ان لن يقدر عليه الله وقيل
هو الوليد بن المغيرة المخزومي يقول يعني هذا الكافر اهلكت مالا لبدا اي كثيرا
من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني انفقته في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره
احد يعني ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان
كاذبا في قوله انه انفقه ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه ولم يعلم
مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين يعني ان
نعم الله على عباده متظاهرة يقررهم بها كما يشكروه وجاء في الحديث ان الله عز وجل
يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك
بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد ا
عنتك عليه بطبقتين فاطبق وهديناه النجدين قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق
والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين قوله عز وجل فلا اقتحم العقبة معنى
فهلا انفق ماله فيما يجوز من فك الرقاب واطعام السغبان فيكون خيرا من انفاقه
على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر
الشديد وذكر العقبة مثلا ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال البر
فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة
والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين
كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة
شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هي الصراط يضرب
على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا
وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس
في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم

من يمر كالطير ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف
زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقيل في معنى الآية فهلا سلك سبيل النجاة
ثم ما هي فقال تعالى وما أدراك ما العقبة أي وما أعلمك ما اقتحام العقبة فك رقبة يعني عتق
رقبة وهو إيجاب الحرية لها وإبطال الرق والعبودية عنها وذلك بأن يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه
أو يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار وعن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه
عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى النبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطبة
لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا واحدا قال لا أعتق النسمة أن تنفرد
بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فإن لم تطق
ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا
من خير وقيل في معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات و
الطاعات التي يصل بها إلى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار أو إطعام في
يوم ذي مسغبة أي ذي مجاعة والسغبة الجوع يتيما ذا مقربة أي ذا قرابة يريد تطعم
يتيما بينك وبينه قرابة أو مسكينا ذا متربة يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن
عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم بين أن هذه القرب
لا تنفع إلا مع الإيمان بقوله ثم كان من الذين آمنوا والمعنى أنه إن كان مؤمنا نفعته هذه القرب
وكانت له اقتحاما للعقبة وإن لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة وتواصوا بالصبر
يعني أوصى بعضهم بعضا على الصبر على أداء الفرائض وجميع أوامر الله ونواهيه وتواصوا
بالمرحمة أي برحمة الناس وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله أولئك
يعني أهل هذه الخصال أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة
عليهم نار مؤصدة يعني مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله
بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل والشمس وضحاها أي وضوئها والضحى حين تطلع الشمس ويصفو
ضوؤها وقيل الضحى النهار كله لأن الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى
هو حر الشمس لأن حرها ونورها متلازمان فإذا اشتد نورها قوي حرها وهي أضعف الأقوال
والقمر إذا تلاها أي تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر
في الإضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستواء وذلك حين يكمل ضوؤه ويستوي وذلك
في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في أول ليلة من الشهر إذا غابت الشمس
فيرى الهلال مكانه تبعها والنهار إذا جلاها يعني جلا الظلمة بضيائه وكشفها
بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا والليل إذا يغشاها أي يغشى الشمس
حين تغيب فيظلم الآفاق وحاصل هذه الأقسام الأربعة ترجع إلى الشمس في الحقيقة لأن

جودها بكون

بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغيبوبتها يكون الليل ويتبعها القمر والسماء وما
بناها أي ومن بناها وقيل والذي بناها جعل ما هنا كأنه أقسم به وبأعظم مخلوقاته ومعنى
بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر أي والسماء وبنائها والأرض وما طحاها أي بسطها و
سطحها على الماء ونفس وما سواها أي عدل خلقها وصور أعضاءها هذا إن أريد بالنفس
الجسد وإن أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى الكثيرة
كالقوة الناطقة والسمع والبصر والباصرة والفكر والمتخيلة وغير ذلك من العلم والفهم و
قيل إنما ذكرها منكرا لأنه أراد النفس البشرية المكلفة التي يصدر عنها ما خلق لها وهي نفس
جميع من خلق من الإنس والجن فألهمها فجورها وتقواها قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه
علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتي وما تتقي وقيل ألزمها فجورها وتقواها وقيل
جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور وذلك لأن الله تعالى خلق
في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الأسود الدؤلي قال قال لي عمران بن حصين أرأيت ما
يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما
يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء
قضي عليهم ومضى عليهم قال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت
كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله إني لم أرد بما
سألتك إلا لأحزر عقلك أن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول
الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد
سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم
فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما
سواها فألهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال
يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به
المقادير أم فيما نستقبل قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل
قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام أقسم الله بالشمس وضحاها وما بعدها
لشرفها ومصالح العمل بها وقيل فيه إضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها وأورد
على هذا القول أنه قد دخل في جملة هذا القسم والسماء وما بناها وذلك هو الله
تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا محال لا يجوز وأجيب بأن ما
إن فسرت بالمصدرية فلا إشكال فيه وإن فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء
الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى قد أفلح المعنى لقد أفلح من زكاها أي فازت وسعدت
نفس زكاها الله أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة وقد خاب من
دساها أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأهلكها وأصله من دس الشيء إذا
أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى قد أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهرها وزكاها وخيبة
من خذله وأضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير
قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي
تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم
لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل كذبت ثمود وهم قوم
صالح عليه السلام بطغواها أي بطغيانها وعدوانها والمعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب
به حتى كذبوا إذ انبعث أشقاها أي قام وأسرع وذلك أنهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا
صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وقد كان رجلا أشقر أزرق قصيرا فقام بعقر
الناقة وعن عبد الله بن زمعة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر النا
قة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انبعث أشقاها انبعث لها
رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة أخرجه البخاري قوله عارم شديد ممتنع قوله
عز وجل فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه السلام ناقة الله أي احذروا ناقة الله وإنما
قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالى تشريفا كبيت
الله وسقياها أي وشربها أي ذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها فكذبوه يعني صا
لحا فعقروها يعني الناقة فدمدم عليهم ربهم أي فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة
هلاك استئصال وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم أحد بذنبهم
أي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم الناقة
فسواها أي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الأمة
وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ولا يخاف عقباها أي لا يخاف
الله تبعة من أحد في إهلاكهم قاله ابن عباس وقيل هو راجع إلى العاقر والمعنى لا يخاف
العاقر عقبى ما صنع عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع إلى صالح عليه السلام والمعنى لا يخاف
صالح عاقبة ما نزل بهم من العذاب أن يؤخذ به أحد بسببه ذلك والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آية وإحدى وسبعون كلمة وثلا
ثمائة وعشرة أحرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والليل إذا يغشى أي يغشى النهار
بظلمته فيذهب بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لأنه سكن لكافة الخلق يأوي فيه كل حيوان
إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله والنهار إذا تجلى يعني بان و
ظهر بعد الظلمة لأن فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق الذكر والأنثى أي ومن خلق فعلى
هذا يكون القسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والأنثى
من ماء واحد وأريد به جنس الذكر والأنثى وقيل هما آدم وحواء وإنما أقسم بهما لأنه
تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى إن سعيكم
لشتى أي إن أعمالكم مختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها وروى أبو مالك
الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها
أو موبقها قوله موبقها أي مهلكها قوله تعالى فأما من أعطى أي أنفق ماله في سبيل الله عز
وجل واتقى أي ربه وفيه إشارة إلى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال ابن عباس صدق
بلا إله إلا الله وعنه صدق بالخلف أي أيقن أن الله سيخلف عليه ما أنفقه في طاعته وقيل صدق

بالجنة

بالجنة وقيل صدق بوعد الله عز وجل الذي وعده أن يثيبه فسنيسره أي فسنهيئه في
الدنيا لليسرى أي للخلة والفعلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل وأما من بخل أي بالنفقة
في الخير والطاعة واستغنى أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه وكذب بالحسنى أي بلا إله إلا الله أو كذب بما
وعد الله من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى أي فسنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل
بما لا يرضي الله تعالى فيستوجب به النار وقيل نعسر عليه أن يأتي خيرا وفي الآيتين دليل لأهل السنة
وصحة قولهم في القدر وأن التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى وموجبا
لعمل بما سبق له في الأزل وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد
فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصر
ته ثم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم إلا وقد
كتبت شقية أو سعيدة فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر
لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة
فسييسر لعمل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما
من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم السوط والعصى
ونحو ذلك مما يمسكه الإنسان بيده والنكث بالثاء المثلثة ضرب وضربه الأرض بذلك أو
غير ذلك مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك
أنه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه فأنزل الله فيه والليل إذا يغشى
إلى قوله إن سعيكم لشتى يعني سعي أبي بكر وأمية بن خلف وقيل كان لرجل من الأنصار نخلة وفر
عها في دار رجل فقير ذي عيال فكان صاحب النخلة إذا صعد نخلته ليأخذ منها الثمر فربما سقطت
الثمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم وإن و
جدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير إلى النبي صلى الله عليه و
سلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك
بها نخلة في الجنة فقال الرجل إن لي نخلا وما فيها أعجب إلي منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحدا
ح رجل من الأنصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعنيها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هي لك
فأتى أبو الدحداح إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة فقال نعم
فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الأنصاري صاحب النخلة فقال خذها
لك ولعيالك فأنزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لأن هذه السورة مكية وهذه
القصة كانت بالمدينة فإن كانت هذه القصة صحيحة فيكون هذه السورة قد نزلت بمكة
وظهر حكمها بالمدينة والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأمية بن خلف لأن سياق الآية
يقتضي ذلك قوله عز وجل وما يغني عنه ماله أي الذي بخل به إذا تردى أي إذا مات وقيل إذا هوى في
جهنم إن علينا للهدى أي علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسن
من اليسرى وما للمسيء من العسرى أخبرهم أن بيده الإرشاد والهداية وعليه تبيين طريقهما
وقيل معناه إن علينا للهدى والإضلال فاكتفى بذكر أحدهما والمعنى أرشد أوليائي إلى العمل بطا
عتي وأصرف أعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله
وإن لنا للآخرة والأولى أي لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق

فأنذرتكم أي يا أهل مكة نارا تلظى أي تتوقد وتتوهج لا يصلاها إلا الأشقى يعني الشقي الذي كذب يعني
الرسول وتولى عن الإيمان وسيجنبها الأتقى يعني التقي الذي يؤتي أي يعطي ماله يتزكى أي يطلب أن
يكون عند الله زاكيا لا يطلب بما أنفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين
بن قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة ويعتقهم فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك
فقال منع ظهري أريد فأنزل الله فيه وسيجنبها الأتقى إلى آخر السورة وذكر محمد بن إسحاق قال كان بلال
لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية
بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة
فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك
أحد أحد قال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به
ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جمح فقال لأمية ألا تتقي الله في هذا المسكين قال أنت أفسدته
فأنقذه فأعطاه أبو بكر غلاما له علامة وأخذ بلالا فأعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على
الإسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة
شهيدا وأم عميس وزنيرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش ما أذهب
بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت لا يضر اللات والعزى ولا ينفعان فرد الله
عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما أبو
بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو
بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال أبو بكر قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها فقال عمار بن
ياسر يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء وإعتاق أبي بكر إياهم وكان اسم أبي بكر عتيق
فقال في ذلك جزى الله خيرا عن بلال وصحبه ✤ عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل ✤ عشية هما
في بلال بسوءة ✤ ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو عقل ✤ بتوحيده رب الأنام وقوله ✤ شهدت
بأن الله ربي على مهل ✤ فإن تقتلوني تقتلوني ولم أكن ✤ لأشرك بالرحمن من خيفة القتل ✤ فيا
رب إبراهيم والعبد يونس ✤ وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل ✤ لمن ظل يهوى الغي من آل غالب ✤
على غير حق كان منه ولا عدل ✤ وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في
بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة
آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله
له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه
به فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله عز وجل
وما لأحد عنده أي عند أبي بكر من نعمة تجزى أي من يد يكافيه عليها إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى يعني لم يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب
رضاه ولسوف يرضى أي بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والنعيم والكرامة جزاء على ما فعل
والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة والضحى مكية

وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل والضحى اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الأول عن جندب بن

سفيان البجلي

بن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت
امرأة فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين
أو ثلاثا فأنزل الله عز وجل والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وأخرج الترمذي في عذر
عن جندب قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فدميت أصبعه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قال فأبطأ عليه جبريل فقال المشركون
قد ودع محمد ربه فأنزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل إن المرأة المذكورة في
الحديث المتفق عليه هي أم جميل امرأة أبي لهب. القول الثاني قال المفسرون سألت
اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين وعن أصحاب الكهف
فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عليه الوحي. القول الثالث قال
زيد بن أسلم كان سبب احتباس الوحي عنه أن جروا كان في بيته فلما نزل عاتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبطائه فقال إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا
في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما
وقيل أربعون يوما قالوا فلما نزل عليه جبريل عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم
يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إني كنت إليك أشد شوقا ولكني
عبد مأمور وقال وما نتنزل إلا بأمر ربك وأنزل الله تعالى هذه الآية في قوله عز وجل والضحى
الضحى قيل أراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل في قوله والليل إذا سجى وقيل يعني
وقت الضحى وهو الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف
والشتاء والليل إذا سجى قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه إذا ذهب وقيل معناه أظلم كل شيء
بظلامه وقيل معناه سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا القسم أقسم الله
تعالى بالضحى والليل إذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك
ربك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك وإنما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس
الآي وقيل معناه ما قلى أحدا من أصحابك ومن هو على دينك إلى يوم القيامة وللآخرة خير لك
من الأولى أي الذي أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من الذي أعطاك في الدنيا وروى البغوي
بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن عباس هي الشفاعة في أمته حتى يرضى عن عبد الله بن عمرو بن
العاصي رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله
يا جبريل اهبط إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وعن أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله
شيئا عن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف
أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا أخرجه
الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن علي يقول إنكم معشر أهل العراق تقولون أرجى آية
في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وإنا أهل البيت نقول ولسوف يعطيك

فيعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الآية ولسوف
يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وقيل حمل الآية على ظاهرها خير من الدنيا والآخرة معا أولى وذلك
أن الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على أعدائه وكثرة الأتباع والفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة
وأعلى دينه وأن أمته خير الأمم وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود
وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة ثم أخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذكره نعمه عليه
وإحسانه إليه فقال عز وجل ألم يجدك يتيما صغيرا فآوى أي ألم يجدك الله يتيما من الوجود
الذي هو صفو العيش والمعنى ألم يجدك يتيما صغيرا حين مات أبوك ولم يخلف لك مالا ولا مأوى
تأوي إليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤونة وذلك أن عبد
الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حمل أمه فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب
كفله عمه أبو طالب إلى أن قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى
ألم يجدك وحيدا في قريش عديم النظير فآواك إليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته
ووجدك ضالا أي عما أنت عليه اليوم فهدى أي فهداك إلى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا
لا تعرف معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها وقال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب
وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة
فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل
عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة ورده إلى القافلة فمن الله تعالى
عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل وجدك
بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى إرشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة
وذلك لأنه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه حتى هداه الله وقيل
التحير ووجدك متحيرا في بيان ما نزل فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الآية ولا ينبغي
لأحد أن يقول إنه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله إلى الإسلام لأن نبينا صلى
الله عليه وسلم وكذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشأوا على التوحيد والإيمان قبل النبوة وبعدها
وإنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله وتوحيده ويدل على ذلك أن قريشا عابوا
النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فإنهم لا يجدون عليه سبيلا
إذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ويؤكد
هذا ما روي في قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك
حين سافر معه عمه أبو طالب إلى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي فاختبره بذلك
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما ويؤيد هذا
أيضا شرح صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقال جبريل هذا حظ الشيطان
منك ملأه حكمة وإيمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشري ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة
فإن أراد أنه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دينهم فمعاذ الله والأنبياء
يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل
بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء والدليل قوله عز وجل ووجدك عائلا فأغنى يعني فقيرا

فأغناك بمال خديجة

بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى وعن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض
بفتح العين والراء المال م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوي بإسناد الثعلبي
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عز وجل مسألة وددت
أني لم أكن سألته قلت يا رب إنك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وكذا قال
يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال
ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى يا رب زاد في رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك
قلت بلى يا رب فإن قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بإنعامه على عبده والمن مذموم في صفة
المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت إنما حسن ذلك لأن الله تعالى منعم والمخلوق هو المذموم
لأن امتنان الله تعالى زيادة إنعام كأنه قال ما لك تقطع رجاءك عني ألست ربيتك وآويتك
وأنت يتيم صغير أتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لا بد أن أتم نعمتي عليك فهذا هو الفرق
بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال تعالى فأما اليتيم فلا
تقهر أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب
في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بإسناده عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحب بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر
بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بإصبعيه
خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة
والوسطى وفرج بينهما وأما السائل فلا تنهر يعني السائل على الباب يقول لا تزجره إذا سألك
فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا برفق ولا تكره بوجه عبوس وجهه قال إبراهيم
بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل بريد الآخرة يجيء إلى باب أحد
كم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم فيجب إكرامه وإسعافه
بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقاه بمكروه وأما بنعمة ربك فحدث قيل أراد بالنعمة النبوة
أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن أمره أن يقرأه ويقرئه
غيره وقيل اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والإغناء
بعد العيلة والفقر أمره أن يشكر على إنعامه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطي عطاء فليجز به إن وجد فإن لم يجد فليثن عليه
فإن من أثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعطه كان كلابس ثوبي زور أخرجه
الترمذي وله عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى
البغوي بإسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر
من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر و
تركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة
الضحى إلى آخر القرآن يكبر عند خاتمة كل سورة يعني يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك أن الوحي لما احتبس عن رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي قال المشركون قد هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك استفهام بمعنى التقرير اي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصد عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان بالنبوة والعلم والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره م عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط في صدره ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب امتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهرك من اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الحمل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمي العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله وعصى ادم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الذي انقض ظهرك اي اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل والرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حملها على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لا ان حسنات الابرار سيئات المقربين ورفعنا لك ذكرك روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت اغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد وضم الاله اسم النبي مع اسمه اذا قال في الخمس المؤذن اشهد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزمهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه فقيل محمد رسول الله ونبي الله وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله ونحو ذلك مما جاء في القران وغيره من كتب الانبياء ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة والعسر

والعسر وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به ان مع العسر يسرا انما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وكرره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول فاذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الاية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة فكانا يسرين فكانه قال ان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا اخر وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسر واحد ويسران وهذا القول مدخول اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله عليه نعمه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي لا يحزنك الذي يقولون فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع ذات يده حتى كان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا اخر من امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمؤمنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع له يسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة وهو ما ذكر في الاية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدائم ابدا غير زائل اي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما بالبادية في حالة من الغم فالقي في روعي بيت من شعر فقلت ارى الموت لمن اصبح مغموما له اروح فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى الا ايها المرء الذي الهم به برح وقد انشد بيتا لم يزل في فكره يسنح اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح فعسر بين يسرين اذا ابصرته فافرح قال فحفظت الابيات وفرج الله عني وقال اسحاق بن بهلول القاضي فلا تيأس اذا اعسرت يوما فقد ايسرت في دهر طويل ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل فان العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل وقال سليمان بن احمد الرجي في المعنى توقع

توقع صنع ربك الخطوب ✦ سرورا فبيت ها عنك فسرا ✦ خبر الله بخلقه ميعاده
وقت ✦ قال الربيع العسر بيسرا ✦ وقال غيره وكل الحوادث اذا تناهت ✦ يكون وروده
فرج قريب ✦ قوله عز وجل فاذا فرغت فانصب لما عدد الله تعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر وعلى الاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان لا يخلي
وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعه باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا
فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسألة وقال
ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب
في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار لك وللمومنين
قال عمر بن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل اخـ
ـرته السبهلل الذي لا شيء معه وقيل السبهلل الباطل والى ربك فارغب اي تضرع اليه
راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى احد سواه
والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة والتين مكية وهي
ثمان ايات واربع وثلاثون كلمة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والتين والزيتون قال ابن عباس هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الز
يت قيل انما خص الله التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء و
يشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث
في المعدة ويخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقل البلغم واما الزيتون فلانه من شجرة
مباركة فيه ادام ودهن يوكل ويستصبح به وشجرته في اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة
وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوفا من السنين
فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لا جرم اقسم الله بهما و
قيل هما جبلان فالتين الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وا
سمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما
مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم
بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء
وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وطور
سينين يعني الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وسينين اسم للمكان الذي
فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه او لكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة
يسمى سينين وسيناء وهذا البلد الامين يعني الامن وهو مكة حرسها الله تعالى الحرم
الذي يامن فيه الناس في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا يلتقط
لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب
القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يعني في اعدل قامة واحسن صو
رة وذلك ان الله تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه بل كل شيء الا الانسان فانه خلقه
مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز و
والمنطق

والمنطق ثم رددناه اسفل سافلين يعني الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه
وينقص عقله والسافلون هم الصغار والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل
من هولاء جميعا فانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وبصره
وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى
فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يردون الى النار
او الى اسفل سافلين وعلى الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه
اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين
امنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة والهرم والضعف
فانه يكتب لهم بعد الهرم والعجز مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة
روي عن ابن عباس قال الا الذين قرءوا القران فانه من قرا القران لم يرد
الى ارذل العمر فلهم اجر غير ممنون يعني غير منقطع لانه يكتب له
بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة فما يكذبك
يعني يا ايها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات بعد بالدين اي بعد هذا
الحجة الا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر
وتقول ان فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بعد
بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها
الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين اليس الله باحكم الحاكمين
فيقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي والله تعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه تفسير سورة اقرا وتسمى سورة العلق
مكية وهي تسع عشرة اية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان
وثمانون حرفا قال اكثر المفسرين هذه السورة اول سورة نزلت من القران
واول ما نزل خمس ايات من اولها الى قوله ما لم يعلم وعن عائشة
ام المومنين انها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرويا الصالحة في النوم وكان لا يرى رويا
الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء
فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود
ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق

وخصه الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قوله وكان يكتب الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم كان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل
بالعربية ما شاء الله ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار
يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شاء منه بالعبرانية ان اراد وبالعربية ان اراد ذلك قوله
هذا الناموس الذي انزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه السلام ومعنى
الناموس صاحب سر الخير وانما سمي جبريل بالناموس لانه المخصوص بالوحي الى الانبياء قوله يا ليتني
فيها جذعا اي في ايام النبوة والظهار الرسالة جذعا اي شابا قويا حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله
وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا اي قويا بالغا قوله ثم لم ينشب ورقة ان توفي اي فلم يلبث
ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى من شواهق الجبال اي الموضع المرتفع وذروة الجبل اعلاه تبدى
له اي ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم
العظيم وقيل الجاش هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل اقرأ باسم ربك قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امره ان
يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك اي قل
باسم الله ثم اقرأ فجعل هذا ابتداء آية دالة على استحباب البداءة بالبسملة في اول القراءة وقيل معناه
اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ما تحمله من النبوة واعباء الرسالة الذي خلق يعني جميع
الخلائق وقيل هو الذي حصل منه الخلق فاستأثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق كل شيء خلق
الانسان يعني ابن آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها
خلقة من علق جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق والمشاكلة
رؤوس الآي اقرأ كرره تأكيدا وقيل الاول اقرأ لنفسك والثاني اقرأ للتبليغ وقيل اقرأ اولا ثم
استأنف فقال وربك الاكرم يعني هو الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد
يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاء الشيء من غير طلب
العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض
والله سبحانه وتعالى يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه الكريم الاكرم وقيل الا
كرم هو الذي له الابتداء في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم على جهل العباد فلا يعجل عليهم
بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف
عشر حسنات الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة التي بها تعرف الامور الغائبة
وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم
ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم ولولا الكتابة ما استقام امر الدين والدنيا
قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسمي قلما
عن الكلام فقال ... يعني قبل العلم فيه فالكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان
عنه علم الانسان ما لم يعلم قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد
من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم آدم
الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل كلا اي حقا ان الانسان
ليطغى ان يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ان رآه استغنى اي ان رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع

وقيل من يمنع عن منزلته الى منزلة اخرى في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان اذا اصا
ب مالا ازداد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ان الى ربك الرجعى اي المرجع في الاخرة
وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو لكل طاغ متكبر ارايت الذي
ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة م عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال ابو جهل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لين رايته
يفعل ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي ليطا على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل
له ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو د
نا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله لا ندري في حديث ابي هريرة او شيء
بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وامره بما امره به زاد في رواية فليدع نا
ديه يعني قومه خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ابو جهل لين رايت محمدا يصلي عند ا
لبيت لاطان على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملائكة زاد
الترمذي عيانا ومعنى ارايت تعجيب للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفايدة التنكير
في قوله عبدا ليدل على انه كامل العبودية والمعنى ارايت الذي ينهى اشد الخلق عبودية في العب
ادة وهذا دابه وعادته قيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله
ولا يلزم منه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لان ذلك قد ورد النهي عن
ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل زوجته من قيام الليل وصوم النفل
التطوع والاعتكاف لان ذلك لاستيفاء مصلحة الا باذن من المولى والزوج ارايت ان كان على الهدى
يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى يعني بالاخلاص والتوحيد
ارايت ان كذب يعني ابا جهل وتولى اي عن الايمان وتقدير نظم الاية ارايت الذي ينهى عبدا
اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان اي اعجب من هذا الم يعلم يعني
ابا جهل بان الله يرى يعني يرى ذلك الفعل ويجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم
كلا اي لا يعلم ذلك ابو جهل لين لم ينته يعني عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه
لنسفعا بالناصية اي لناخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت الشيء اذا اخذته
وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الراس والسفع الضرب اي لنضربن وجهه
بالنار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطئة اي صاحبها
كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل اتنتهرني فوالله لاملان عليك ان شئت خيلا جردا
ورجالا مردا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك
عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزجره فقال ابو جهل انك لتعلم ما بها ناد اكثر مني
فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته
زبانية الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه اي
عشيرته وقومه فليستنصر بهم واصل النادي المجلس الذي يجتمع الناس فيه ولا يسمى ناديا
ما لم يكن فيه اهله سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية

جهنم

١٩٥

جهنم سموا بذلك لانهم يزبنون اهل النار اليها بشدة ماخوذ من الزبن وهو الدفع كلا اي ليس الامر
على ما هو عليه ابو جهل لا تطعه اي في ترك الصلاة واسجد اي صل لله واقترب اي من الله م عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
فاكثروا من الدعاء وهذه من عزائم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقارئ والمستمع
ان يسجد عند قراءتها يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السماء انشقت اخرجه مسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة انا انزلناه وتسمى سورة القدر مدنية

وقيل انها مكية في قول الاكثر وهو قول الاكثرين وقيل انها اول ما نزل بالمدينة وهي خمس ايات وثلا
ثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا انزلناه يعني القران
كناية عن غير مذكور في ليلة القدر وذلك ان الله عز وجل انزل القران جملة واحدة من اللوح
المحفوظ الى السماء الدنيا في ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحا
جة اليه وقيل انما انزل الى سماء الدنيا ليشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا
وبين الملائكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور
والاحكام والارزاق والاجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة
يقدر الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله تعالى يظهر ذلك للملائكة ويامرهم بفعل
ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه انه يحد
ثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن
الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر
قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قد
رها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير اي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك
لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل للتضييق لان الارض تضيق
بالملائكة

فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها

م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى رجلان اني خرجت لاخبركم
بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط من قائل هذا
القول لان اخر الحديث يرد عليه فان النبي صلى الله عليه وسلم قال في اخره فالتمسوها في العشر
الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتما
سها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة من روي عن عبد الله بن يحنس
مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر
رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي منتقلة
تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاد

من الاحاديث الواردة في اوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري واحمد واسحاق وابو ثور انها
تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا
تنتقل عنها ابدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها
وهو قول ابن مسعود وابي حنيفة وصاحبيه وروي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول
يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمان اما انه علم انها في شهر
رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة
سبعة وعشرين وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر رواه عن زيد بن ارقم وابن
مسعود والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها من عشر الاواخر من رمضان لكثرة الاحاديث
الواردة في ذلك وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر
الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها
في العشر الغوابر وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى وعشرين وعن ابي سعيد قال
اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا
فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني اريت
هذه الليلة واريتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت فمطرنا فوالذي
بعثه بالحق لقد هاجت السماء من اخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد رايت
على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى
وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف
العشر الاواخر وورد في ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبد الله بن انيس قال كنت
في مجلس بني سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة
القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة القدر
فقال كم الليلة قلت اثنان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا
وعشرين اخرجه ابو داوود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم الى انها ليلة ثلاث وعشرين ومال
اليه الشافعي في ابن ح عن الصنابحي انه سال بلالا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال اخبرني
بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصرا
عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فامرني
بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع
قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد
دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق ببادية اخرجه ابو داوود ولمسلم عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم نسيتها واراني اسجد صبيحتها في ماء
وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وان اثر الماء
والطين على جبهته وانفه وحكي عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين ح عن ابن

عشر

عباس قال التمسوها

قال التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي ليلة خمس وعشرين ح ليلة قوله صلى الله عليه
وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبعة وعشرين وبه
وحكي ليلة عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب احمد م عن زر بن حبيش
قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة اصاب ليلة
القدر فقال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف ولا يستثني ووالله اني لاعلم اي ليلة
هي هي الليلة التي امرنا بقيامها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين
وامارتها ان تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي
صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو داوود وقيل هي ليلة تسع
وعشرين ح ليلة قوله تحروا ليلة القدر وقيل هي ليلة اخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داوود وقال يروى موقوفا
عليه ح ذكر ليلة مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر
اطلبوها ليلة سبع عشر من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت
اخرجه ابو داوود عن عيينة ابن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة
فقال ما انا ملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني
سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين او في سبع يبقين او في خمس يبقين او في ثلاث يبقين او اخر
الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر
اجتهد اخرجه الترمذي ح عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بليلة
القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر
فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخا
مسة قوله فتلاحى رجلان اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد
رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع عينها لم يامر بالتماسها ح عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في تسع يمضين او في سبع يبقين يعني ليلة القدر
وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وليلة
وتسع وعشرين واخر ليلة من رمضان قال الشافعي كان هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسال عنه يقال نلتمسها في كذا فيقال التمسوها في ليلة كذا
قال الشافعي واقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوي وفي الجملة ابهم الله
تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما
اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في
اسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها
واخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روي
عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع
لها وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر
احيا الليل وايقظ اهله وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره وعنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف
العشر الأواخر من رمضان (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إن علمت ليلة القدر
ما أقول فيها قال قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وأخرجه أيضا النسائي وابن ماجه قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر أي أي شيء
يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق إلى خبرها ثم
ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر قال ابن عباس ذكر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف
شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يا رب جعلت أمتي
أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل
الإسرائيلي السلاح لك ولأمتك إلى يوم القيامة وعن مالك أنه سمع من يثق به من
أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك
فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه
الله ليلة القدر خير من ألف شهر أخرجه مالك في الموطأ قال المفسرون معناه
العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وإنما
كان كذلك لما يريد الله فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير والبركة الوجه
الثاني من فضلها قوله تعالى تنزل الملائكة يعني إلى الأرض وسبب هذا أنهم لما
قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الأمر خلاف ما قالوه وتبين حال
من تنزه ساحة عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا إليهم ليسلموا
عليهم ويعتذروا مما قالوه ويستغفرون لهم لا يبرحون من تعظيمهم
بما في بعضهم والروح فيها يعني جبريل عليه السلام قاله أكثر المفسرين وفي
حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في
كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ذكره
ابن الجوزي وقيل إن الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من
غروب الشمس إلى طلوع الفجر وقيل إن الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة
أي في ليلة القدر بإذن ربهم أي بأمر ربهم من كل أمر أي بكل أمر من الخير والبركة وقيل بكل ما قدر وقضاه
من كل أمر الوجه الثالث من فضلها قوله عز وجل سلام أي سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال
الشعبي هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى طلوع
الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة سلموا عليه من ربه وقيل تم الكلام
عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ فقال تعالى هي يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس
فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة وقيل إن ليلة القدر سالمة
لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها أذى حتى مطلع الفجر أي إن ذلك
السلام أو السلامة تدوم إلى مطلع الفجر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

سورة لم يكن مدنية

قال الجمهور وفي رواية عن ابن عباس أنها مكية
وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى
والمشركين أي ومن المشركين وهم عبدة الأوثان وذلك أن الكفار كانوا جنسين
أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوا في دينهم وأما اليهود فقولهم عزير ابن الله
وتشبيههم الله بخلقه وأما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك
والثاني المشركون أهل الأوثان الذين لا ينتسبون إلى كتاب فذكر الله تعالى الجنسين في قوله
لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين أي منتهين عن كفرهم وشركهم
وقيل معناه زائلين حتى تأتيهم البينة لفظه مضارع ومعناه الماضي والبينة الحجة
الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا
عليه من الجاهلية ودعاهم إلى الإيمان فمن آمن فأنقذهم الله به من الجهل والضلالة وأنهم
لم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه النبي وهذه الآية فيما أخبر من العلماء وقال الواحدي في البسيط
وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال
ولم يلخص العلماء تفسيرها ولم يذكروا كيفية الإشكال فيها وأنا أقول وجه الإشكال
أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول
ثم إن كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم
عند إتيان الرسول ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا
يقتضي أن كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الأولى والثانية
مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الإشكال في تفسير هذه الآية والجواب عنه من وجوه أولها
وأحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو أن الكفار من الفريقين أهل الكتاب
وعبدة الأوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه
من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو
محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب
أي إنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق على الحق إذا جاء الرسول ثم ما فرقهم
عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول ونظيره في الكلام أن يقول الفاسق الفقير لمن يعظه
لست بمنفك عما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول
واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار
فيذكره ما كان يقوله توبيخا وإلزاما قال الإمام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع
إلى حرف واحد وهو أن قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة
مذكور حكاية عنهم وهو قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إخبار عما وقع والمعنى أن الذي
وقع كان خلاف ما ادعوا وثانيها أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم
وإن جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الإشكال إلا أن تفسير حتى بمعنى إن ليس من اللغة
في شيء وذكر وجوها أخر قال والمختار هو الأول ثم فسر البينة فقال تعالى رسول من الله
أي تلك البينة رسول من الله يتلو أي يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم صحفا أي كتبا يريد ما تضمنه
الصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لأنه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه
لا عن كتاب مطهرة أي من الباطل والكذب والزور والمعنى أنها مطهرة من القبيح

وقيل مطهرة مكرمة معظمة وقيل مطهرة أي لا ينبغي أن يمسها إلا المطهرون فيها
أي في الصحف كتب أي الآيات المكتوبة بمعنى الحكم قيمة أي عادلة مستقيمة غير ذات
عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالأمر إذا أجراه على وجهه ثم
ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعني في أمر محمد
صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما جاءتهم البينة يعني جاءهم البيان في كتبهم أنه نبي مرسل قال
المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما
بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر آخرون ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم
فقال تعالى وما أمروا يعني هؤلاء الكفار إلا ليعبدوا الله قال ابن عباس ما أمروا في التوراة
والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين له مخلصين له الدين الإخلاص عبارة عن النية الخالصة
وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه
والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت
معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلا بد وأن يكون منويا
فلا بد من اعتبار النية في جميع المأمورات قال أصحاب الشافعي الوضوء مأمور به ودلت
هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منويا فتجب النية وقيل الإخلاص محله القلب
وهو أن يأتي بالعمل لوجه الله تعالى مخلصا له لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر
حتى قال الواسطي لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وإن كان لا بد
من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعتراف الرب عز وجل بالربوبية وقيل
معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضى الله عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم
ولكن ينظر إلى قلوبكم حنفاء أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام وقيل متبعين
ملة إبراهيم عليه السلام وقيل حنفاء أي حجاجا وإنما قدمه على الصلاة والزكاة لأن فيه
صلات وإنفاقا وقيل حنفاء أي مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف
من آمن بجميع الأنبياء والرسل ولم يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن بأفضل الأنبياء وهو
محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف ويقيموا الصلاة أي المكتوبة في أوقاتها ويؤتوا الزكاة
أي المفروضة عند محلها وذلك أي الذي أمروا به دين القيمة أي الملة المستقيمة
والشريعة المتبوعة وإنما أضاف الدين إلى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وأنث
القيمة رده إلى الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي
جرى ذكرها أي وذلك الدين [illegible] الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم
واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول إن الإيمان
قول وعمل لأن الله تعالى ذكر الاعتقاد أولا وأتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين
هو الإسلام والإسلام هو الإيمان بدليل قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مآل الفريقين فقال تعالى إن الذين كفروا من أهل الكتاب و
المشركين فإن قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين قلت لأن جنايتهم أعظم في حق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأنهم كانوا يستفتحون به قبل مبعثه ويقرون بنبوته

فلما بعث

فلما بعث أنكروه وحسدوه وكذبوه مع العلم به فكانت جنايتهم أعظم من المشركين
فإن قلت إن المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب
لأن المشركين أنكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير أنهم
أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإذا كان كذلك كان جرمهم أخف فلم سوى بين
الفريقين في العذاب قلت إن أهل الكتاب الرفيعة في الدنيا بإنكارهم نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم أخذوا منه الدنيا وأخذهم [illegible] في الآخرة ولا يمتنع
من دخولهم النار مع المشركين فتساووا في العذاب في نار جهنم خالدين
فيها أولئك هم شر البرية أي هم شر الخلق والمعنى أنهم لما استحقوا النار
بسبب كفرهم قالوا [illegible] فكأنه قال لهم إنكم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية
يعني أنهم بسبب أعمالهم الصالحات واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم جزاؤهم
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم
ورضوا عنه قيل الرضى ينقسم إلى قسمين رضي به ورضي عنه فالرضا به ربا ومدبرا
والرضى عنه فيما يقضي ويقدر قال السري إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضى
عنك وقيل رضي الله أعمالهم ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة ذلك أي
هذا الجزاء والرضى عنهم لمن خشي ربه أي لمن خاف ربه في الدنيا وتناهى عن المعاصي عن أنس
بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ
عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية للبخاري أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرئك القرآن قال الله سماني لك قال نعم
قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه شرح الحديث إن بكاءه
[illegible] سرورا أو استصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة وإعطاء
هذه المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين أحدهما كونه منصوصا عليه
بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم عليه فإنها منقبة عظيمة لم
يشاركه فيها أحد من الصحابة وقيل إنما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه
النعمة وأما تخصيص هذه السورة بالقراءة فإنها مع وجازتها جامعة لأصول
وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار وأما الحكمة في أمر النبي
صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبي فهي أن يتعلم أبي القراءة من ألفاظه صلى الله عليه وسلم
وصيغة أسلوب الوزن المشروع [illegible] من النغم المستعملة في
غيره وكانت قراءته على أبي ليتعلم أبي منه لا ليتعلم هو من أبي وقيل إنما قرأ على أبي
ليعلم التواضع والأدب وأن لا يستنكف الشريف وصاحب المرتبة العالية
أن يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة أبي وبحث على الأخذ عنه وتقديمه
في ذلك وكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا وإماما في القرآن وغيرها
وكان أحد علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والله أعلم بمراده والصلاة [illegible]

تفسير سورة الزلزلة مكية

وقيل مدنية وهي ثمان آيات
وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفا عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول

صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث
القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلة
عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن
قرأ قل هو الله احد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها اي تحركت حركة شديدة واضطربت
وذلك عند قيام الساعة فقيل تزلزل في شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها
من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة
قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها
زلزلة يوم القيامة وأخرجت الارض اثقالها فمن قال ان الزلزلة تكون في الدنيا اثقالها
كنوزها وما في بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها ويدل عليه هذا الحديث روي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض افلاذ كبدها
امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع
فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون
منه شيئا اخرجه مسلم الافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المقطوعة المستطيلة
شبه ما يخرج من باطنها بافلاذ كبدها لان الكبد مستور في الجوف وانما خص الكبد
لانها اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للاخراج ومن قال ان الزلزلة
تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان في بطن الارض
فهو ثقل لها واذا كان فوق ظهرها فهو ثقل عليها ومنه سمي الانس والجن بالثقلين
لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا وقال الانسان ما لها اي ما لها زلزلت هذه الزلزلة
العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان هنا قولان احدهما انه اسم جنس يعم المومن
والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت
لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثاني انه اسم للكافر
خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المومن عارف بها فلا يسأل عنها
والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية يومئذ تحدث اخبارها
فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير او شر فتشكو
العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها
قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول
عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح بان ربك اوحى لها اي امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى
اليها قيل ان الله تعالى يخلق في الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امرها الله به وهذا
مذهب اهل السنة قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اي عن موقف الحساب بعد العرض اشتاتا
اي متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم قال
ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف اعمالهم التي فيها الخير والشر

فمن

فمن يعمل مثقال ذرة اي وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس ليس من مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا في الدنيا الا اراه الله اياه
يوم القيامة فاما المومن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه
بحسناته واما الكافر فترد عليه حسناته ويعذب بسيئاته قال محمد بن كعب
القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وولده وما
له حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا من مومن يرى عقوبته في
الدنيا في نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه
الآية في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان احدهما يأتيه السائل
فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها ويقول هذا ليس بشيء انما نؤجر
على ما نعطي ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة
والغيبة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا اثم فانزل الله تعالى هذه
الآية يرغبهم في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك
ان يكثر الاثم الصغير في عين صاحبه فانه يجيء مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن
مسعود احكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمر فقال ما
انزل علي فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا
فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة
رضي الله عنهم قال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها
قال حسبي الله قد انتهت الموعظة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة العاديات مكية

في قول ابن مسعود وغيره
ومدنية في قول ابن عباس وهي احدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والعاديات ضبحا فيه قولان احدهما
انها الابل في الحج قاله علي وابن مسعود وقال علي تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى
منى وعنه قال اول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد
بن الاسود فكيف تكون العاديات خيلا فعلى هذا القول يكون معنى ضبحا ضبعا وهو مد
اعناقها في السير واصله من حركة النار في العود فالموريات قدحا يعني ان اخفاف الابل ترمي بالحجارة
من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيوري النار وقيل هي النيران تجمع فالمغيرات
صبحا يعني الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا تدفع حتى تصبح والاغارة
سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير فاثرن به نقعا اي هيجن بمكان
سيرها غبارا فوسطن به جمعا اي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم
على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج الترغيب فيه
وفيه تعريض بمن كفر بالحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب
موصوف بذلك القول الثاني في العاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية

العادية في سبيل الله والضبح صوت أجوافها إذا عدت قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات
يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب
أو فزع وهو من قول العرب ضبحته النار إذا غيرت لونها «فالموريات قدحا» يعني أنها توري
النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال
ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيوري أصحابها نارهم ويصنعون طعامهم
وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لأقدحن لك
ثم لأورين لك «فالمغيرات صبحا» يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لأن أكثر
من يغير على غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد «فأثرن به» أي بالمكان «نقعا» أي غبارا «فوسطن به
جمعا» أي دخلن به أي بذلك النقع وهو الغبار وقيل حملن بجمعهن وسط العدو وهم
الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الآية أولى بالصحة وأشبه بالمعنى لأن الضبح من صفة
الخيل وكذا إيراء النار بحوافرها وإثارة الغبار أيضا وإنما أقسم الله بالخيل لما فيها
من المنافع الدنيوية والدينية والأجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها
في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى «إن الإنسان
لربه لكنود» وهذا جواب القسم قال ابن عباس لكنود لكفور جحود لنعم الله تعالى و
قيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأ
خوذ من الأرض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي أنسته
الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان وضده الشكور وهو الذي أنسته
الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة «وإنه على ذلك لشهيد» قال أكثر ا
لمفسرين وإن الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة إلى الإنسان والمعنى أنه شا
هد على نفسه بما صنع «وإنه» يعني الإنسان «لحب الخير» أي المال «لشديد» أي لبخيل والمعنى
أنه من أجل حب المال لبخيل وقيل معناه وإنه لحب المال وإيثار الدنيا لقوي شديد «أفلا يعلم»
يعني هذا الإنسان «إذا بعثر» أي أثير وأخرج «ما في القبور» يعني من الموتى «وحصل ما في الصدور» أي ميز
وأبرز ما فيها من خير أو شر «إن ربهم بهم» إنما جمع الكناية لأن الإنسان اسم جنس «يومئذ
لخبير» أي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم في ذلك اليوم
على كفرهم وإنما خص أعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لأن أعمال الجوارح تابعة
لأعمال القلوب فإنه لولا البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله تعالى أعلم
بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة القارعة مكية وهي ثمان
آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز
وجل «القارعة» أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أي شدائده والقارعة من أسماء
يوم القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع الشديد وقيل سميت قارعة بصوت
إسرافيل لأنه إذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته «ما القارعة» تهويل
وتعظيم والمعنى أنها فاقت القوارع في الهول والشدة «وما أدراك ما القارعة» معناه لا علم
لك بكنهها لأنها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيف ما قدرته فهي
أعظم من ذلك «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث» الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت

في النار سميت

في النار سميت بذلك لتفرشها وانتشارها وإنما شبه الخلق عند البعث بالفراش
لأنها إذا ثارت لم تتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب إلى غير جهة الأخرى فدل بهذا التشبيه
على أن الخلق في البعث يفزعون فيذهب كل واحد إلى جهة غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق
وشبههم أيضا بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وإنما شبههم بالجراد لكثرتها
قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد
في الكثرة يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول «وتكون الجبال كالعهن
المنفوش» أي كالصوف المندوف وذلك لأنها تتفرق أجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير
كالصوف المتطاير عند الندف وإنما ضم بين حال الناس وحال الجبال كأنه تعالى نبه
على أن تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالصوف المنفوش
فكيف حال الإنسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق
على قسمين فقال تعالى «فأما من ثقلت موازينه» يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع مو
زون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان
وكفتان توزن فيه الأعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان
فإذا رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في أقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل
إنما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئا
ته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه
فيدخل الجنة بفضل رحمته وأما الكافر فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وروي
عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم
الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وإنما خفت
موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان
يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا قوله تعالى «فهو في عيشة راضية» أي مرضية في الجنة
وقيل في عيشة ذات رضى يرضاها صاحبها «وأما من خفت موازينه» أي رجحت سيئاته
على حسناته «فأمه هاوية» أي فمسكنه النار سمي المسكن أما لأن الأصل في السكون الأمهات
وقيل فأم رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من أسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك
قعرها فيهوون فيها على رؤوسهم وقيل كان الرجل إذا وقع في أمر شديد يقولون هوت أمه
أي هلكت حزنا وثكلا «وما أدراك ما هيه» يعني الهاوية ثم فسرها فقال «نار حامية» أي
حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل «ألهاكم التكاثر» أي شغلكم المفاخرة والمباهاة
والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمنافسة عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم أن
من اشتغل بشيء أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون همه وشغله في تعظيم الله وهو
ما يقربه من ربه عز وجل وإنما التفاخر بالمال والجاه والأعوان والأقرباء تفاخر بأخس المراتب والاشتغال
به يمنع الإنسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الأخروية التي هي سعادة الأبد [illegible]

فرة والمفاخرة بالمال امنا موضعه ما روي عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية الهاكم التكاثر قال يقول ابن ادم
مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح **حتى زرتم المقابر** اي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات
زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الاية الهاكم التكاثر حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة
ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك وقيل نزلت هذه الاية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان
وبنو فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا ثم رد الله عليهم فقال **كلا** اي ليس الامر
كما توهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل معناه حقا **سوف تعلمون** وعيد لهم **ثم كلا سوف
تعلمون** كرره تاكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم
الموت فهو وعيد بعد وعيد **كلا لو تعلمون علم اليقين** اي علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو
تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نتحدث ان علم اليقين ان
يعلم ان الله باعثه بعد الموت **لترون الجحيم** اللام في لترون جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد
الوعيد وان ما وعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت
ثم لترونها يعني مشاهدة **عين اليقين** وقيل انما كرر الرؤية لتاكيد الوعيد
ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني كفار مكة في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة
عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على
ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال
بشكره فيسئلهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمومن هو الاولى لكن سؤال الكا
فر سؤال توبيخ وتقريع لكونه ترك شكر ما انعم الله به عليه والمومن يسئل سؤال تشريف
وتكريم لانه شكر ما انعم الله به عليه واطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكيرا بنعم الله
عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول
الله اي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسئل الله العبد
يوم القيامة فيم استعملها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسئل عن الصحة والفراغ والمال والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة العصر مكية

قال ابن عباس والجمهور وقيل هي مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والعصر** قال ابن عباس هو الدهر وذلك لانهم كانوا
يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان
الله تعالى هو المؤثر فيه بما يحصل فيه من النوائب والنوازل كل بقضاء الله وقدره وقيل فيه حذف تقديره
ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران وقيل اراد بالعصر اخر
طرفي النهار وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها صلاة الوسطى في قول وجواب
القسم قوله تعالى **ان الانسان لفي خسر** اي في خسران ونقص قيل اراد بالانسان جنس الانسان
بدليل قوله كثير الدهر في ابناء الناس اي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران
لان الخسران

الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة
في طاعة او في معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان
كانت في طاعة فلعل غيرها افضل منها وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل
تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لا ينفك احد من خسران وقيل اراد بالانسان الكافر
بدليل انه استثنى المومنين فقال تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** يعني فانهم ليسوا
في خسر والمعنى ان كل ما يلقى الانسان في طاعة الله فهو في صلاح وخير وما كان ضده
فهو في خسر وفساد وهلاك **وتواصوا** اي اوصى بعض المومنين بعضا **بالحق** يعني بالقران
والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد **وتواصوا بالصبر** على اداء الفرائض واقامة امر الله وحده
وقيل اراد بالانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين امنوا وعملوا الصا
لحات فانه تكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في الشباب والصحة وهي
مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الهمزة مكية

وهي تسع ايات وثلاث وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **ويل** اي قبح
لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس
وبعضهم قال الشاعر: اذا لقيتك عن كره تكاشرني وان تغيبت كنت الهامز اللمزة
وقيل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يعيبه
في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي ياكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان
عليهم وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم
وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينيه **الذي جمع مالا** وانما وصفه بهذا الوصف لانه
يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني انه انما عابهم بما جمع من المال
وعدده اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة اي استعده وجعله ذخيرة
يحسب ان ماله اخلده اي يظن انه يخلده في الدنيا ولا يموت مع يساره وغناه **كلا**
رد عليه اي لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال
وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه حقا **لينبذن** اللام في لينبذن جواب
القسم فدل على حصول المعنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن **في الحطمة** اي في النار
وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت
حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى ان صاحب الهمزة اللمزة الذي ياكل لحوم
الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التي تاكل اللحوم وتكسر العظام **وما ادراك
ما الحطمة** اي نار لا كسائر النيران **نار الله الموقدة** انما اضافها اليه على سبيل التفخيم
والتعظيم لامرها **الموقدة** اي التي لا تخمد ابدا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى
ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي

اخرجه الترمذي وقال ويروى عن ابي هريرة موقوفا وهو الاصح. **الافئدة** اي يبلغ السواد
جمعها القلوب والمعنى انها تاكل كل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر
لانه الطف ما في بدن الانسان وانه يتالم بادنى اذى فكيف اذا اطلعت عليه واستولت
عليه ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس في النار موت. **انها عليهم
موصدة** اي مطبقة مغلقة. **في عمد ممددة** قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم
بعماد وفي اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد
يعذبون بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة
عليهم باوتاد ممددة نعوذ بالله من النار وكربها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

سورة الفيل بتفسير مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وستة وتسعون [حرفا]

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل** وكانت قصة اصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح ابو يكسوم فساخط ارياط في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارياط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله. ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء بيتا كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت فسمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها وكتب الى النجاشي يخبره بذلك وساله ان يبعث اليه بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فاعظموه وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقني ولا تقتلني فان استبقائي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال له نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع اليه الاسود اموال الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة ارسل حناطة الحميري

الى اهل مكة

الى اهل مكة فقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره اني لم ات لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال وما لنا به يد انا سنخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا البيت بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم على العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث الى انيس سائس الفيل فانه لي صديق فاساله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد اصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستاذن عليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما راه ابرهة عظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك عند الملك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي عند الملك ان يرد الي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت الان فيك فقال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة فاخذ بحلقة الباب وجعل يقول شعرا

يا رب لا ارجو لهم سواكا ... فيا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ... امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

لاهم ان العبد يمنع رحله ... وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا ... فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس قد تهيا للدخول وعبى جيشه وهيا فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت معه اثنا عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم

ثم اخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد
الله الحرام فبرك الفيل فضربوه فأبى فضربوه بالمعول في راسه فأبى فادخلوا محاجن
تحت مراقيه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول فوجهوه
الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم
فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله تعالى طيرا من البحر امثال
الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال
الحمص والعدس فلما غشيت القوم ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس
كل القوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذي جاءوا منه ويتساءلون عن
نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وفي ذلك
يقول نفيل شعرا الا ردي ركائبنا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا * فانك لو رأيته
ولن تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا * حمدت الله اذ ابصرت طيرا * وحصب حجارة
تلقى علينا * وكلهم يسأل عن نفيل * كأن علي للحبشان دينا * وخرج القوم وماج
بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل واصيب ابرهة
في جسده فجعل يتساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعتها مدة من قيح ودم فانتهى
الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم
هلك قال الواقدي واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجى والفيل
الآخر تشجع فحصب اي رمي بالحصباء وقال بعضهم ان ابا يكسوم وزير ابرهة
وتبعه طير يحلق فوق راسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما انهاها وقع
عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول امية بن ابي الصلت ان آيات
ربنا بينات * ما يماري فيهن الا الكفور * حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان
الناس واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذي عليه الاكثرون من علماء التفسير و
التواريخ واهل التفسير انه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقو
لون ولد عام الفيل وجعلوا تاريخ المولود صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله عز
وجل الم تر اي الم تعلم وقوله للارضة الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم
بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكأنه
صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلذلك قال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل
قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنا عشر وانما وحد لانه
نسبها الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وفي قصة اصحاب الفيل دلالة على قدرة
الله تعالى وعلمه وحكمته وعلى شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وعلى
ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ترضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى توحيده واهلاك
من سخط عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة

لهم كتاب

والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم وكأن الله
تعالى قال ان الذي فعلت بهم مما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك فكيف
تركك بعد ظهورك الم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة
في تضليل اي تضييع وخسار وابطال لما ارادوا من تخريب البيت بل رجع تدبيرهم عليهم
فخربت كنيستهم واحرقت واهلكوا وهو قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل
يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل جماعات في تفرقة
قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال
ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة لها
رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر
لها مناقير صفر وقيل سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع
كل طائر ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا تصيب شيئا الا
هشمته ووجه الجمع على هذه الاقوال وبيان اختلاف اجناس هذه الطير
انه كان فيها هذه كلها فبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل بما رأى واخبر بما
بلغه صفاته والله اعلم قوله عز وجل ترميهم بحجارة قال ابن عباس
صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها
شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على راسه
خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب
الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة
العذاب المكتوب المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من جهنم وهو مطبوخ
كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين خلطا واصله سنك وكل
فارسي معرب وقيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف مأكول يعني كزرع
وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجساده اي اجزاؤه شبه تقطع
اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وقيل كالحب
اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة
كهيئة الغلاف والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة قريش مكية وقيل مدنية والاول اصح واكثر وهي
اربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لايلاف قريش اختلفوا في هذه اللام
فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته
عليهم فيما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وما
ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابي بن كعب هذه السورة

وسورة الفيل واخره ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي
عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة
متصلة عن سورة الفيل وانه لا توصل بينهما واجيب عن مذهب ابي ابن كعب
من جعل هذه السورة والسورة التي قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة
الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض
ايضا بالصحابة والصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى
هذا القول اختلفوا اختلفوا في العلة الجالبة اللام في قوله تعالى لإيلاف
قيل هي لام التعجب اي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ليجعلوا
عبادتهم شكر لهذه النعمة والإيلاف من الفت الشيء الفا وهو بمعنى الايتلاف
فيكون المعنى لإيلاف قريش هاتين الرحلتين فاتصلا ولا تنقطعا وقيل هو
من الالفة اي لزمته والفيه الله الزمنيه وقريش هم ولد النضر
بن كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش من هذا الشأن
مسلمهم في الخير والشر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم
عن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش
اهانه الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن ابن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فاذق
آخرهم نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب النكال العذاب والعقوبة
والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو الجمع والتكسب
يقال فلان يتقرش لعياله ويقترش لهم اي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا
قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال احراص وقال ابو ريحانة سأل معاوية
رضي الله تعالى عنه عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم سميت
قريش قال لدابة تكون في البحر هي اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء
من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا توكل وتعلوا ولا تعلى قال
وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم وانشد شعر الجمحي
• وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا • سلطت بالعلو في لجة البحر
• على سائر البحر جيوشا • تأكل الغث والسمين ولا • تترك فيه لذي الجناحين ريشا •
• هكذا في البلاد حي قريش • ياكلون البلاد اكلا كميشا • ولهم آخر الزمان نبي •
• يكثر القتل فيهم والخموشا • يملأ الارض خيلا ورجالا • يحشرون المطي حشرا كميشا •
وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وانزلهم

الحرم

الحرم واتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش الجمع يقال تقرش القوم
اذا اجتمعوا وسمي قصي مجمعا لذلك قال الشاعر • ابوكم قصي كان يدعى مجمعا
• به جمع الله القبائل من فهر • وقوله سبحانه وتعالى ايلافهم هو بدل من
الاول تفخيما للامر الايلاف وتذكير العظيم المنة فيه رحلة الشتاء
والصيف قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم
الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب البيت وقال الاكثرون كانت لهم
رحلتان لكل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها ادفى ورحلة
في الصيف وكان الحرم واد جدب لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش
تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم بسوء وكانوا يقولون
قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعظمهم
لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا
على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فكفاهم الله مؤونة
الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم
على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم
كغنيهم وقال الكلبي وكانوا اول من حمل السمراء يعني القمح الى الشام
ورحل اليها الابل هاشم ابن عبد مناف وفيه يقول الشاعر شعرا
• قل للذي طلب السماحة والندى • هلا مررت بآل عبد مناف •
• هلا مررت بهم تريد قراهم • منعوك من ضر ومن اكفاف • الرائشين
وليس يوجد رائش • والقائلين هلم للاضياف • والخالطين غنيهم بفقيرهم
• حتى يكون فقيرهم كالكافي • والقائمون بكل وعد صادق • والراحلون لرحلة الايلاف •
• عمرو العلا هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف • سفرين سنهما
له ولقومه • سفر الشتاء ورحلة الاصياف • فليعبدوا رب هذا البيت يعني
الكعبة وذلك لان الانعام على قسمين احدهما دفع ضر وهو ما ذكره في
سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما دفع الضر وجلب
لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى
لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه
هو الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومعنى الذي اطعمهم من جوع
اي من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في الآية
انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد

قالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مومنون فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط فذلك قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وامنهم اي بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد في رحلتهم وقيل امنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل امنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة ارايت الذي مكية

وقيل نزل بعضها بمكة في العاص ابن وائل والنصف الثاني بالمدينة في ابي ابن سلول المنافق وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين قيل نزلت في ابن وائل السهمي وقيل في الوليد ابن المغيرة وقيل في عمرو ابن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الاية هل رايت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم ولفظ ارايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب في حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت ايها الانسان او ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى وانه يدفعه عن ماله وحقه بالظلم ولا يحض على طعام المسكين اي لا يطعمه ولا يامر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلا يامر غيره بالاطعام قوله تعالى فويل للمصلين يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون روى البغوي بسنده عن سعد قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت قال ابن عباس

هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراءون وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس وقال قتادة ساه عنها لا يبالي صلى ام لا الذين هم يراءون اي يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين والصلاح واما من يظهر النوافل ليقتدى به ويامن على نفسه الرياء فلا باس بذلك وليس بمراء في ذلك ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ويمنعون الماعون روي عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الكوثر مكية

قال ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرءان العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس وعن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله فقال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال لما عرج بي الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينته او طينه مسك اذفر شك الراوي عن انس رضي الله عنه قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر وقال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قلت في حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة يعني نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم قوله تعالى فصل لربك وانحر معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجعل له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك ان شانئك يعني عدوك ومبغضك هو الابتر يعني هو الاذل الاقل المنقطع دابره

السفلى [illegible] نزلت في العاصي بن وائل السهمي وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد
قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاصي قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك
الابتر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة
فانزل الله تعالى في ذلك ورد عليهم الشنع ورده فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الحقير
الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الافضل والله اعلم بمراده واسرار كتابه

قف

تفسير سورة الكافرون مكية

وهي ستة ايات وستة وعشرون كلمة واربعة
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **قل يا ايها الكافرون** نزلت في
رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة والا
سود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم فا
تبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك
سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان
الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك و
نعبد الهك فقال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله تعالى **قل يا ايها الكافرون** الى اخر السورة
فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملا من قريش فقام على رؤ
وسهم ثم قرا عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واذوا اصحابه **لا اعبد
ما تعبدون** في معنى الاية قولان احدهما ان تكرار فيهما فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون الا
في الحال ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم **ولا انتم عابدون ما اعبد** اي ولا انتم
فاعلون في المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهي ثم قال **ولا انا عابد ما عبدتم** اي ولست
في الحال بعابد معبودكم **ولا انتم عابدون ما اعبد** اي ولا انتم في الحال بعابدين معبودي
وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك
انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت
هذه السورة جوابا لهم على قولهم **لكم دينكم ولي دين** اي لكم جزاء كم ولي جزائي وتوحيد
والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الاية منسوخة باية
القتال والله اعلم بمراده واسرار كتابه

قف

تفسير سورة النصر مدنية

وهي ثلا
ث ايات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان خزاعة قتلوا رجلا
من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد
الله واثنى عليه فقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين الا وانها لم تحل
لاحد قبلي الا وانها احلت لي ساعة من نهار فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها
الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يعقل واما ان يقاد فقال العباس الا
الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام ابو
شاه

٢٠٥

شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتبوا لابي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعني اذا جاءك يا محمد
نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان
جميع الامور مرتبة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها او تاخيرها عنه
فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا
جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس
نصر الله المومنين والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء
وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف
عليه بالفتح وقيل النصر هو كمال الدين واظهارها والفتح هو الاقبال
الذي هو تمام النعمة **ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا** يعني زمرا
وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله
رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا
باهل الحرم وقد كان اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا
يدخلون في دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين
اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قد اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان والحكمة
الله يمانية ودخولهم الاسلام واضافة اليه تشريفا وتعظيما كبيت الله وناقة الله قوله تعالى
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا يعني فانك حينئذ لاحق به عن
ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى
معنا ولنا مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني
معهم قال وما رايت انه دعاني يومئذ الا ليريهم مني فقال ما تقولون في قول الله تعالى
اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره
اذا جاء نصر الله وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اتقول يا ابن عباس
قلت لا قال فما قلت اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا جاء نصر الله والفتح
فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما اعلم منها
الا ما تعلم وعن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت
عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك ربنا
وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول
القران وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده
استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرني ربي انه سارى علامة في امتي فاذا رايتها

الكثير من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها إذا جاء
الفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره
إنه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه نعيت
إليه نفسه وقال الحسن أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم
بالزيادة في العمل الصالح قال عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة
بسنتين وقيل في معنى سورة إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون
في دين الله أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فإن الاستغفار
له بهذه الطاعات يصير سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة وفي معنى التسبيح
وجهان أحدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لأن التسبيح
جزء من أجزاء الصلاة ثم قيل أعني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة
التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة
النصر والفتح فإن قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر قلت إنه تعبده الله تعالى بذلك ليقتدي به غيره إذ لا يأمن كل واحد من
تقصير في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم مع
عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف فكيف من هو
دونه وقيل هو من ترك الأفضل والأولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم
وعلى قول من جوز الصغائر على الأنبياء يكون المعنى واستغفره مما عسى
أن يكون قد وقع عن تلك الأمور منه وقيل المراد منه الاستغفار وهذا
[illegible] أن الله تعالى أمره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
والله أعلم **تفسير سورة اللهب مكية وهي خمس آيات**
وعشرون كلمة ومائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل **تبت يدا أبي لهب وتب** عن ابن عباس قال لما نزلت
وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر
يا بني عدي لبطون قريش فاجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر
فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن
تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا
جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب **وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب**
وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه
فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه وتبت خابت وخسرت والتباب
هو الخسار المفضي إلى الهلاك والمراد من اليد صاحبه وجملة بدنه وذلك

قف

عادة

عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجملته وقيل إن النبي صلى
الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت كان المراد جملة البدن
فهو كقولهم خسرت يداه وكسبت يداه فأضيفت الأفعال إلى اليد
وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله
عليه وسلم وكني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه فإن قلت لم
كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه أحدها أنه كان
مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني أنه
كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية لما فيه من الشرك الثالث
أنه كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته
وكان جديرا أن يذكر بها وتب قيل الأول أخرجه مخرج الدعاء عليه
والثاني أخرجه مخرج الخبر كما يقال أهلكه الله وقد هلك وقيل تبت
يدا أبي يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به
المال وتب يعني نفسه ما أغنى عنه ماله وما كسب يعني صاحب
مواشيه وما كسب أي ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب ولده لأن ولد
الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث إن أطيب ما أكلتم من كسبكم
أخرجه الترمذي ثم أوعده بالنار فقال تعالى **سيصلى نارا ذات لهب** يعني تلتهب عليه
وامرأته يعني أم جميل بنت أمية أخت أبي سفيان بن حرب وكانت في نهاية
البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم **حمالة الحطب** قيل كانت تحمل الشوك والعضاه
والعضاه بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
لتؤذيهم بذلك وهو رواية عن ابن عباس فإن قلت إنها كانت من
بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت إنها مع كثرة
مالها وشرفها كانت في نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها
على حمل الحطب بنفسها ويحتمل أنها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى أنها تستعين في ذلك بأحد
بل تفعله هي بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث
وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال
فلان يحطب على فلان يؤذيه به وقيل حمالة الخطايا والآثام التي حملتها
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها كانت كالحطب في مصيرها
إلى النار **في جيدها** أي عنقها **حبل من مسد** قال ابن عباس سلسلة من حديد
ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها
في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف
وذلك الحبل الذي كانت تحتطب به فبينما هي يوم حاملة الحزمة أعيت
فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها

وقيل

وقيل هو حبل من ليف ذلك الحبل الذي كانت تحتطب به فبينما هي يوما
تحمل حزمة من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت خرزات
في عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. تفسير سورة
الإخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة
وسبعة وأربعون حرفا. فصل في فضلها خ عن أبي سعيد الخدري أن رجلا
سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر ذلك وكان الرجل يتقالها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده إنها لتعدل نصف القرآن وفي رواية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقلا وينظر إليها بتكثر الفكرة
لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم
وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد
الله الصمد ثلث القرآن. م عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن
م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا فإني سأقرأ عليكم
ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها. وقد
ذكر العلماء رضي الله عنهم في كونه صلى الله عليه وسلم جعل
سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن أقوالا متشابهة متقاربة فقيل
إن القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة أقسام وهي الإرشاد إلى معرفة
ذات الله تعالى وتقديسه أو صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله
وسننه مع عباده ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام
الثلاثة وهي التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بثلث القرآن لأن منتهى التقديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون
حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد
ولم يولد وقوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله تعالى قل هو
الله أحد وتفصيله هو قوله لا إله إلا الله فهذا سر من
أسرار القرآن إذ هو البحر الذي لا تتناهى أسراره ولا تنقضي
عجائبه. وقال الإمام فخر الدين لعل الغرض منه أن المقصود الأشرف
في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاه
وتقدس ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله فلهذا كانت
السورة معادلة لثلث القرآن. وقال الشيخ محيي الدين
يحيى بن شرف النواوي رحمه الله تعالى قيل معناه أن القرآن
على ثلاثة قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقيل هو الله
أحد

وثناؤه

أحد متمحضة للصفات فهي جزء والقرآن
من ثلاثة أجزاء وقيل معناه أن ثواب قراءتها
مرة يضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن
بغير تضعيف قوله استقلالها يقال استقللت
الشيء وتقاللته أي عددته قليلا بابه وتنظر
إليه بعين القلة وقيل سميت قل هو الله أحد
سورة الإخلاص إما لأنها خالصة لله تعالى
في صفاته أو لأن قارئها قد أخلص لله التوحيد
ومن فوائد هذه السورة أن الاشتغال بقراءتها
يفيد الاشتغال بالله وملازمة الإعراض عما
سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى
وبراءته من كل ما لا يليق به لأنها مع قصرها
جامعة لصفات الأحدية والصمدية والفردانية
وعدم النظير. عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله
أحد محي عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون
عليه دين وفي رواية عن النبي صلى الله عليه
قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه
ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة
فإذا كان يوم القيامة يقول الرب جل
جلاله يا عبدي ادخل على يمينك
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. وعنه
أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه
السورة قل هو الله أحد قال إن حبك إياها
يدخلك الجنة أخرجه الترمذي وقال
حديث غريب. عن أبي هريرة قال
أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد
الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجبت قيل وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب صحيح بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل قل هو الله احد عن ابي ابن
كعب ان المشركين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله
تعالى قل هو الله احد الله الصمد والصمد
الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد
الا سيموت ولا شيء يموت الا سيورث وان الله
لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن
له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء اخرجه الترمذي وقال
قد روي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه
السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر
فيه عن ابي ابن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس
ان عامر ابن الطفيل واربد ابن ربيعة اتيا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد
قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد
ام خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة
وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل
ان احبار اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك
لعلنا نومن بك فان الله انزل نعته في التورية فاخبرنا من اي شيء هو
وهل ياكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله
هذه السورة قل هو الله احد يعني الذي سالتموني عنه هو الله احد
في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد
عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى
فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استاثر
بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد
والاحد لا يدخل في الواحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول رايت احدا
رايت رجلا واحدا فالاحد يفيد العموم وقيل معناه الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى

فلا يشاركه فيه احد
الله الصمد

٢٠٨

الله الصمد قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه
ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشيء الصمت الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة وقيل
الصمد الذي ليس باجوف وقيل الصمد السيد الذي يصمد اليه في الحوائج وقيل الصمد الذي ليس
فوقه احد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو
الذي لا عيب فيه وقيل هو الذي لا ياكل ولا يشرب وانه اسم خاص لله تعالى انفرد به له الاسماء
الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قوله عز وجل لم يلد ولم
يولد ونفى عنه ان ما قال مشركو العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله فاكذب الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد
عيسى وعزير ولم يولد معناه انه لم يولد وكان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع
الجهات فهو الاول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتاخر عنه ولد يكون
عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا احد اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا
شبيه فنفى عنه بقوله ولم يكن له كفوا احد العديل والنظير والصاحبة والولد خ عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني
ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من
اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه
وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا
عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر ايات انزلت هذه الليلة لم ير
مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل
واضح على كونهما من القران ورد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا كله وفيه خلاف
ذكر فيه خ عن زر بن حبيش قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثله ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن خبيب قال اصابنا
عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي بنا فخرج فقال قل فسكت ثم قال قل فقلت ما اقول قال قل هو
الله احد الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شيء وفي رواية قال كنت مع
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق فيه
قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم
فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعدة من اسنان مشطه فاعطاه اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد ابن الاعصم
رجل من اليهود فنزلت السورتان وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه وفي رواية انه
اليه يفعل الشيء وما يفعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عائشة ان الله قد افتاني فيما

فيما استفتيته فيه قلت وماذا يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بئر ذروان ومن الرواية من قال في بئر ذي اروان وذي اروان بئر في بني زريق الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله فهلا اخرجته قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت ان اثور على الناس منه شيئا وفي رواية للبخاري كان يرى انه ياتي النساء ولا ياتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب. فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر وشرك وما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عنه الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج كما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح كذلك الخائف يترقب مجيء النجاح فكانه يقول قل اعوذ برب هذا الوقت الذي يفرج فيه عن المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استغاث اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب والقادر عليه من شر عذابه وغيره ومن شر ما خلق قيل يريد به ابليس خاصة لان الله لم يخلق خلقا هو اشر منه لان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس ومن شر غاسق اذا وقب عن عائشة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف واخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للمرض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه الآفات وقيل يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها ومن شر النفاثات في العقد

يعني

يعني السواحر التي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق وقيل انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة النفث والتفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث طلاح الازواج والابرار وجب ان لا يكون به مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه ومن شر حاسد اذا حسد الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها امر الله تعالى بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم او لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

فع

تفسير سورة الناس مكية وقيل مدنية

والاول اصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه امر بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال اعوذ من شر الوسواس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم وهو الههم ومعبودهم وانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل ان اشرف المخلوقات هم الناس فلهذا اختصهم بالذكر ملك الناس اله الناس انما وصف نفسه اولا برب الناس لانه ربما يقال يكون ملكا فنبه بذلك انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس الا الالهية خاصة له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها احد والسبب في تكرير لفظ الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم من شر الوسواس يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الكلام الخفي والصوت الخفي الخناس يعني الرجاع الذي من عادته ان يخنس اي يتاخر ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتاخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع راسه على القلب فلذلك قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب من الجنة يعني الجن والناس وفي معنى الاية وجهان احدهما

ان الناس يطلق مشترك بين الجن والانس ويرد عليه بعض قول العرب جاء قوم من الجن
فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا في قوله يعوذون
برجال من الجن وعلى هذا يكون معنى الاية ان الوسواس الخناس يوسوس
الجن كما يوسوس للانس والوجه الثاني ان الوسواس الخناس قد يكون
من الجنة وهو الجن وقد يكون من الانس وكما ان شيطان الجن قد يوسوس
تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح
له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكأنه
تعالى امر ان يستعاذ به من الجن والانس جميعا وعن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه
ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب
الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على راسه ووجهه وما
اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث
فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها اخرجه
مالك في الموطأ ولهما بمعناه وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به
آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء
النهار عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب
الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن
الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي تم مختصر التأويل في معالم التنزيل
على يد مقيده ان شاء الله احمد بن محمد [illegible] في اوائل جمادى
عام خمسة وثمانين ومائتين والف ١٢٨٥

٢١٠ ورقة